أهم الملامح التاريخية لنظم وقوانين الحضارة الحيثية المندثرة

دارسة

تاريخية وفلسفيه عن أهم النظم والقوانين التي خلفتها الحضارة الحيثية منذ ظهورها على مسرح التاريخ في النصف الثاني للعصر الحجري الحديث حتى تاريخ انهيارها ومحوها من الموجود بداية من عام ١١٨٠ ق ٠ م ٠

دكتور
سمير عبد المنعم أبو العينين
أستاذ فلسفة وتاريخ القانون بكلية الشريعة والقانون ــ جامعة الأزهر بطنطا
والمحامى بالنقض والإدارية العليا
٠١٢٢٣٧٩٤١٠٣ / ٤٥٠٢٤٦٢

دكتور
سمير عبد المنعم أبو العينين
أستاذ تاريخ وفلسفة القانون
بكلية الشريعة والقانون جامعة الازهر بطنطا
والمحامى بالنقض والادارية العليا

بسم الله الرحمن الرحيم

****

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكـــم إن الله عليم خبير ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الحجرات الآية ١٣]

المقدمــــــــة

إن الحضـــارات الإنســـانية الـــتي ظهرت وتألقت على مر عصور الـــتاريخ تعطي أصدق تعبير بأن الجماعات البشرية التي تكونت منذ بداية الحيـــاة في هذا الكون الفسيح ، كانت دائما قادرة على العطاء المتزايد دون كلل أو توقف ، وتملك كل مقومات الصمود والتحدي في مواجهة الظروف الصـــعبة الـــتي أحيطت بها في سالف الأزمان ، حتى استطاعت أن تتغلب عليها وتنجح بطاقاتها المضيئة بالعرق والجهد المتواصل في البناء والتعمير وفـــي القـــدرة الوفيرة على تحقيق الاختراعات والابتكارات المختلفة التي دفعـــتها نحـــو التطـــور ، وتأسيس الأصول الأولية لكل سمات الحضارة العالميـــة .

وإذا كـــانت هذه الحضارات المختلفة التي انتشرت في معظم إرجاء العالم تثبت بأن قصة كفاح الإنسان على ظهر هذه الأرض هي قصة كفاح متصـــلة الحلقات على أساس أن كفاح اليوم قد ينبع من كفاح أمس ، وكفاح غـــدا ســـينبع من كفاح اليوم ... وهكذا . إلا أن هذا الربط المتواصل لا يعـــني الـــباس كفـــاح الحاضر ثوب كفاح الماضي لأن لكل عصر طبيعته وأجواؤه وخصائصه التي ترتبط بنظرة الناس إلى واقع الحياة المرهونة في زمانـــه – ولـــذا فإن كان الإنسان في كل العصور واحد في تكوينه الذهني وبـــنائه الجســـدي والعضـــوي ، وفي أحاسيسه ومشاعره النفسية ، إلا أن نظـــرته إلى الحياة تختلف من عصر لآخر ، فإنسان العصر الحجري كان يطل على الحياة من زاوية غير تلك التي أطل منها إنسان العصور القديمة، وإنسان العصور القديمة قد أطل أيضا على الحياة من زاوية غير التي أطل

مـــنها إنسان العصور الوسطى ، وإنسان العصور الوسطى أطل كذلك على الحياة من زواية غير التي أطلع منها إنسان العصور الحديثة – وهكذا إلى أن نصـــل لنظرة إنسان عالم اليوم [١] ، وهذه الحقيقة لا تقبل أي شك لأن سمات التطور تؤكدها تماما بكل ما هو ثابت في سجلات التاريخ منذ بداية الحياة الإنسانية حتى الواقع اليقيني للزمن المعاصر ،

ومن هذا المنطلق فإن كل حضارة قد تألقت منذ فجر التاريخ تعزي دواما وأبداً إلى الإنسان لأنه هو صانعها ومبدعها لكي تتيح له وسائل البقاء والأمان والاستقرار والنمو والتحرر من ظروف الطبيعة الصعبة والسيطرة عليها بتحقيق إنجازات عديدة ومتنوعة ،ولذا يقول [**إدوارد ويستر مارك**] فـــي مؤلفـــه [**تـــاريخ الزواج الإنساني**] بأن [**الحضارة من نصع العقل البشري الذي يعمل بطريقة متشابهة إذا وضع في ظروف مماثلة**] – كما أشـــار [**جـــورج باستيد**] في مؤلفة عن المدينة بأن [**الحضارة بروافدها ليســت ســوى اســتعداد نشط نابع من داخل الإنسان ،،، لأنها جو من التأثر الدقيق له لكي يغلف بها الحياة كلها ،،،**] ،،، ولكن أمام كل هذا ، فإن هناك حقيقة لا تقبل الشك هي أن لكل حضارة مولد سواء كان مولدا ذاتيا أو مقتبسا من أصول حضارات أخرى تألقت في أزمان سابقة وبعد هذا

---

(١) انظـــر فـــي ذلـــك : د ، سعيد عبد الفتاح عاشور – وللتاريخ تاريخ – كلمة الافتـــتاح فـــي مجلة المؤرخ العربي – العدد الثامن – المجلد الأول – مارس ٢٠٠٠م – ص ٩ حتى ص ١٤ ،

المولـد الذي يعتبر فجر ظهورها ، يأتي زمن الربيع والازدهار الذي تتألق فيـه ويتسـع نطاقهـا – وبعد هذا التألق والمجد المتسع يظهر فيها بذور الاضـمحلال عـند حلول الغروب حتى يفترشها الظلام ويعمع عليها النوم العميـق ، فأما إن تستيقظ وتبدأ مرة أخرى بفجر جديد ، وأما أن تظل في ثبات هذا النوم حتى يطويها الزمان ويتوقف نبضها في سجلات التاريخ [١] ولذلـك فـإن هناك حضارات قد استمرت بأكثر من فجر جديد مثل مصر الفـرعونية وبـلاد ما بين النهرين والإغريق والرومان والهند والصين – وحضـارات أخرى لم يكن لها سوى فجر واحد فقط لأنها استسلمت للنوم عـندما هبط الظلام عليها وفشلت في أن تستيقظ لتبدأ فجر جديد أي نامت للأبـد في هذا الظلام الدامس، وذلك مثل الحضارة المينوية التي تألقت في جزيرة كريت منذ ما يزيد عن ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، والحضارة الحيثيه الـتي ازدهـرت وكان لها مجد رائع في أسيا الصغرى ، وحضارة مملكة ميـتاني ، الحضـارات الأموريـة والكـنعانية في سوريا وغير ذلك من حضـارات أخرى عديدة في شرق وغرب العالم القديم لم تستمر وأصبحت جـثة هامدة بعد نزح عليها أول ظلام واسكت أنفاسها وهي في غفلة النوم العميق .

ولكـن ليس معنى ذلك أن كل الحضارات التي توقف نبضها عندما انخفض عنها الضوء ودخلت في دائرة الظلام ، قد تم فناء كل أصولها .

---

(١) د . محمـود السـقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – طبعة ١٩٧٤ – مكتبة القاهرة الحديثة – ص ٢٥ وما بعدها .

وإنما الحقيقة أن هذه الأصول ظلت باقية في سكون هذا الظلام إلى أن ورثـتها جماعات أخرى ارتكزت عليها في بناء أسس حضارتها بفجر سطح نوره عليها في زمن آخر جديد .

ومـن اسـتقراء واقـع سجلات التاريخ اتضح إمامنا أن الحضارة الحيثية كانت من أكثر هذه الحضارات التي تألقت وارتفع مجدها في معظم أرجـاء العـالم القديم ، وعلى الأخص في منطقة أسيا الصغرى وكل بقاع جـنوب غرب أسيا ، ثم لفظت أنفاسها في غرابة شديدة بعد فترة قصيرة لا تـزيد عن سبعمائة سنة – كما أن الشعب الحيثي الذي صنعها مازال حتى الآن غير معروف على وجه التحديد موطن ميلاده ، ولم يظهر على مسرح التاريخ إلا بعد أن اشترك في غارة كبرى مع بعض الأجناس الأخرى التي كان من بينها الهكسوس ، وهبط على شمال سوريا حوالي عام ٢١٠٠ ق.م وكان لا يملك أي مقومات تنبأ بقدرته على صنع أي حضارة ، إلا أنه بعد اختـلط بالشـعوب المتحضـرة في سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين واكتسـب مـنهم عناصر وأصول حضارية عديدة استطاع أن يؤسس دولة ويبـني بإعجـاز حضارة متميزة في غفلة من الزمن ، وهذه الدولة أخذت تتسع وتتألق حضارتها إلى أن ظهرت كإمبراطورية كبرى تفوقت في بعض الأحيان على دولتي البابليين والاشوريين في بلاد ما بين النهرين ، وأقامت توازنا للقوى مع الإمبراطورية المصرية القديمة – ثم بعد كل هذا انهارت فجـاءة وأخـذت طريق الانقراض السريع من على مسرح التاريخ وذاب الشعبي الحيثي في بوتقه الأجناس الأخرى واختفي أصله من الوجود ليصبح

بذلــك عديــم الموطــن في الميلاد وعديم الوجود في المآل الأخير بعد أن اندثرت حضارته ودخلت في عالم الميراث والنسيان ٠

وحيــث أن هــذه الحضارة كانت لها دور كبير في علاقات العالم القديــم كما خلفت رغم قصر عمرها العديد من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والثقافية التي لا يمكن إنكارها بعد أثبت العلماء الذين اهتموا بعرضها بأنها كانت من ضمن تراث نظم الحضارات القديمة – فقد رأينا أن نعرض لها دراسة تاريخية وموضوعية في ضوء المتاح أمامنا من الوثــائق الــتاريخية المحدودة التي تم اكتشافها في المواقع الأثرية المختلفة الــتي كــانت ترتكــز فيها بمنطقة أسيا الصغرى وفي بعض مناطق شمال ســوريا – ولذلك فإنه رغم صعوبة هذه الدراسة لعدم وجود مراجع علمية متكاملة تكفي للنهوض بها ، كما أن معظم مقومات ونظم الحضارة الحيثية مازالت في حكم المجهول حتى الآن، لأن الآثار التي عثر عليها كانت قليلة لــلغاية وتم اكتشافها في أوائل القرن العشرين فقط على يد عدد محدود من العلماء – إلا أن أصررنا نحو إعدادها في منهج البحث عن كنوز حضارات الشرق القديم يرجع إلى أسباب عديدة ، أهمها يتلخص في الآتي :

١ – كــانت تمثل حضارة شرقية عظمى في منطقة أسيا الصغرى واســتطاعت أن تــتفوق بقوتهــا وبمدى تطورها على معظم الحضارات الأخرى التي سبقت ظهورها بآلاف السنين في شرق وغرب العالم القديم ٠

٢ – مــن أهــم الحضارات التي قامت على أكتاف غيرها بعد أن استطاعت أن تصقل وتستفيد من الأصول الحضارية التــي اقتبستهـــا من

المجتمعات التي كانت متألقة حضاريا قبل ظهورها بفترة طويلة في أزمان العصور القديمة ٠

٣ – كان لها دور بارز في بناء أصول حضارية متطورة للحضارة العالميـــة فـــي العـــالم القديم ، ويكفي أنها التي اكتشفت خام الحديد بمنطقة الأناضـــول الـــتي كانت تتمركز فيها ، وصنعت منه آلات وأدوات عديدة أذهلت بمتانتها وجمال أشكالها كل المجتمعات الإنسانية التي كانت تعاصر فترة ازدهارها وتألقها في منطقة جنوب غرب آسيا ٠

٤ – مـــن ضمن الحضارات التي وضعت نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وقانونية متميزة في الأزمان التي كانت فيها المجتمعات الشرقية الكـــبرى متألقة حضاريا مثل بلاد ما بين النهرين ومصر الفرعونية والهند والصـــين – الأمر الذي يجعلها ضمن الحضارات التي مثلت عظمة الشرق القديم ٠

٥ – أقـــامت علاقـــات دولية عديدة ومتنوعة مع معظم المجتمعات الحضـــارية الأخرى التي عاصرت فترة تألقها – وهذه العلاقات قد تميزت بالتطور والروابط الإنسانية العميقة ٠

٦ – اســـتطاعت مـــن خـــلال الحروب العديدة التي قامت بها ضد الشعوب الأخرى التي كانت تجاوز حدودها ، أن تصبح إمبراطورية كبرى متسعة المساحة ، حيث سيطرت على معظم مناطق أسيا الصغرى ، وعلى مواقع عديدة في سوريا وفلسطين حتى حدود مصر الفرعونية ، كما احتلت مدن وأقاليم عديدة بالقرب من حدود بلاد ما بين النهرين – وهـــذا التمدد

والاتساع قد ترتب عليه أحداث تاريخية هامة في منطقة أسيا الصغرى وفي جنوب غرب أسيا عموما •

٧ – أنهـا من ضمن الحضارات التي تمثل عجائب الزمن البعيد ، لأن الشعب الحيثي مازال موطن ميلاده في العصر الحجري القديم مجهول حـتى الآن – وصنع حضارة كبرى في منطقة نزح إليها وهو لا يحمل أي عناصـر حضارية نابعة من ذاته – ثم بعد ذلك اختفى من الوجود بعد أن انهارت حضارته وانقرضت من سجلات التاريخ •

٨ – هذه الحضارة قد فقدت توازنها وتصدعت أركانها بالكامل بعد أول صـدام قـوي مـع الجيوش المصرية بقيادة الملك رمسيس الثاني في معـركة قـادش عام ١٢٨٠ ق • م – حيث نالت جيوشها هزيمة ساحقة ، وبسـبب هـذه الهزيمة انهارت قواها وأصبحت فريسة سهلة للقبائل الارية التي انقضت عليها من أواسط أوروبا ومحت وجودها تماما من على مسرح الـتاريخ – بالإضـافة إلى أن هذه القبائل قد زحفت على سوريا وفلسطين ودمرت فيهما مدن وقرى عديدة وهذه القبائل كان يطلق عليها قبائل شعوب الـبحر المحترفة لأعمال السلب والنهب والتخريب ، إلا أنها عندما حاولت غـزو مصـر ، تصدت لها الجيوش المصرية بقيادة الملك رمسيس الثالث وسحقت كل قواتها في عام ١١٦٦ ق• م – أي أن الإمبراطورية المصرية القديمـة هـي السبب الرئيسي في انهيار الإمبراطورية الحيثيه الحديثة بعد معـركة قـادش، وهـي السبب أيضا في القضاء على قبائل شعوب البحر البربرية الذي محت بغاراتهم الشرسة الوجود الحيثي من صفحات التاريخ•

٩ - كانت من أهم المحطات الرئيسية التي نقلت أصول الحضارات الشرقية إلى المجتمعات الغربية - حيث اشتركت بفاعلية مع المدن الفينيقية في نقل هذه الأصول من كل المجتمعات الشرقية التي كانت متألقة حضاريا في جنوب شرق أسيا مثل الصين والهند وفي جنوب غرب أسيا مثل بلاد ما بين النهرين إلى المدن الإغريقية التي كانت تمثل في ذلك الوقت أهم المجتمعات الإنسانية المتحضرة في القارة الأوربية .

وترتيبا على ما تقدم - فإنه في ضوء هذه الأسباب إلى جانب دوافع أخرى متعلقة بحبنا العميق في عرض أمجاد حضارات الشرق القديم - قد رأينا أن نخوض في إعداد هذه الدراسة دون أن نخشى صعوبتها من أجل أن نبرز الدور الذي اشترك به الشعب الحيثي في صنع بعض عناصر الحضارة العالمية القديمة ، وما حققه من إنجازات في وضع النظم المختلفة وعلى الأخص النظم القانونية التي طبقها في تنظيم علاقاته وفي ضبط سلوك إفراده - وذلك حتى لا يكون هناك أحجاف في حق هذا الشعب أو إنكار لكفاحه في صنع حضارة ذات عناصر ونظم شرقية الأصل طوال فترة وجوده على مسرح التاريخ - ولكي تكون دراستنا موضوعية وبعيدة عن الشك والتعقيد وفي تسلسل واضح ومطابق للأحداث التاريخية ، سنقسم هذا البحث إلى ثلاث أبواب على النحو الآتي :

الباب الأول : سنعرض فيه المراحل التاريخية لنشأة المجتمع الحيثي بداية من العصر الحجري القديم ثم مرحلة ظهور الحيثيون على مسرح التاريخ بعد أن نزحوا إلى شمال سوريا في الغارة الكبرى، ونجاحهم

بعد ذلك في تأسيس إمبراطورية كبرى في أسيا الصغرى ، وهذه الإمبراطورية قد أمتد تاريخها إلى فترتين الأولى شملت الإمبراطورية القديمة من عام ١٨٠٠ – ١٥٠٠ ق ٠ م تقريبا ، والثانية شملت الإمبراطورية الحديثة من عام ١٤٠٠ ق ٠ م – إلى أن انهارت وتم محوها من سجلات التاريخ مع بداية عام ١١٨٠ ق ٠ م ٠

الباب الثاني : سنوضح فيه تفصيلا المراحل التطورية لأنهم نظم الحضارة الحيثية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والثقافية بداية من العصر الحجري القديم – ثم العصر الحجري الحديث – ثم المرحلة الأخيرة لفترة وجودها وتألقها في العصور القديمة ٠

الباب الثالث : سنعرض فيه أهم أحكام النظام القانوني للمجتمع الحيثي ٠ حيث سنوضح تفصيلا أهم الأحكام الخاصة بالنظام السياسي ووضع المجتمع الحيثي إلى جانب الأحكام المتعلقة بنظم العلاقات الخارجية وإبرام المعاهدات مع المجتمعات المستقلة التي كانت متألقة حضاريا في شرق وغرب العالم القديم – ثم سنطرح أهم الأحكام الخاصة بنظام الجرائم والعقوبات إلى جانب الأحكام التي كانت تنظم أعمال السلطة القضائية – وأخيرا سنوضح أهم الأحكام المتعلقة بنظام التعامل والتعاقد والملكية إلى جانب الأحكام الخاصة بنظام الأسرة والزواج والطلاق والإرث ٠

ثم ننهي هذه الدراسة بخاتمة نشير فيها إلى أهم النتائج التي تحققت من خلالها في ضوء ما تم عرضه عن هذه الحضارة منذ بداية ظهورها حتى انهيار المجتمع الحيثي ومحو وجوده من على مسرح التاريخ ٠

الباب الأول

المراحل التاريخية لنشأة المجتمع الحيثي

تقديـــم :

ســـنعرض فـــي هذا الباب دراسة تفصيلية عن المراحل التاريخية لنشـــأة المجـــتمع الحيـــثي منذ بداية العصر الحجري القديم الذين كان فيه الحيـــثيين عـــبارة عـــن جماعات متجولة تبحث عن جمع القوت في بقاع مجهولـــة أو غيـــر معـــلومة حتى الآن على وجه التحديد في منطقة أسيا الصـــغرى ، ثـــم نزحوا في غارة كبرى مع بعض الأجناس الأخرى إلى شـــمال سوريا عندما كانوا في النصف الأول لعصيرهم الحجري الحديث ، وبعـــد أن ذاقوا طعم الاستقرار لأول مرة في حياتهم ، وتعلموا نظم عديدة من الشعوب التي كانت تقطن أقاليم وسواحل سوريا ، تطوروا حضاريا في النصف الثاني لعصرهم الحجري الحديث ، ثم تمكنوا بعد أن دخلوا أبواب عصـــورهم القديمـــة أن يؤســـس دولة في عام ١٨٠٠ ق ٠ م ، تطورت وازدهـــرت حضاريا وأصبحت في هيكل إمبراطورية كبرى تنافـــــس أكـــبر قوتيـــن فـــي جنوب غرب أسيا والشرق الأوسط وهما بلاد ما بين الـــنهرين – ومصـــر الفرعونية واستمرت على ذلك فترة تزيد عن سبعة قـــرون ٠إلى أن أصـــبت بالانهيار والانقراض السريع واختفت تماما من صفحات التاريخ ٠

ولكـــي نوضح هذه المراحل في تسلسل واضح وبعيد عن الارتجال في ترتيب الأحداث ٠ سنقسم دراستنا في هذا الباب إلى ثلاثة فصول على النحو الآتي :

الفصل الأول : سنوضح فيه كيفية ظهور الحيثيون على مسرح التاريخ ·

الفصل الثاني : سنتناول فيه الإمبراطورية الحيثية القديمة ، مع بيان أهم الأسباب التي أدت إلى تدهور أوضاعها بداية من عام ١٥٥٠ ق · م ·

الفصل الثالث : سنعرض فيه الإمبراطورية الحيثية الحديثة – مع بيان الأسباب التي أدت إلى محوها من التاريخ ·

الفصـــل الأول

****

ظهور الحيثيون على مسرح التاريخ

مــنذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد كان يعيش في منطقة الشام التي تضم حاليا سوريا ولبنان وفلسطين شعب سامي هم الكنعانيون واخذوا صفة الســامية طبقا لما ورد في العهد القديم في الفصل العاشر من سفر التكوين عن قائمة الشعوب ونسبهم ابتداء بأولاد سيدنا نوح عليه السلام وهم [**سام، حام ، يافث**] وهذه الأسماء تطلق على ثلاث شعوب كبيرة هما **الساميون والحــاميون واليافثيون** [ومعظم العلماء والمؤرخين يستبدلون حاليا الاسم الأخير بأسم **الهنود – الأوروربيين**] وأن **كنعان** كان من أبناء سام – فمن أســرته وازيادها وتفرعها ظهرت جماعة [أل كنعان] ومع مرور الزمن ونمونسل هذه الجماعة ظهروا باسم الكنعانيين – وأنه على هذا الأساس قد أخــذوا صــفة الساميين باعتبار أن جدهم الأعلى **كنعان** هو **ابن سام** ابن سيدنا **نوح** عليه السلام [١] .

توجــد روايات عديدة أوردها علماء الآثار والمؤرخون عن المهد الأول للكنعايــنين ، فالبعض منهم قال وهم قلة بأن موطنهم الأصلي أرض الشـــام ، أي أنهم من سكان البلاد الأصليين ، في حين قرر البعض الآخر عكس ذلك وهم يمثلون الأغلبية بأن موطنهم الأصلي بلاد العرب ، ونزحوا منها بعد أن جفت المعيشة وضاق بهم الرزق ، فسلكوا طريق بوغار باب المــندب ثــم نــزلوا عند مصب نهري دجلة والفرات ، واتجهوا بعد ذلك

---

(1) G. Contenau – La civilisation phénicienne – Paris- 1922 – pp 386 – 387.

صـــوب بلاد الشام ، وانتشروا في كل من سوريا ولبنان وفلسطين ، وأن ســوريا كان يوجد فيها شعب من قبل كان يطلق عليه الاموريين ، كان قد هاجر إليها من أسيا الصغرى قبل وصول الكنانيين بما يزيد عن خمسمائة ســنة ولــذا كــانت سوريا تسمى ببلاد [امورو] عندما هبط في أرضها الكنعانيين – وقد علل هؤلاء العلماء والمؤرخين هجرة الكنعانيين من بلاد العــرب إلى الشــام بأن بلاد العرب كانت في قديم الأزل مليئة بالخيرات والجــو المعــتدل الــذي يسمح بمعيشة الإنسان البدائي ، كما كانت تعطيه الفرصــة لكــي يــتطور ويخرج من مرحلة جمع القوت إلى مرحلة إنتاج القوت بسهولة ، وأنه على هذا الأساس كانت هذه البلاد [كما تشير الآثار] مزدحمة بالسكان وتعبر تماما بأنها من أهم المناطق الأولى لمهد الإنسانية ، إلا أنــه مع قرب نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد ، قد تغيرت الأحوال في هذه البلاد ولم تعد الأمطار تسقط بانتظام ، وحدث جفاف في بعض الآبار، ممــا أدى إلى صــعوبة المعيشة وضيق الرزق في بعض الفترات ، وانه أمــام ذلك كان يحدث خلال كل دورة معنية معيشة يشتد فيها هذا الجفاف هجرة لبعض الجماعات والقبائل إلى مناطق أخرى يكون فيها الرزق وفير – وكــان ضــمن هؤلاء المهاجرين شعب الكنعانيين – ومعظم المؤرخون العــرب يؤيــدون هــذه النظرية ويقولون بأن الكنعانيين قد عبروا مضيق الجزيــرة العربية من مصب الفرات إلى وادي الأردن ثم اتجهوا إلى بلاد الشــام عــندما حدث جدب شديد في موطنهم الأصلي في بلاد العــرب ، وأنهم كانوا مكتسبين الصفات الحضارية الخاصة بالنصف الأول لعصرهم

الحجـري الحديـث ، ولـذا قـد تمكنوا سهولة من القيام بأعمال الرعي والزراعة في أرض الشام بعد أن اندمجوا اندماج كامل مع الأموريين الذين كـانوا موجديـن بالبلاد ، وتطوروا في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والـثقافية بعد ذلك خلال فترات زمنية قصيرة ، وخاصة بعد أن دخلوا في علاقـات قوية مع مصر التي كانت في ذلك الزمان متألقة حضاريا ، وأن المصريين الذين ينسبون إلى حام بن سيدنا نوح عليه السلام ، وأخذوا صفة الحـاميون قـد تعاونوا معهم ودعموهم بدون بخل بأصول ونظم حضارية عديـدة كانت خير عون لهم في أن يسلكوا سبل التطور دون أن يتعرضوا لأي عناء شديد (١) .

وفـي أوائـل الألف الثالثة قبل الميلاد ظهرت على سواحل سوريا ولبـنان حضارة بحرية أسسها الفينيقيون حيث قاموا بناء مدن عديدة على هذا الساحل مثل صور * ، صيدا ، اجاريت ، ارادوس (ارواد حاليا) ، انطـرادوس (طـرطوس حاليا) مراتوس (عمريت حاليا) ، سيميرا ، جـبيل بيريت (بيروت حاليا) ، افقا ، طرابلس ، ۰۰۰۰ واستطاعوا أن يـتألقوا بهـذه الحضـارة ويصبحوا من خلالها ثاني الشعوب التي أسست

---

(1) G. Maspero – Histoire ancienne des peuples de l'orient – 3 vol . Paris – 1908 – pp 53 ets .

* يقـال في الروايات التاريخية أن مدينة صور قد تم تأسيسهـا في عـام ٢٧٥٠ ق ٠م ٠

حضـــارتها عــلى نظــم وأصول بحرية وتجارية في تاريخ البشرية بعد الكريتين .

وقد اختلف العلماء والمؤرخين في تحديد الموطن الأصلي للفينيقيين فالبعض استند إلى ما جاء بالعهد القديم في الفصل العاشر من سفر التكوين بـــأن الفيـــنيقيين من أصل سكان البلاد وأنهم من ضمن المجموعة السامية عــلى أســـاس أنه ورد في هذا **العهد** بأن اسم صيدا يمثل فينيقية كلها في شخص رجل واحد هو الولد البكر من أبناء كنعان ، **وكنعان** من أبناء **سام**، وســـام من أبناء سيدنا نوح عليه السلام ، وأنه لهذا السبب كان دائما يطلق على الفينيقيين اسم الصيداويين - في حين البعض الأخر يقرر عكس ذلك بـــأن الفيـــنيقيين ليسوا من سكان البلاد الأصليين وإنما نزحوا من موطنهم الأصـــلي في أسيا الصغرى أو فروا هاربين من منطقة الخليج الفارسي أو من منطقة البحر الارتيري حين افزعتهم الزلازل وجف بهم الرزق ونزلوا أولا على ضفاف البحيرة الاشورية ثم اتجهوا إلى شواطئ البحر الأبيض، وبنوا أولا مدينة سموها صيدا على الساحل السوري بسبب احترافهم صيد الأســماك ، ثــم شيدوا بعد ذلك مدن عديدة أسسوا بها حضارتهم البحرية التجارية وعاشوا واندمجوا مع الكنعانيين والاموريين - ونتيجة لما أسفرت عــنه الآثـــار التي تم اكتشافها منذ أوائل القرن العشرين في المناطق التي ازدهـــرت فيها حضارة الفينيقيين بسوريا ولبنان قد أصبح الرأي الثاني هو الأرجح على أساس أن معظم هذه الآثار تشير بأن الفينيقيين ليســـوا من

سـكان الـبلاد الأصليين ، وإنما نزحوا إليها مهاجرين من إحدى المناطق المشـار إليهـا ، وكانوا يحملون صفات حضارية خاصة بالنصف الأول لعصرهم الحجري الحديث [١] .

وحيـث أن مـنطقة الشـام وشواطئها المطلة على البحر الأبيض المتوسـط قـد أصبحت بذلك متألقة حضاريا ومليئة بالخيرات إلى جانب الحـركة النشطة للتجارة البحرية التي تميز بها الفينيقيون الذين تمكنوا من خلالهـا أن يسـيطروا بسـفنهم واسـاطليهم العملاقة على معظم تجارة المجـتمعات الحضارية في العالم القديم – فإن هذا قد جعلها منذ بداية عام ٢٥٠٠ ق . م تـتعرض لغـزوات شرسـة من القبائل التي كانت تتجول للسـلب والـنهب في مناطق أسيا الصغرى كما جعلها أيضا مطمعا كبيرا للمأوى والاستقرار من جانب الشعوب التي كانت تبحث عن المناطق ذات الـرزق الوفير لكي تنزح إليها وتعيش فيها وتستقر حتى لو أضطر الأمر بها أن تقاتل أهلها [٢] .

وعـلى أثـر ذلـك يقول العلماء والمؤرخين بأنه مع اقتراب عام ٢٤٠٠ ق . م تقريـبا ، نـزحت جماعـات عديـدة من شعبي الحوريين

---

(1) G. Contenau. La civilisation des Hittites et des hurrites du Mitanni op . paris – 1948 – pp 11 ets .
(2) A. Moret – Des clans aux Empire – paris – 1923 – pp 268 ets .

والكاشـــيين إلى أراضي سوريا وفلسطين وانتشروا فيها بعد أن استطاعوا أن يـــندمجوا فـــي حياة مشتركة مع الكنعانيين والاموريين كما تمكنوا أن يمارسوا التجارة نتيجة العلاقات التي أقاموها مع المدن الفينيقية المستقلة - **وأصـــل الحوريـيـــن** كما هو وارد في المصادر التاريخية وما أسفرت عنه حفائـــر رأس شمرا ، بأنه في عصر الأسرة الاكدية في النصف الأول من الألـــف الثالثة قبل الميلاد ، كان الشمال والشمال الغربي من أشور يؤلف وحـــدة جغرافية يطلق عليها اسم بلاد سوبارو Subaru ، وفي أول الألف الـــثانية قـــبل الميلاد أسس سكان هذه المنطقة وهم الحوريين الذين ينتمون للكتـــلة الأســـيوية ويعتبرون من الشعوب الأصلية الأولى في آسيا الغربية مملكتين الأولى مملكه ميتاني وهي أبعد إلى الشرق والثانية مملكه حوري وكـــانت تقع غرب المملكة الأولى ، وأن مجال الحوريين قد تجاوز حدود المملكـــتين الواقعـــتين تحت سيادتهما حيث انتشروا في أشور وفي سوريا وفلســـطين نتيجة هجرة بعضهم وكان لهم في بعض الأحيان نفوذ في هذه الـــبلاد وكانت عقائدهم الأولى عبارة عن أديانا طبيعية حيث كانوا يعبدون قـــوات الإخصـــاب وقوة الإنبات ممثلتين في شخصيتين مقدستين **أما أصل الكاشيين** - فهم أيضا ينتمون للكتلة الأسيوية ومن جنس [الهندو أوروبين] ومن الشعوب الأولى في أسيا الغربية وموطنهم الأصلي أيران ثم انتشروا فـــي بلاد ما بين النهرين بعد إن هاجر عدد منهم في أول آلاف الثانية قبل الميلاد إلى سوريا وفلسطين ، وأنه خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد قد اشـــتد نفوذهـــم في بلاد ما بين النهرين واستطاعوا على أثر ذلك بعد فترة قصيرة أن يسيطروا على جزءا

من وادي الرافدين قبل نهاية الأسرة البابلية الأولى (١) .

وعلى أثر ذلك أصبحت سوريا ولبنان وفلسطين تضم شعوبا مختلفة الأجناس أهمهم حسب الترتيب التاريخي لوجودهم ، الاموريين ، الكنعانيين الفينيقيين ، الحوريين ، الكاشيين ، انتشروا جميعا في هذا البلاد واندمجوا في حياة مشتركة – وحيث أنهم قد تطوروا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وجعلوا بلاد الشام تكتسب شهرة بالرزق الوفير ، وبأنها يمكن أن تكون مأوى وملاذا طيبا لأي شعب يبحث عن الرزق والاستقرار – فقد كان نتيجة ذلك كما يقول معظم العلماء والمؤرخين إن حدثت **غارة مروعة** جاءت من أسيا الصغرى بسبب هجرة كثيفة لشعوب مختلفة حوالي عام ٢١٠٠ ق ٠ م انقضت على شمال سوريا ، وأخذت تحتاج ما قرب منها إلى أن أغرقت كل أراضي سوريا وفلسطين [فيما عدا المدن الإغريقية التي كانت على الساحل حيث أنها كانت محصنة بأسوار عالية وبخطوط دفاع قوية منعت إلى حد ما دخولهم إليها في بداية هذه الهجرة] وكان عدد هؤلاء المغيرون كبيرا جدا ، كما كانوا يتألفون من جملة شعوب مختلفة من أسيا الصغرى – وكان من بينهم الحيثيون والهكسوس ، وحيث كان الحيثين عددهم ليس كثير ولا يحملون من الأسلحة التي تساعدهم على مواصلة الزحف لاكتشاف خيرات كل بلاد الشام ، فقد توقفوا في بداية هبوطهم في مناطق سوريا العليا فقط وانتشروا فيها – أما الهكسوس فلم يلتزموا مثلهم

---

(1) L. W. king – chronicles concerning Early Bobylonian kings – london – 1907 – pp 23 ets .

وإنمـــا استمروا في الزحف لان عددهم كان كبيرا ويمثل تقريبا ثلثي عدد جميع الشعوب التي اشتركت معهم في هذه الغارة ، كما أنهم كانوا يحملون أسلحة ضخمة ومتطورة ومعظمها كان غير معروف على الإطلاق في كل المجـــتمعات الحضارية في الشرق الأوسط مثل العجلات الحربية والخيول المدربـــة على أعمال القتال والأسلحة القوية المصنوعة من سبائك البرونز والنحاس . ولذا فقد واصلوا الزحف وشردوا الكثير من أهل البلاد ودفعوا بعضهم نحو الشواطئ والبعض الآخر ساقوه أمامهم ، وبعد أن اجتازوا كل الأراضـــي الفلسطينية ، قام معظمهم بقيادة زعيمهم (سلايتس) بالزحف عـــلى مصـــر وتمكـــنوا من عبور مداخلها دون أن تعوقهم حدود سيناء ، ودخولهـــا دون حرب على حد قول المؤرخ مانيتون [١] ، واستقروا عنوه بالدلـــتا وهـــي اخصب بقاعها وأغناها ، واستبدوا بأمرها وذلك في حدود عـــام ١٩٣٠ ق٠م الميلاد تقريبا ، وهذه الحقبة الأليمة من تاريخ مصر عـــرفت باســـم عصر سيادة الرعاة لان اسم هكسوس باليونانية يتكون من كلمتين " هك " بمعنى ملك و (وسوس) بمعنى راعي ، وبالتالي فإن اسم الهكســـوس بالمعـــنى اليوناني (الملوك الرعاة) – وسيادة الهكسوس في مصر لم تتعد الدلتا التي جعلوا فيها [اواريس] عاصمة لهم ومكث بداخلها ملكهم الأول (سلاتيس) الذي حصنها بحامية عددها ٢٤٠,٠٠٠ جندي – أمـــا المـــلوك القوميـــن فقد ظلوا مقيمين في جنوب البلاد حتى جاء عام ١٥٨٠ ق٠م ٠

---

(1) A.H. GARDINER – the defeat of the hyksos by kamose the cormarvon tablet No. 1 – New york – 1916 pp 13 ets .

ونهض أهل الجنوب إلى الشمال بقيادة الملك أحمس وتم طردهم إلى خارج البلاد بعد تحطيم كل قواتهم الحربية [١] ، ثم تابعهم أحمس بعد ذلك للقضاء عليهم في سوريا كما سنرى فيما بعد ٠

أما بالنسبة **للحيثيون** الذين اكتفوا في بداية نزحهم بالبقاء في شمال سوريا لعدم قدرتهم على التوغل في باقي أراضي الشام أو في الأقاليم الأخرى المليئة بالخيرات مثل الهكسوس وذلك بسبب ضعف إمكانياتهم ٠٠٠ فقد اختلفت آراء العلماء والمؤرخين في نوع جنسهم وفي تحديد موطنهم الأصلي الذي نزحوا منه إلى أرض الشام في الغارة الكبرى السابق الإشارة إليها – **فالرأي الأول** : قرر بأنهم لا ينتمون إلى أي جنس من الأجناس الثلاثة [الساميون – الحاميون – الهندو – أوروبيون] وموطنهم الأصلي جبال زاجوراس وكانوا لا يعرفون شيئا عن أي نظم حضارية سوى أعمال الصيد والرعي – **والرأي الثاني** : أشار بأنهم من الجنس المغولي وموطنهم الأصلي شمال الصين وكانت حرفتهم الوحيدة أعمال الصيد والرعي – **والرأي الثالث** : قرر بأنهم من الجنس الأري الذي كان يستوطن في هضاب جبال فارس وفروا من هذه المنطقة بعد أن تعرضت لزلزال شديد واتجهوا صوب أرض الشام – **والرأي الرابع** : قرر بأنهم من ضمن فصائل الهكسوس وكان يتجولون في مناطق أسيا ٠

---

(١) د ٠ نجيب ميخائيل إبراهيم ٠ مصر والشرق الأدنى القديم – الجزء الأول – مصر – الكتاب الأول – الطبعة الثانية – يناير ١٩٥٧ – مؤسسة المطبوعات الحديثة بالإسكندرية – ص ٣٢٢ وما بعدها ٠

الصـــغرى دون أن يكون لهم موقع محدد – **والرأي الخامس** : وهو الذي يقـــرره معظم العلماء والمؤرخين ، بأنهم من الجنس السامي وكانوا عبارة عن بدو رحل ، وموطنهم الأصلي كان يقع في أحد مناطق أسيا الصغرى ، وحرفتهم الأساسية كانت قائمة على أعمال الرعي والصيد وإن ذكرهم قد ورد في التوراة في مواضع متعدده [سفر التكوين – الاصحاح ١٥ ، ١٨ – ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٣ – ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٦] وعـــنه أخـــذ اســـــــم الحيثيين [١] .

ونحـــن نرى أن **الرأي الخامس** هو الأقرب للصواب ، لأن معظم الآثار التي عثر عليها في منطقة [رأس شمرا] تشير معظمها إلى ذلك ، بـــأنهم كـــانوا يحمـــلوا صـــفات حضارية تتعلق بالنصف الأول لعصرهم الحجري الحديث عندما هبطوا في شمال سوريا ، وبأنهم من ضمن الكتلة الأسيوية التي تنتمي إلى الأصل السامي ، وكانوا في صورة شعب منفصل

---

(1) R. Dussaud. Les Religions des Hittite et des Hourrites . des pheniciens et des syriens – paris 1945- pp 16 ets .
- A. Aymard et j.Auboyer – Histoire Generale des civilisation – Tome – I – L'orient et la GRECE Antique – paris – 1962 – pp 203 – 204 .

- الكســـندر شـــارف – تـــاريخ مصر ٠ من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الاســـكندرية – تـــرجمة د / عبد المنعم أبو بكر ، مراجعة د / مراد كامل – مطبعة اطلس بالقاهرة – ص ١٠٧ – ص ١١١ ٠

- د / محمـــود الســـقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٣٣٩ ٠

عـن الشعوب الأولى التي اشتركت معهم في الغارة الكبرى لان الفحوص الخاصـة لجـثث موتاهم وهم في الحقبة الأولى لبداية وجودهم في شمال سـوريا تشـير بأنهم شعب أسيوي ، وكانوا يتميزون في إشكالهم بجمجمة مسـطحة عند مؤخرة الرأس غير بارزة للخلف ، وبجبهة ضيقة منخسرة غيـر بارزة عن الوجه ، وبأنف مقوس ، وحواجب بارزة – كما دلت هذه الآثـار ، بأن معلوماتهم عن فنون الزراعة والتجارة والأنشطة الاقتصادية والاجـتماعية المختلفة كانت محدودة للغاية ، وأن درايتهم بالفنون والعلوم الإنسـانية كـانت شبه معدومة ، وليست لهم نظم سياسية محدده وعقائدهم الديـنية كانت تنحصر في عبادة قوى الطبيعة وقائمة على الخوف والرهبة أكثر من الورع والتقوى [1] .

وعـلى هـذا الأسـاس كانت حضارتهم متخلفة أو أقل بكثير من حضـارة سـكان البلاد الذين استقروا فيها قبلهم منذ مئات السنيين ، وهم الاموريـين والكنعانيين والفينيقيين ثم الحوريين والكاشيين ، حيث وصلوا إلى مرحلة متقدمة في ممارسة أعمال الزراعة والرعي والتجارة كما كانت لديهم دراية متسعة بعلوم إنسانية عديدة وحياتهم الاجتماعية والثقافية كانت مـتطورة إلى جـانب معرفتهم للنظم السياسية الخاصة بالعلاقات وطبيعة الحياة داخل القرى والمدن .

---

(1) E. Cavaignac – Ras shamra et L' Empire hittite : Revue Hittite et Asianque – paris – 1930 – p 240 .

وحيث اتخذ الحيثيون صفة الاستكانة في بداية حياتهم كما يقول معظم العلماء والمؤرخين ولم يتخذوا صفة الغزاة الفاتحين مثل ما فعل الهكسوس – فقد استطاعوا بعد أن مكثوا في شمال سوريا أن ينتشروا فيها ويختلطوا مع سكان البلاد ويندمجوا معهم في حياة هادئة دون أن يثيروا في علاقاتهم أي مشاكل أو منازعات ، واستمروا على هذا الوضع مدة تزيد عن خمسين عاما ، حققوا خلالها إنجازات حضارية عديدة وهائلة حيث تعلموا من سكان هذه المنطقة أصول الزراعة والرعي والتجارة وبعض الصناعات والحرف اليدوية المختلفة ، كما عرفوا علوم إنسانية كثيرة وسعت إدراكهم وهذبت أفكارهم عن العقائد الدينية ، وجعلتهم ملمين ببعض الأمور الخاصة بأصول الحياة وبطبيعة الكون ، إلى جانب أنها قد مكنتهم من اكتساب بعض النظم السياسية الخاصة بالعلاقات والحياة داخل المدن (١) .

وعلى أثر هذا التطور الكبير الذي اكتسبوه من سكان هذه المنطقة والذي أصبحوا من خلاله يعيشون في مرحلة حضارية متقدمة خاصة بالنصف الثاني للعصر الحجري الحديث – قد بدأت الأحلام تراوضهم في أن يكون لهم مجتمع خاص في منطقة معينة يستقلوا بها ويظهروا فيها مكانتهم بدلا من حياة الانتشار والتشتت وخاصة بعد أن ازداد عددهم

---

(1) B. Hrozny – sur un cachet Hittite hiéroglyphique de Ras – shamra – Paris – 1939 – pp 55 – 57 .

بالتناسـل كمـا انضـم إلى صفوفهم أجناس أخرى نتيجة عمليات الزواج والمصـاهرة والروابط الاجتماعية العديدة التي كانوا يحرصون دائما على تدعيمهـا مع سكان المنطقة طوال فترة حياتهم السابقة – وهذه الأحلام قد بدأت تظهر في آفاقهم ويسعون إلى تحقيقها للأسباب عديدة أهمها يتلخص في الآتي :

١ – المحافظـة على أصل جنسهم من الاندثار حيث رأي شيوخهم وزعمـائهم أنهـم مـن الممكن أن يذابون في طيات الأجناس الأخرى مع مـرور الزمن مثل ما حدث لقبائل كثيرة كانت مشتركة معهم في الزحف ودخل بعضها في صفوف الهكسوس والبعض الآخر تاهت معالمها الأصلية داخل الكنعانيين والفينيقيين والحوريين .

٢ – حياتهم الحالية إذا كانت هادئة ومستقرة ، إلا أنها عرضة في أي وقـت للاضـطراب والضـياع والتشـتت لو تعرضت المنطقة التي يتواجدون فيها مع الأجناس الأخرى لعمليات غزو أوسطو مسلح من القبائل التي تتجول للنهب والسلب في أسيا الغربية أو لو جاءت عليهم غارة هجرة كـبرى مـن الشعوب التي تبحث عن المناطق التي يتوافر فيه الاستقرار ومصادر الرزق العديدة والمتنوعة .

٣ – المكاسب الحضارية التي حققوها من اختلاطهم واندماجهم مع سكان منطقة شمال سوريا لا يمكن المحافظة عليها وتنميتها واستثمارها إلا إذا كان لهم إقليم مستقل يجمعهم في كيان سياسي واحد ، ويوفر لهـم أكبر

قـدر مـن الأمـان والسلام والاستقرار الدائم داخل حدود معينة تخصهم ويتمكنوا من حمايتها والدفاع عنها ضد أي اعتداء أجنبي ·

٤ – الرغـبة الجامحـة فـي أن يكونوا مثل بعض الشعوب التي اشـتركت معهم في الغارة الكبرى ، ونجحت في تأسيس ممالك قوية مثل الهكسوس ، أو أن يكونوا على الأقل مثل بعض الشعوب التي تعيش معهم حاليـا وتمكنت من أن يكون لها نفوذ قوي ومدن مستقلة في مناطق عديدة مثل الحوريين والكاشيين ·

٥ – استغلال الأحوال السياسية المتعكرة والصراعات المحتدمة بين بعض المجتمعات الحضارية في ذلك الوقت في أن يظهروا كيانهم السياسي المتحد دون أن يصابوا بضربه قوية تحطم قوتهم ومجهوداتهم ، وتبدد كل أهدافهـم وأمالهم ، لأنه لو كانت الأوضاع السياسية هادئة ، ولم تسمح لهم فـإن القـوي الكبرى في شرق وغرب العالم القديم كانت لم تسمح لهم أن يكونوا مجتمع مستقل يصنعوا به وطن قومي يلم شملهم [١] .

---

(1) R.Dussaud – las Religions des Hittite – op . cit – pp 73 ets .
- G. Contenau. La civilisation des Hittites .... Op . cit – pp 95 ets .
- E. Cavaignac – Ras shamra et I. Empir Hittite.... op . cit – pp 173 ets .

وأمام هذا الأسلوب أخذوا يتحركوا لانتهاز الفرصة التي تمكنهم من تحقيق أهدافهم – وأثناء هذا التحرك كان رأي زعمائهم في البداية أن يتخذوا من المنطقة التي تقع في شمال سوريا إقليم مستقل يحتوي في المرحلة الأولى كيـــانهم ثـــم يتمددوا بعد ذلك بالقوة لكي يسيطروا ويستولوا على المناطق الأخـــرى التي تجاورهم في الجنوب والغرب والشرق والشمال حتى يتسع مـــلكهم ويؤسسوا إمبراطورية كبرى تشمل كل مناطق سوريا وفلسطين – إلا أن هذا التخطيط قد فشل حيث انكشف أمرهم وتلقوا ضربات شديدة من جانب **الكنعانيين والفينيقيين** إلى جانب الأجناس الأخرى التي كانت تتواجد فـــي الأراضي السورية ولها مصالح في أن تبقى الأوضاع كما هي بدون أي تغيـــرات فـــي القـــوى أو في ترتيب توازن الأحداث الجارية – وهذه الضـــربات كـــانت مـــتلاحقة وأنهكـــت من شدتها قوتهم وشتت أفكارهم بالإضـــافة أنهم قد أصبحوا في نظر الأجناس الأخرى غير مرغوب فيهم وبـــتواجدهم داخل كل الأراضي السورية ، ولذلك تعرضوا لثورة اضطهاد قاســـية من أجل نزع أقدامهم وقذفهم إلى خارج المنطقة ، وعن هذا الثورة الاضطهادية يقول بعض المؤرخين بأنها كانت أول صدمة تلقاها الحيثيون فـــي بدايـــة حياتهم عندما فكروا في إن يكون لهم إقليم مستقل يلم شملهم ، وأن هـــذه الثورة كانت كفيلة تماما بأن تقضي عليهم وتجعلهم يذوبون في طيات الأجناس الأخرى أو ينصهرون في بوتقة إحدى القوى الكبرى التي كانت لها من يمثلها في سوريا وفلسطين ، ويصبحوا بذلك وهم في بكورة

حياتهم المستقرة في طي النسيان [١] .

ونتيجة لذلك أخذ الحيثيون يتجهون فرراً صوب المناطق التي توجد فـي أقصى شمال سوريا ، والتي تقع معظمها حاليا في تركيا من أجل أن يسـتقروا فيهـا بعيدا عن المشاكل والمنازعات التي تعرضوا لها وأنهكت الكثير من قوتهم ، ولم يكن في تفكيرهم على الإطلاق وهم يتجهون صوب هـذه المـناطق أن يسـتقلوا بها ويؤسس فيها إقليم مستقل بهم كما كانوا يفكـرون فـي البداية في منطقة شمال سوريا ، وإنما كان هدفهم فقط هو اللجوء إليها ليستقروا فيها بعيدا عن اضطهاد سكان البلاد [٢] .

وحيـث أنهم قد اكتسبوا خبرات كبيرة في فنون الزراعة والرعي إلى جانب بعض الصناعات والحرف اليدوية المختلفة من سكان البلاد كما سـبق أن وضـحنا – فقـد تمكنوا بداية من عام ١٨٧٠ ق.م تقريبا أن يستصـلحوا أراضي هذه المناطق ويزرعوها بمحاصيل عديدة كما ابتكروا صـناعات متنوعة وبنوا منازل أقاموا فيها ، واستمروا على ذلك على أن نجحوا في تأسيس قرى ومدن مستقلة بهم في سهول نهر كيزيل حتى جبال الأناضول وذلك في خلال مائة عام تقريبا ، وكانت كل مدينة أو قرية لها كيـان مستقل تماما عن الأخرى ، ولها زعيم خاص بها وكان في الغالب

---

(1) B. Hrozny – sur un cachet hittite hieroglyphique de Ras shamra – op . cit – pp 103 ets .
(2) R. Dussaud – les Religions des hittite ….. op. cit pp 107 – 109 .

هـذا الـزعيم هو أكبر أغنيائها أو أكبر مالك للأراضي الزراعية ، لأنـه خـلال تطـور هذه القرى والمدن ظهر عندهم النظام الإقطاعي وانقسـم سكان كل مدينة أو قرية إلى أغنياء وفقراء [١] وذلك كما سنرى في الفصل القادم .

(1) L. Delaporte – les Hittite – paris – 1936 – pp 84 ets .
- D. Kahn – scietistist of cod ….. Analysis civilized study- New york- 1966- pp 142 – 147 .

الفصـــل الثانـــي

****

الإمبراطوريـــة الحيثية القديمـــة
وأهم أسباب تدهور أوضاعها
السياسيـــة

تمكـن الحيثيون من تكوين قرى ومدن عديدة بداية من عام ١٨٤٠ ق ٠ م فـي المناطق التي تقع في أقصى شمال سوريا والتي معظمها يقع حاليا في تركيا – وكانت هذه المناطق من قبل غير أهله بالسكان وأراضيها غيـر مزروعة رغم أنها خصبة لوجود معظمها في سهول ووديان قريبة من نهـر كيزيل ، وبالتالي لم تكن ذات أهمية في نظر معظم الشعوب التي كـانت تبحث عن المناطق الوفيرة بالرزق ، كما لم تكن تحت سيطرة أو نفوذ أي قوي كبرى من الإمبراطوريات العظمى التي كانت توجد في العالم القديـم في ذلك الوقت ٠ ولذا فإن الحيثيين قد فضلوا اللجوء إليها لأسباب عديدة أهمها ما يلي :

١ – أنهـا تقـع قريبة من المناطق التي كانوا يستقروا فيها بشمال سوريا ، ومن السهل عليهم التحرك نحوها في جماعات دون أن يتعرضوا لعناء شديد ٠

٢ – أنهـا مـناطق يسـهل الـتجمع فيها والعيش في بقاعها حياة اجـتماعية مشـتركة تحميهم من التعرض للتشتت الذي عانوا منه وذاقوا مرارته قبل أن يدخلوا الأراضي السورية في الغارة الكبرى ٠

٣ – أنها بعيدة عن حركة الاضطهاد التي تعرضوا لها في سوريا بعـد ما أنكشف مخططهم في السيطرة على المنطقة الشمالية ليستقلوا بها كـبداية لتأسـيس إمـبراطورية كـبرى لهم تشمل كل الأراضي السورية والفلسطينية ٠

٤ – أنها غير واقعة تحت سيطرة أو نفوذ أي دولة أو قوى كبرى مــن الإمــبراطوريات العظمى التي كانت توجد في تلك الوقت في العالم القديــم ، وذلــك حــتى لا يــنازعهم أحد عليها ويدخلوا معهم في مشاكل ومــنازعات وهم غير قادرين مطلقا على مواجهة هذه الأمور أثناء قيامهم بتكوين الأسس الأولية لبناء كيانهم الذاتي •

٥ – أنهــا مــناطق من الممكن استثمارها في الزراعة والرعي لو اهــتموا بهــا فــي ضوء ما اكتسبوه من خبرة في أعمال الفلاحة وتربية المواشي والأغنام إلى جانب التجارة والعلوم إنسانية الأخرى التي تعلموها مــن اخــتلاطهم واندماجهم مع سكان سوريا بعد أن دخلوها في الغــارة الكبرى [١] •

وعــلى هــذا الأساس يقول بعض العلماء والمؤرخين بأن المناطق الــتي اتجهــت صوبها فلول الحيثيين في أقصى شمال الأراضي السورية ليســتقلوا بهــا ، كــانت خير ملاذ لهم وأنقذتهم من الضياع أو التشتت أو الذوبان في داخل أجناس أخرى [٢] •

---

(1) R. Dussaud – Les Religions des Hittite ….. op . cit – pp 112 ets.
- G. Contenau – la civilisation des Hittite … op. cit – pp 78 ets .
- E. cavaignac – Ras shamra et L'empire Hittite … op. cit p . 243 .

(2) A. Maret – Des clans aux Empire – op . cit – p 273 .

ومن استقراء ذلك يتضح أنه لم يكن لدي الحيثيين في بداية دخولهم لهـذه المناطق أي أفكار محددة بتأسيس دولة أو إمبراطورية كبرى فيها – وإنمـا كـان هدفهـم الوحيد فقط هو أن يعيشوا في بقاعها حياة اجتماعية مشتركة بعيدا عن المشاكل والمنازعات ، ولذا استقرت كل مجموعة منهم فـي مـنطقة معينة وأخذت تجتهد في استثمارها بالزراعة والرعي حتى جعلوا منها قرية أو مدينة مزهرة بعد ذلك ٠

وحيث سبق أن أشرنا في المبحث السابق أن الحيثيين قد زاد عددهم خـلال الخمسـون عاما من تواجدهم في الأراضي السورية من أثر النمو التناسـلي إلى جانب اجتذابهم لأجناس أخرى من التي كانت موجودة معهم مثل الكنعانيين والاموريين والفينيقيين والكاشيين والحوريين والهكسوس من أثر عمليات الزواج والمصاهرة والروابط الاجتماعية التي قامت بينهم على المصالح المشتركة الوطيدة – فإن الحيثيين لم يدخلوا هذه المناطق لوحدهم وإنما دخل معهم بعض الأجناس الأخرى الذين ارتبطوا بهم واندمجوا تماما معهـم فـي حياة اجتماعية مشتركة يصعب فصلها ، وهذه الأجناس كانت لديهـا خـبرات كـبيرة فـي عمليات استصلاح الأراضي وتمهيد التربة وزراعـتها بمحاصـيل عديدة إلى جانب خبرات أخرى عديدة في الرعي والصناعة والتجارة والعلوم الإنسانية المختلفة ، الأمر الذي جعل وجودهم معهـم يحقـق لهم فوائد عديدة في حياتهم الجديدة داخل هذه المناطق التي نزحوا إليها ليستقروا في بقاعها بعيدا عن أي مشاكـل أو منازعـات

تقلق استقرارهم [١] .

وعلى أثر هذه الأوضاع والإمكانيات المتاحة لدى الحيثيين ومن انضم إليهم من الأجناس الأخرى التي انصهرت في بوتقة طبيعة حياتهم الاجتماعية – استصلاح أراضي شاسعة وزراعتها بمحاصيل مختلفة ، ولم يمر أكثر من خمسين عاما إلا وأصبحت عبارة عن قرى ومدن غنية بالمحاصيل الزراعية الوفيرة ، إلى جانب اشتهارها بصناعات عديدة ومتميزة مثل الفخار والنسيج وصهر المعادن [٢] [وذلك كما سنرى في الباب الثاني] .

وعلى أثر هذا التطور الحضاري الذي أخذ سمات متميزة لطابع نهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصور القديمة – كانت الحياة داخل هذه القرى والمدن مليئة بالحركة والنشاط ، فقد شيد الأفراد منازل اتصفت بالمتانة والشكل الهندسي الرائع حيث بنوها من الحجارة المرصوصة والطين المحروق فوق تبة ارتفاعها حوالي متر ونصف من الحصى المدكوك وذلك لحمايتها من الحشرات والضواري وأتربة الطريق وسيول الأمطار ، وكان كل منزل عبارة عن دور واحد وسقفه من خشب الأشجار أو من الحجارة المرصوصة على أعمدة خشبية عرضية مثبتة فوق أعمدة

---

(1) G. Maspero – Histoire ancienne des peuples de l'orient- op . cit . pp 67 – 69 .

(2) L. W. King – chronicles concerning Early Bobylonian kings – op . cit – p 63 .

أخــرى طويــلة ملتفة حول المنزل وملتصقة بجدرانه – وهذا المنزل كان يــتكون من حجرة أو حجرتين للنوم وحجرة للطعام وحجرة كبيرة للمعيشة وحجــرة أخــرى في نفس مساحتها لاستقبال الضيوف ، ومخزن صغير لتخزين الغلال واللوازم الخاصة بوسائل المعيشة .

وكان بكل مدينة أو قرية شوارع رئيسية وحارات جانبية أراضيها ممهــدة من الأتربة المدكوكة بعد خلطها بالحصى الصغير وكان يسير في هــذه الشوارع والحارات عربات بعجلتين أو بأربع عجلات حيث أنهم قد اقتبسوا فن صناعتها من الهكسوس وكانت تجرها في البداية الحمير ثم بعد ذلــك الخيول ، وكانت توجد حانات في كل شارع وحارة لبيع المحاصيل الــزراعية والصناعات المختلفة ، ومعظم اللوازم الخاصة بأمور المعيشة إلى جــانب الآلات والمعدات اللازمة لأعمال الزراعة والصناعة والحرف اليدويــة المختــلفة – كما كان الأفراد يلبسون أزياء مصنوعة من الكتان وصوف الأغنام ونعال مصنوعة من جلود الحيوانات أو من الخشب أو من شرائح الجريد المضفر – إلى جانب ذلك كان يوجد في كل قرية أو مدينة مبــنى كبير في هيئة مجلس قرية أو مدينة كانوا يجتمعون فيه في الأعياد والمناسبات ، وفي حل المشاكل والمنازعات التي كانت تحدث بينهم – كما شيدوا أيضا بكل مدينة أو قرية معابد ليقيموا فيها الطقوس الدينية الخاصة بالإلهة التي كانوا يعبدونها ، وليتلقوا فيها أيضا من الكهنـــــــة كل التعاليم

والأوامر والنواهي التي تتعلق بشئون العبادة والسلوك الطيب [١] .

ومن دراسة الألواح التي عثر عليها في وثائق بوغاز كوي اتضح أن سـكان هـذه المـدن كانت لديهم أ:ثر من سبع عشر لغة يتحدثون بها بعضـها قـد عـرف حاليا والبعض الأخر لم يتم حتى الآن الوصول إلى معرفته [٢] .

إلا أنـه رغـم هذا التطور الهائل كانت معلوماتهم عن التنظيمات السياسـية مـازالت محدودة ولم تصل إلى الدرجة التي كانت موجودة في مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين والصين القديمة – هذا بالإضافة أن هـذا التطور قد أدى إلى ظهور طبقة غنية من الأفراد الذين استطاعوا أن يتمـلكوا مسـاحات كبيرة من الأراضي الزراعية وأصبحوا يمثلون طبقة إقطاعيـة استقراطية وأطلق عليهم أشراف القرية أو المدينة ، ومع مرور الـزمن ازداد نفوذهـم وسـطوتهم على الأفراد الآخرين – وطبقة أخرى متوسطة من الزارعين الذي يملكون مساحات قليلة من الأراضي الزراعية وطبقة ثالثة من العمال الذين لا يملكون شيئا من الأراضي ومصدر رزقهم الوحيد هو الأجر الذي كانوا يأخذونه من أفراد الطبقة الأولى والثانية نظير

---

(1) G. contenau. La civilisation des Hittite .... Op . cit - pp 84 ets.
- R. Dussaud – les Religions des Hittite ... op . cit – pp 74 . 49 .

(2) Palph linton . TREE of culture – Parti- New york – 1955- P 244 .

مـــا يبذلونه من جهد وعرق ، وطبقة أخيرة وهي طبقة العبيد الذين كانوا مـــثل الأشياء التي تباع وتشتري وليس لهم أي حقوق ومصـــــدرهم كان من أسرى الحروب ومن الذين تعثروا في سداد ما عليهم من ديون أو من الذين ارتكبوا جرائم وحكم عليهم بأن يكونوا عبيدا – وبالتالي انقسم مجتمع كـــل مديـــنة أو قـــرية حيـــثية إلى عدة طبقات وكل طبقة تميزت بحقوق وامـــتيازات مختلفة عن الطبقة التي تليها [1] [وذلك كما سنرى في الباب الثالث] .

وأيضا رغم ما كان بين هذه المدن والقرى من روابط وثيقة للغاية إلا أنهـــا كانت غير متحدة في كيان سياسي واحد وإنما كل مدينة أو قرية كانت منفصلة وتمثل كيان مستقل عن المدن والقرى الأخرى – ولم تحدث خـــلال الخمسين عاما من بداية نزوح الحيثيين من الأراضي السورية إلى هـــذه المـــناطق أي محاولة من جانب أي زعيم أو قائد لتوحيد هـــــذه المـــدن والقـــرى لتمـــثل دولـــة واحدة تضم كل الحيثيين – ومن استقراء الأحـــداث يتضح أن السبب في ذلك يرجع إلى أمور عديدة أهمها يتلخص في الآتـــــي :

١ – أن زعمـــائهم في الحركة الاتحادية الأولى الذين خططوا لبناء دولـــة حيـــثية فـــي مـــنطقة شمال سوريا ، قد تم القضاء عليهم بعد فشل

---

(1) E. Cavaig nac – Ras shamra et l' Empire Hittite ... op . cit – p . 247 .

مخططهـــم ، ولـــم يخـــلفهم زعماء آخرين لهم مكانة مؤثرة أو قدرة على الـــتحرك لتوحيد هذه المدن والقرى التي تم تشيدها وأصبحت ذات سمات حضارية متميزة ٠ لتكون دول واحدة ٠

٢ - ظهـــور طـــبقة الإقطاع في كل مدينة وقرية قد أجهض كل دعـــوة أو نداء لتوحيد كل هذه المدن والقرى في كيان سياسي واحد ، لأن كـــل الإقطـــاعيين قد خشوا على مصالحهم من هذا الاتحاد واعتقدوا بأنه ســـوف يـــنقص أو يـــبدد الكثير من الامتيازات التي حصلوا عليها ، على أســـاس أنهم سوف يخضعون لسلطة أعلى منهم وهي السلطة المركزية في الدولة المتحدة ٠

٣ - الـــروابط الوثيقة التي كانت بين هذه المدن والقرى ، وضعف النظم السياسية التي كانت بها ، قد جعلت الشعب الحيثي لا يشعر وهو في حالـــة ســـلام واستقرار بأهمية وجود الدولة المتحدة التي تضمهم في كيان سياسي واحد ٠

٤ - الآثار السيئة التي نتجت من فشل إقامة دولة حيثية في المنطقة الـــتي تقع في شمال سوريا كانت ما زالت عالقة في أذهان الحيثيين ، لذا كان بعضهم يعتقد بأن الاتحاد في كيان سياسي واحد من الممكن أن يحدث في حياتهم اضطراب ومشاكل ومنازعات من جانب بعض الدول الأخرى التي توجد في العالم القديم ويزعجها قيام دولة حيثيه متحدة في المنطقـــة

التي تقع في أقصى شمال سوريا [١] .

وبالتالي ظلت هذه المدن والقرى منفصلة رغم أنها كانت متجاورة جـدا مـن بعضها ويوجد تعاون كامل ووطيد بينها ، وروابط ود ومحبة وأخـوة بيـن أفـرادها باعتبار أنهم ينتمون لأصل واحد وأهدافهم وأمالهم واحـدة – واستمر هذا الوضع إلى أن حدثت غارة هجرة في عام ١٨٢٠ ق . م تقريـبا مـن الشعوب الاربة التي كانت تتجول في الشمال الشرقي والشمال الغربي في أوربا وتبحث عن جمع الرزق بشتى الطرق ، وكانوا يحملوا أسلحة من البرونز لاستخدامها في عمليات السلب والنهب ، وجزء مـنهم قد زحف إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط ودخلوا بلاد اليونان وشـبه الجزيـرة الإيطالية وجزء آخر اتجه نحو أسيا الصغرى ، بعضهم توقف عند هضاب الأناضول ، والبعض الأخر استمر في الزحف إلى أن دخلوا مناطق الهند الشمالية – والذين توقفوا عند هضاب الأناضول زحفوا عـلى المدن والقرى الحيثية وكان هدفهم الوحيد هو سلب خيراتها والفرار إلى مـناطق أخرى ، إلا أنهم لم يجدوا أي مقاومة تواجهم كما وجدوا بهذه المدن والقرى رزق وفير يستوعب وجودهم ويجعلهم يذقوا طعم الاستقرار بيـن سـكانها الذين أرغموا على استمرار وجودهم وعدم طردوهم بالقوة خشـية أن يدخلوا معهم في نزاع مسلح يدمر معظم ما حققوه من إنجازات حضارية وبالتالي استقر هؤلاء الاربون داخل هذه المدن والقرى واندمجوا مع الحيثيين وتحولوا من شعب يعتمد على السرقة والنهب إلى شعب منتج

---

(1) B. Hrozny – sur un cachet Hittite .... Op . cit – p 113 .

بعد أن استطاع الحيثيون بمهارة فائقة على احتوائهم واستغلال طاقتهم في الإنتاج الزراعي والصناعي [١] .

وفي ذلك يقول المؤرخ البريطاني (**هربرت جورج ولز**) في مؤلفه موجز تاريخ العالم – بأن [الاربون الهمج الذين هبطوا من الشمال الشرقي والشمال الغربي في أوربا ، واتجهه جزء منهم نحو جنوب القارة الأوروبية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وسكنوا بلاد اليونان وشبه الجزيرة الإيطالية – والجزء الأخر اتجه صوب الشرق ، بعضهم استمر في الزحف إلى أن دخلول أقاليم الهند الشمالية واشتبكوا في حروب عديدة مع أهلها وخاصة الدرافيديين إلى أن تمكنوا بالقوة من العيش فيها ، والبعض الآخر زحف نحو المدن والقرى الحيثيه بعد أن سلكوا هضاب الأناضول لكي ينهبوا خيراتها إلا أنهم لم يجدوا مقاومة واستطاع الحيثيين من احتوائهم بقدرة فائقة وتحويلهم إلى قوة منتجة ، واعتمدوا عليهم في تطوير حياتهم الاقتصادية .... ولذلك فإن أول منطقة تحول فيها الاربون من مغيرين وسارقين ونهابين للمدن إلى قوة منتجة سلكت طريق الاستقرار بدون حروب ومنازعات مسلحة كانت في المدن والقرى الحيثية ....] [٢] .

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – pp 245 – 246 .
(2) H. G. wells – A short Historg of the world – 1942 – London – pp 74 – 75 .

وخــلال الفــترة ما بين عام ١٨٢٠ - ١٨٠٠ ق ٠ م تم اكتشاف الحديــد في المناطق التي تقع فيها المدن والقرى الحيثية ، لأنها كانت من أغـنى مــناطق العالم القديم التي يتوافر فيها المعادن ٠٠٠ وهذا قد أحدث ثــورة حضارية هائلة عند الحيثيين حيث تمكنوا من صناعة أدوات وآلات عديــدة منه بعد أن عرفوا **باتفاق الطرق الفنية اللازمة لصناعتها من هذا** المعدن الجديد واستخدموا الاربون في **هذه الصناعة لدرجة أن معظمهم** قد أصــبحوا حداديــن مهــرة وينتقلون من مكان لآخر داخل المدن والقرى الحيــثية لتــنفيذ مشروعات وصناعات حديدية عديدة بها - وهذا قد جعل الحيثيون يشتهرون ويذاع صيتهم بين المجتمعات الحضارية الأخرى التي كــانت منتشــرة في شرق وغرب العالم القديم ، بأنهم قد ابتكروا صناعة آلات ومعدات وأسلحة من الحديد الذي كان غير معروف على الإطلاق في كل هذه المجتمعات [١] .

وأمــام هذا التطور ، والتوافق والاندماج الذي حدث بين الحيثيين والأجناس الأخرى الذين عاشوا معهم داخل المدن والقرى في حياة مشتركة وأصــبحوا منصــهرين بمصالحهم وروابطتم الاجتماعية الوطيدة في بوتقة شعب واحد لــه أهداف وأمال ومتطلبات وغايات واحدة - قد استطاع أحد زعمائهم الذي يرد أسمه في بعض المراجع التاريخية بأنه كان يدعــــــى [**خيــتاس بن اينتاس**] أن يوحد هذه المدن والقرى في كيان سياسي واحد

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit . pp 300 ets .

بعـد أن اتفق مع زعمائها الإقطاعيين بأنه لم يمس أي حق من حقوقهم أو يـنقص أي شيء من الامتيازات التي يتمتعوا بها ، كما أعطاهم الأمل في أنهـم سـوف يكون لهم دور سياسي كبير في هذا التوحيد مع خلال إنشاء مجـلس يضمهم جميعا ، ويكون لهذا المجلس دور رئيسي في نظام الحكم وفي اختيار الملك الذي يمثل رئيس السلطة المركزية في هذا الكيان الجديد وعـلى أساس ذلك نجح هذا الزعيم في يؤسس أول دولة حيثيه في التاريخ في عام ١٨٠٠ ق . م تقريبا ضمت كل المدن والقرى ، وانتخب من قبل هـذا المجلس [الذي سنعرضه تفصليا في الباب الثاني] ملكا لهذه الدولة التي امتد نفوذها وسيادتها في البداية في منطقة أسيا الصغرى فقط وكانت في أساسها ومظهرها دولة إقطاعية ، واتخذت من مدينة خطوش [بوغار كوي . الحالي] [التي تقع في سهول نهر كيزيل بالقرب من مدينة أنقرة بتركيا] – عاصمة لها ومركزا لقصر الملك [١] .

---

(1) G. Contenau – la civilisation des Hittites .... Op. cit – pp 92 ets .

- A. Aymard . et j . Ayboyer – Histoire Generale .... Op . cit – p 203 .

- R. Dussaud – les Religions des Hittite .... Op . cit – pp 52 ets .

- د / محمـود السـقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٣٤٣ .

- د . نجيـب ميخـائيل إبـراهيم – مصـر والشرق الأدنى القديم – مرجع سابق – ص ٣٢٧ .

قام هذا الملك بناء جيش قوي لهذه الدولة لكي يحمي كيانها من أي هجــوم أو غزو أجنبي إلى جانب الاعتماد عليه في تحقيق أهدافه التوسعية ويقــول معظــم المؤرخين وعلماء الآثار بأن تكوين الجيش كان من أول أهداف هذه الدولة ، وأنها استطاعت خلال فترى وجيزة أن يكون لديها قوة عسكرية كبرى حيث اعتنت بتدريب الجنود الذين كانوا خليط من الحيثيين والأجــناس الأخــرى الذين انصهورا في طبيعتهم وعلى الأخص الاريون واســتخدموا أســلحة مصنوعة من الحديد مثل الحراب والسيوف الطويلة والبــلط ذات الحديــن والخناجر المستقيمة ، كما استخدموا عربات حربية بعجلــتين وأربــع عجــلات يــركب عليها الجنود المهرة في رمي الرمح والضرب بالسهام من على بعد ، وكانت هذه العربات تجرها خيول مدربه وقــد تركزت قوة الجيش الحيثي في قوات المشاة المدربة على فنون القتال فــي عمليات الدفاع والهجوم وخاصة بعد أن عرفوا الأساليب الفنية الدقيقة لتــنظيم الصــفوف المتراصة في الحرب ، حيث كان الصف الأول يضم الجنود الأقوياء الذين يحملون دروعاً مستطيلة تحميهم من الرقبة إلى أسفل الركبــتين ويحمــلون سيوفا أو بلطة حربية ليحاربوا بها باليد الأخــرى، وكانوا يتقدمون جنبا إلى جنب حاملين دروعهم بشكل متلاصق، بينما يسير خــلفهم ثــلاث صــفوف أخــرى من الجنود الحاملين للحراب التي كانت رؤوســها تــبرز مــن بيــن الدروع مكونين جبهة متماسكة يصعب جدا اخــتراقها، لذا كانت هذه الصفوف المتراصة عبارة عن جهاز حربي قوي جدا خصوصا إذا كانت تحارب فوق أرض مستوية ولمسافات طويلة ، لأن

جنود هذه الصفوف تم تدريبهم جيدا على المشي في خطوط منتظمة وعلى استعداد تام للاستدارة أو الالتفاف السريع في وقت واحد عند صدور الأوامر لهم بذلك – وقيادات هذه الفرق قد تم اختيارهم من ضمن أحسن قواد الجيش الذين كانت لهم شخصية قوية وأوامرهم تطاع بلا أي تردد لدرجة أنهم كانوا يصدرون حكم الإعدام على الجندي الذي يتخاذل أو يتهاون أولا يطيع الأوامر الصادرة له حتى أثناء التدريب وليس أثناء الحرب فقط ٠

وتشير الوثائق التي عثر عليها في [**بوغار كوي**] بأن الملك الحيثي كان ليزيد من عدد جنود الجيش ويجعل الشعب يقبل على الانخراط في صفوفه قد منع الحجز على ممتلكات الجنود وجعلهم يحتفظون بأراضيهم معفاة من الضرائب، كما اعتبرهم من ضمن الطبقات المميزة في الدولة ٠ ومن خلال المعارك التي سنتحدث عنها فيما بعد ، كان هذا الملك والملوك الذين عينوا من بعده خلال العهود الأولى لهذه الدولة يتقدمون صفوف الجنود ويحملون فوق رؤوسهم خوذة ذهبية من أجل أن يبثوا الشجاعة في نفوس الجنود والقواد بأنهم يسيروا أمامهم ويحملوا سيوفهم في شجاعة ليكونوا أول المقاتلين ، وعندما كانت تدار المعركة كان هؤلاء الملوك الأوائل يلزمون أحد الأجانب لكي يوجهوا قواتهم في القتال بحكمه واقتدار ٠ وتشير هذه الوثائق أيضا بأنه عندما كانت القوات الحيثية ، ترى قوات الأعداء ، كانت تسير بخطوات سريعة لكي ترهبهم وتدخل الخوف في قلوبهم حتى تتلاحم معهم ويكون النصر من نصيبها – وكان بعض

الجـــنود وخاصة الاريين يعودون بعد النصر برؤوس أعداءهم إلى بلادهم لكي يضعوها داخل حرم المعبد ليتم تكريمهم من الكهنة وأعيان البلاد على مـــا حققـــوه مـــن نصر – ولكن كانوا لا يحتفظون بهذه الرؤوس كتذكار لانتصـــارهم مـــثل ما كان يحدث عند بعض القبائل في جنوب شرق آسيا وعلى الأخص القبائل البولينيزية (١) .

وفـــي ضـــوء ذلك قامت الدولة الحيثية بغزوات توسعية عديدة في منطقة آسيا الصغرى ، واحتلت مساحات شاسعة من الأراضي ، حتى جاء عـــام ١٧٠٠ ق ٠ م وكـــان نفوذها وسيطرتها يمتد من قرب حدود البحر الأســـود شمالا حتى نهاية جبال طروروس جنوبا ، ومن جبال الأناضول إلى أول حـــدود مدينة ساردس (الليدية) غرباً حتى قرب أراضي ارمينيا شرقا ، وبالتالي أصبحت تمثل بهذه المساحة الشاسعة إمبراطورية كبرى، وذاع صـــيتها بأنها تغزو لتتوسع بما تملكه من جيش قوي ومعدات حربية حديثه (٢) .

---

(1) G. Contenau – La civilisation phenicienne – op . cit . pp 399 ets .
- G. contenau – la civilisation des Hittites .... Op . cit – pp 112 ets .
- B. Hrozny – sur un cachet Hittite ...... op . cit . pp 97 ets .
(2) A. Aymard et j Ayboyer – Histoire Generale ...... op . cit – p 204 .

في عام ١٦٨٠ ق٠ م تقريبا اعتلى عرشها الملك [خاتي] الذي بدأ يفكــر في غزو سوريا ومواجهة الإمبراطوريات الكبرى في مصر وبابل لــتحطيمها بعــد أن أصــبح لديه أقوى جيش مدرب ومجهز بأسلحة قوية وحديــثة فــي العالم ، وذلك من أجل أن تصبح الإمبراطورية الحيثية هي ســيدة المجــتمعات الحضارية دون أن ينازعها أي قوى أخرى في العالم القديــم ، وعــلى آثــر هــذا بــدأ الغــزو بجيش ضخم واحتل أولا إقليم الاســكندرونه بالكــامل في عام ١٦٧٤ ق ٠ م تقريبا ، ولكن عندما دخل الأراضــي الواقعــة في شمال سوريا لم يكمل مسيرة زحفه لاحتلال حلب لأنه مات في عام ١٦٦٨ ق٠ م تقريبا [١] ٠

وحيــث أن ســوريا والمدن الفينيقية وبابل قد بدأت تستعد لمواجهة هذه القوة التوسعية الجديدة ٠ فقد توقف الحيثيين عدة سنوات ولم يواصلوا الــزحف حتى يستعدوا بالكامل لتحطيم الجيوش التي عبئت لمواجهتهم في الأراضــي السورية واستمر هذا الوضع إلى أن جلس على العرش الحيثي المــلك [مورســيل الأول] في عام ١٦٤٧ ق٠ م تقريبا حيث جهز حملة قوية وانطلق بها إلى داخل الأراضي السورية فاحتل حلب بعد قتال مرير مــع أهــلها وخربها بالكامل ، ثم استمر في الزحف ، واحتل أقاليم عديدة حتى وصل الى حدود بابل في عام ١٦٣٨ ق٠ م ، وبعض المؤرخين يقول

(١) د ٠ نجيــب ميخائيل إبراهيم – مصر والشرق الأدنى القديم – مرجع سابق – ص ٣٢٨ ٠

أنه دخل بابل بقواته ونهب كل خيراتها ثم تركها بعد ذلك واكتفى باحتلال الأراضـــي الواقعة على حدودها [١] هذا بالإضافة أن الملوك الذين جاءوا بعد الملك [مورسيل الأول] قد استمروا في هذا الزحف واخضعوا بعض المدن الفينيقية تحت نفوذهم وسيطرتهم مثل ارادوس ، وسيميرا ، وصيدا ، وانطرادرس (طرطوس حاليا) ، ومراتوس (عمريت حاليا) ، وسين ، وطرابــلس ، وبوتــريس ، وبيــريت (بيروت حاليا) وأصبحت بالتالي الإمــبراطورية الحيثية بداية في عام ١٦٠٠ ق٠ م يمتد نفوذها وسيطرتها مــن حلب الإسكندروونه في الجنوب إلى حدود البحر الأسود في الشمال ، وحــتى أول حدود سارديس وجبال الأناضول في الغرب ومن أول حدود بابل إلى أول حدود ارمينيا في الشرق ، كما أصبحت في ذلك الوقت أقوى قــوى حربية في الشرق الأوسط وغرب أسيا ، لأن مصر كانت في ذات الحين محتلة من الهكسوس ، والأسرة البابلية في بلاد ما بين النهرين كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة [٢] ٠

واســتمر هذا الوضع السيادي للحيثيين إلى أن ظهر أمامهم فجاءة قــوة جديــدة ظهرت في غرب أسيا وتحطم بعنف من يواجها – وهي قوة

(1) G. contenau – la civilisation des Hittites ….. op . cit – p 122
– د ٠ نجيــب ميخائيل إبراهيم – مصر والشرق الأدنى القديم – مرجع سابق – ص ٣٢٨ ٠

(2) R. Dussaud – les Religions des Hittites …. P. cit – pp 73 - 75 .

الحوريين حيث استطاعوا أن يكونوا مملكتين الأولى **مملكة ميتاني** التي اصطفت مدنها بالتدرج على جداول نهر الفرات والتي تقع على الحابوراس والبالح والثانية مملكة حوري وهي تقع غربي مملكة ميتاني – وذلك في عام ١٦٠٠ ق ٠ م تقريبا – ومنذ بداية عام ١٥٥٠ بداء نفوذ المملكتين وسياستهما التوسعية يظهر فجاءة أمام المجتمعات الحضارية في العالم القديم بعد أن كونت كل مملكة جيش قوي وتم تجهيزه بأسلحة قوية ومتطورة، فامتد نفوذ **مملكة حوري** على أشور وكانت تشرف عليها بعض الوقت ، وامتد أيضا نفوذ مملكة ميتاني على الأقاليم التي تجاورها في أسيا الصغرى [١] إلى أن جاء الملك [**تشراتا**] وجلس على عرشها وكان من المتعطشين لعمليات الغزو والقضاء على نفوذ الحيثيين في الأقاليم التي احتلوها ٠ فجهز جيش ضخم واتجه به إلى غرب سوريا العليا واستولى على رأس شمرا ثم توجه بقواته إلى حلب واشتبك في معركة شرسة مع الحيثيين وتمكن من سحق قواتهم بالكامل وطردهم منها ، وبعد أن استولى على حلب ، قام الملوك الذين جاءوا من بعده بالاستيلاء على معظم الأراضي السورية وجعلوا الحيثيين يتقوقعون داخل حدودهم الأولى في أسيا الصغرى ويتركوا كل الأقاليم التي كانوا مسيطرين عليها في غرب أسيا لمملكة ميتاني [٢] .

(1) G. contenau – la civilisation phenicienne – op . cit – p 396 .
(2) H. G. wells – A short History of the world – op . cit – p 74 .

ونـــتيجة المعـــارك الشرسة التي خاضها جيش الحيثيين مع جيش ممــلكة ميتاني وتكبدوا فيها خسائر فادحة ، أصيبوا بانهيار شديد في عام ١٥٠٠ ق ٠ م تقريبا ، وعلى أثر هذا اعتزم الميتانيون القضاء عليهم تماما واحتلال كل مدنهم في أسيا الصغرى لكي يمحوا آثارهم من التاريخ إلا أن الصـــدفة البحـــتة هـــي التي منعتهم من ذلك حيث تمكن الحيثيين من عقد تحالف دفاعي مع مملكة الاخيين في عام ١٤٨٠ ق ٠ م تقريبا ضد مملكة ميتاني وهو من قبيل معاهدات الحماية [١] ، وكانت مملكة الاخيين في ذلك الوقـــت تمـــلك قوة بحرية كبيرة كما كانت تملك في أسيا ما سمى فيما بعد باســـم بامفيـــليا ، وكان نفوذها يبدأ من كيليكيا وليكيا حتى يمس من ناحية الشـــمال منطقة ايوليد (لزبوس) ثم ينفرج هذا النفوذ إلى فرعين يحيطان ببلاد ايونيا التي هي بمثابة بلاد اليونان الأسيوية ٠

---

(1) G. contenau – la civilisation phenicienne – op . cit – p . 384.

* الاخييـــن – هـــم قـــبائل من وسط أوربا نزلوا البلقان في القرن السادس عشر حاملين معهم لهجة هندية – أوربية – وسادوا في بلاد اليونان وخاصة في مكيني ويـــترانت وارجـــوس كمـــا ســـيطروا على بعض أقاليم في شمال غرب أسيا ، واســـتطاعوا أن يؤسســـوا ممـــلكة قوية في منتصف القرن السادس عشر فــــي الحـــدود المشار إليها – ثم دخلوا في حروب شرشة مع طرواده انهكت قواهم في القـــرن الحـــادي عشر ، وترتب على ذلك انهيار مملكتهم واختفاءهم من صفحات التاريخ ٠

وحيث أن هذا التحالف كان الغرض منه دفاعي أو حماية أكثر منه هجومــي- فقط احتفظ الحيثيين بحدود مملكتهم الأولى في أسيا الصغرى ، وغــابوا عــن مسرح النور بداية من عام ١٤٧٠ ق ٠ م بعد أن تهالكت قوتهــم العســكرية كمــا حدثــت اضطرابات شديدة داخل المملكة بسبب الخلافــات والمشاكل التي دبت بين الأمراء الإقطاعيين الذين كان معظمهم أعضاء في المجلس – وبالتالي كانت هذه الإحداث أول صدمة تصاب بها الإمبراطورية الحيثيه وتجعلها تتضعضع لفترة تزيد عن خمسون عاما [١] – إلا أن حالفهــا الحظ مرة أخرى وظهرت أقوى ما كانت علية بداية من عام ١٤٠٠ ق٠ م وذلك كما سنرى في الفصل القادم ٠

(1) B. Dhorme – les Achéens dans les textes de Boghaz – Keui: Revue Biblique – 1924 – pp 565 ets .

الفصـل الثالـث

****

الإمبراطورية الحيثيه الحديثـة
وأسباب محوها من التاريخ

بعد التفوق العسكري لمملكة ميتاني وسيطرتها على معظم الأقاليم الـتي كانت تحتلها الإمبراطورية الحيثية القديمة في سوريا وأسيا الغربية وأسيا الصغرى ، مما أدى إلى انكماش الحيثيين داخل حدودهم الأولى ولم تصـبح إمبراطوريـتهم كـبرى بعد أن تضعضع كيانها وحطمت قواتها العسـكرية مـن أثـر الهزائم القاسية التي منيت بها وذاقت مرارتها بألم وحسرة من الجيش المتياني إلى جانب حالة التفكك والانهيار الذي تعرضت له في الداخل ، وجعلها فريسة سهلة للانقضاض عليها من أي قوة خارجية – وإن هذا قد تسبب في أصابتها بغيبوبة وعدم اتزان ، وجعلها تفقد تماما هيبتها ومكانتها وادخلها في دور النسيان اعتباراً من عام ١٤٧٠ ق٠م بعد أن كانت متألقة بقوتها ونفوذها بما يزيد عن مائتين عام [1] ٠٠٠٠٠ إلا أنه قد طرأت خلال الخمسين عاما التالية في منطقة الشرق الأوسط وفي أسيا الغـربية وأسـيا الصـغرى أحداث وظروف مستجدة لم تكن في الحسبان توقعها على الإطلاق ، لأنها جرفت بسرعة الكيانات القوية المسيطرة إلى الضعف والتدهور والانحلال ، وأشفت الكيانات الضعيفة التي كان مينوس مـن إصـلاح حالتها ودبت فيها القوة وروح الأمل – ومن الكيانات التي اسـتفادت تمامـا مـن هذه الظروف والأحداث هي الدولة الحيثية ، حيث جعلتها تنتعش مرة أخرى بعد أن كانت جثه هامدة، واحيت فيها روح القوة أكـثر ما كانت عليه في عهدها السابق– وأهم هذه الظروف والأحداث في

---

(1) B. Hrozny – sur un cachet Hittite …. Op . cit – pp – pp 113 ets .

ضوء ما تم استقراءه من سجلات التاريخ تتلخص في الآتي :

* قيـــام مصـــر بحـــركة تحريـــر كبرى تخلصت فيها من الطغاة الغاصبين الهكسوس في عام ١٥٨٠ ق ٠ م بواسطة أحمس مؤسس الأسرة الثامـــنة عشرة حيث قضى تماما عليهم من كل أنحاء مصر كما تتبعهم في ســـوريا حتى أنهى على كل آثارهم – وكان مصر في ذلك الوقت لا تفكر إلا أن تعيـــش في أمن واستقرار وراء سياج من حدودها ، إلا أنها بعد أن تخلصـــت مـــن ســـيادة الهكسوس ، وأدركت أن سوريا باب مفتوح دائما لغـــارات مستقبلية عليها ، اعتنقت سياسة توسعية لبناء إمبراطورية كبرى وقوية سياسيا وعسكريا حتى لا تقع مرة أخرى فريسة لأي عدو أجنبي – ولذلـــك افتـــتح احمس بعض المدن الفينيقية أثناء تتبعه للهكسوس ، ثم أن تحتمس الأول قد أكمل ما حققه احمس وزحف بالقوات المصرية حتى بلغ الفـــرات في عام ١٥٢٥ ق ٠ م ثم جدد تحتمس الثالث [١٥٠٣ – ١٤٤٩ ق ٠ م] مـــا فـــتحه أجداده وقام بتنظيمه[١] – وحيث أن كل من الكنعانيين والميـــتانيين وبعـــض المـــدن الفينيقية كانوا يناصبون العداء الشديد للدولة الحيـــثيه وكـــل مـــنها كان يترقب الفرصة للانقضاض عليها لافتراسها واحـــتلال أراضيها ، فإنه بعد إن زحفت الجيوش المصرية نحوهم قد هدم تمامـــا كل مخططاتهم التوسعية ، وجعلهم ينصرفون نهائيا عن التفكير في

---

(١) د ٠ نجيـــب ميخائيل إبراهيم – مصر والشرق الأدنى القديم – مرجع سابق – ص ٣٢٩ وما بعدها ٠

الكسندر شارف – تاريخ مصر – مرجع سابق – ص ١١٧ وما بعدها ٠

الهجــوم على الدولة الحيثية للقضاء عليها واحتلال أراضيها لأن الزحف المصري كان كاسحا وجعلهم لا ينظرون لأي شيء سوى إنقاذ أنفسهم من الضــياع – وبالتالي تنفس الحيثيون الصعداء بعد هذه الأحداث والظروف الــتي طرأت في المنطقة وهمدت قوة أعداءهم بدون أن يتدخلوا فيها بأي إجراءات دفاعية أو وقائية (١) .

٢- * ظهور قوة **الكاشيين** في بلاد ما بين النهرين بعد أن خارت قوى الأسرة البابلية الأولى ، حيث استطاعوا أن يفرضوا نفوذهم وسطوتهم عــلى بــابل بعد أن هبطوا عليها من هضاب جبال فارس وأسسوا الأسرة الكاشية التي حكمت البلاد خلال الفترة من ١٥٠٠ – ١١٧٥ ق٠ م تقريبا وأشــاعوا فيها الفوضى والانحلال – فإن هذا قد ساعد الحيثيين أيضا على إزالــة كــل الأخطــار التي كانوا يخشوا أن يتعرضوا لها من جيش دولة ميــتاني أو مــن بلاد ما بين النهرين وذلك لأن الكاشيين كانوا يناصبون العــداء الشــديد **لمملكة ميتاني** وسببوا لها ذعرا دائما وجعلوها تتقوقع في حدود ضيقة للغاية ، في حين كان لا يوجد بينهم وبين الحيثيين أي عداء ، كما أنهم كانوا لا يفكرون على الإطلاق في احتلال أي مدن حيثيه ولا أي أقــاليم تقــع فــي أسيا الصغرى ، وإنما كان هدفهم الأساسي هو السيطرة الكامــلة عــلى كل أقاليم بلاد ما بين النهرين وضرب أي قوة تحاول أن تنتزع أي جزء منها أو تحاول أن تهاجمهم أو تقترب منهم – هذا بالإضافة

---

(1) G. Contenau – la civilisation des Hittite …. Op . cit – p 133 .

أنـــه توجــد بعــض الوثائق التي تم اكتشافها في [بوغار كوي] تفيد بأن الحيثيين قد استطاعوا أن يكسبوا ود وصداقه **الكاشيين** من خلال العلاقات التجارية التي تمت بينهما وعلى الأخص خلال الفترة من ١٥٠٠ – ١٤٠٠ ق ٠ م (١) .

٣ - * حــدوث مــنازعات ومعارك طاحنة بين طروادة **ومملكة الاخيين** جعلت المنطقة التي تقع غرب الدولة الحيثية بداية من عام ١٤٦٠ ق٠ م ملتهــبة بالصــراعات والحروب القاسية ومنعت القبائل التي كانت تـــتجول فيها للسلب والنهب وتهدد المدن الحيثية من الاقتراب منها – هذا بالإضـــافة إلى قيام الحيثيين بنقض تحالفهم من **مملكة الاخيين** ليكسبوا ود وصداقة ملك طروادة حتى يأمنوا بفاعلية حدودهم الغربية من أي خطر يقع عليهم بعد أن لاحظوا تفوق جيوش **طرواده** على جيوش مملكة الأخيين في الحروب المندلعة بينهما برا وبحرا في شمال غرب أسيا الصغرى (٢) .

٤-* قرابة عام ١٤٥٠ ق٠ م هبطت قبائل أرية هجميه من الشمال الشرقي والشمال الغربي للقارة الأوروبية ، وكانت تحمل أسلحة حديدية ، وجميـــع أفرادها كانوا من محترفي القتال وشن الغارات المفاجئة والشرسة على المدن لسرقتها ونهب خيراتها ، وهذه القبائل الأرية كانت تضم أجناس

---

(1) R. Dussaud – les Religiona des Hittite .... Op . cit - pp 64 ets .

(2) G. contenau – la civilisation phenicienne ... op . cit - pp 384 – 385 .

مختـلفة مــن بيــنهم الاسكيذيين [**الاشقوذيين] الصرماتيين والارمنيين والكمريين ، والفرنجيين** إلى جانب بعض **القبائل الهلينية**– وقد سلكت هذه القــبائل هضــاب الأناضــول واتجهت صوب المدن الحيثية وهي تعتصر جوعا وتتشوق للقتال لتجمع وتدمر ما تطوله أيديها ، إلا أنها بدلا ما كانت تفعــل ذلــك كما هو معتاد في طباعها حدث ما هو كان غير متوقع على الإطــلاق حدوثــه حيــث استطاع الحيثيون بمهارة فائقة على احتواء هذه القــبائل وضــمها في طياتهم بعد أن منحوا أفرادها رزق وفير وجعلوهم يعيشــون بينهم ويذوقوا الأمان والاستقرار – ثم أغروهم ببريق المكافأت والامتيازات الخاصة واستخدموهم كجنود محترفين في أعمال القتال ضمن صــفوف جيوشــهم لتقوية قواتهم العسكرية ، والسبب الرئيسي في نجاح الحيثيين في هذا هو أن معظم أجناس هذه القبائل كانت موجودة من قبل في الدولــة الحيــثية مــن الهجــرات السابقة التي وفدت إليها وكانوا جميعا ينصــهرون فــي بوتقة الشعب الحيثي ويستخدمون كجنود مرتزقة أقوياء وعمال ماهرين في الحرف والصناعات المختلفة وعلى الأخص الصناعات الحديديــة [كما سبق أن أشرنا من قبل] – ولذا كانوا وسطاء في التقرب بين هذه القبائل الوافدة وبين المسئولين في الدولة الحيثية وجعلوهم يبدلون نزعــتهم مــن الإغارة والسلب والنهب إلى الاستكانة والعيش بين الشعب الحيثي بدون أي يحدثوا أي مشاكل أو منازعات داخلية (١) .

---

(1) H. G. wells – A short History of world – op . cit – p . 75 .

وعلى أساس هذه الظروف والأحداث التي طرأت واستفاد منها الحيثيين بالكامل دون أن يكون لهم أي دخل أو دور رئيسي في تولدها – استطاعوا أن ينظموا صفوفهم من جديد بداية من عام ١٤٣٠ ق ٠ م ويعيدوا بناء جيش قوي معظم صفوفه من الجنود المرتزقة الذين ينتمون لأجناس مختلفة وتم تدعيم هذا الجيش بأسلحة حديدية قوية وحديثة إلى جانب العربات الحربية والسريعة المزودة بالدروع الحديدية الأمامية والجانبية وتسير على أربعة عجلات وتجرها الخيول المدربة ، والسلالم الطويلة المتحركة لاختراق الأسوار العالية ، وقذائف الهلب التي يتم قذفها من مسافات بعيده بالمقاليع العرضية المتحركة كبيرة الحجم ، والسهام النارية الطويلة ، والدروع الحديدية كبيرة الحجم التي تستخدم في عمل سدود حربية متحركة ، والعومات الحديدية التي تستخدم في عمل الكباري الوقتية لعبور الفرسان والعربات الحربية لأي موانع مائية ضيقة ، هذا بالإضافة إلى آلات ومعدات حربية أخرى عديدة كان بعضها غير معروف ولا مستخدم في المجتمعات الحضارية الأخرى التي كانت موجودة في ذلك الوقت في شرق وغرب العالم القديم (١) ٠

وبالتالي تمكن الحيثيون أن يزيلوا غبار الضعف والانحلال من على كاهلهم ويعودوا مرة أخري إلى النور ويصبحوا خلال فترة قصيرة أو في غفلة من زمن التاريخ أقوى بكثير مما كانوا عليه في عهد مجدهم

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit - pp 243 – 244 .

الأول ، مستغلين في ذلك عدم التفات أحد نحوهم من الدول والممالك المحيطة لهم نتيجة أشغالها بالظروف والأحداث السابقة – ولذا عندما اقترب عام ١٤٠٠ ق٠ م كانوا أقوى دولة في منطقة أسيا الصغرى وفي كل بقاع أسيا الغربية ، وأخذت الأحلام تراوضهم مرة أخرى في أن يصنعوا إمبراطورية عظمى في الشرق تضم تحت نفوذها وسيطرتها في المرحلة الأولى كل مدن وأقاليم الدول والممالك المجاورة لها في أسيا الصغرى وفي أسيا الغربية (١) .

وبالفعل قد حققوا ذلك وفاجئوا العالم القديم باسره بقوتهم الساحقة في الغزو والاحتلال بعد أن جلس على العرش **الملك تليبينو** [Telepinu] في عام ١٣٩٥ ق٠ م حيث احتل بعض الأقاليم في أسيا الصغرى وفي شمال سوريا ٠ وبعد أن مات في عام ١٣٨٥ ق ٠ م ، **قام الملك حاتشويل الثاني** [Hattusil] الذي اختير من بعده بفتح أقاليم أخرى في سوريا كما سيطر على بعض مدن **مملكة ميتاني** وهدد معظم مدن بلاد ما بين النهرين وبعد أن انتهى حكمه بوفاته في عام ١٣٦٦ ق٠ م ، **قام الملك شوبيليو ليوما** [sappiluliuma] الذي عين من بعده بالسيطرة على كل الأراضي السورية والفلسطينية وبعض المدن الفينيقية إلى جانب إخضاع المدن الباقية **لمملكة ميتاني** وأقاليم أخرى حتى حدود نهر الفرات ببلاد ما بين النهرين

---

(1) G. Maspero – Histoire ancienne des peuples de l' orient - op . cit – p . 78 .

وذلك بعد معارك طاحنة انتصر فيها جميعا وذاع صيته بأنه الملك الذي لا يعـرف أن يـذوق سـوى طعـم النصر بالدم والخراب والدمار وبالتالي أصـبحت الدولة الحيثيه عبارة عن إمبراطورية عظمى تملك بقوة جيوشها وأسـلحتها الحديدية الحديثة والمتنوعة مساحات شاسعة في أسيا الصغرى وأسيا الغربية [١] .

والدليـل على امتداد سيطرة الحيثيين على كل هذه المساحات حتى قلب فلسطين هو أن أحد ملوك بيت المقدس في عام ١٣٠٠ ق ٠ م تقريبا كـان يحمل أسما حيثيا هو **عبدي – هيبا** [Abdi Hipa] كما أن العبارة المشهورة التي خاطب بها حزقيال شعب مدينة القدس وهي[**أبوك أموري ، وامك حيثية**] تؤكد تماما بأن الحيثيين كانوا مسيطرين على فلسطين ، لأنه فـي ذلك الوقت كان الاموريين منتشرين بها ويمثلون نسبة كبيرة من عدد سـكانها [٢] – هـذا بالإضـافة إلى أن الحيثيين قد تملكوا عقارات داخل الأراضـي الفلسطينية بعد أن اعتبروا كل الأقاليم التي احتلوها وسيطروا عـليها هي عبارة عن أجزاء من إمبراطوريتهم ، والدليل على ذلك هو أن سيدنا **إبراهيم عليه السلام** قد قام [كما قال أهل الكتاب] بعد وفاة زوجته سـارة بشـراء مغارة من رجل حيثي يدعي [**عفرون بن صخر**] بقرية **حبرون** بالأراضي المقدسة لكي يدفنها فيها [٣] .

---

(1) R. Dussaud . les Rebgians des Hittite ... op . cit – pp 79 ets .
(2) G. contenau – la civilisation phenicienne – op . cit – pp 393 – 399 .

(٣) الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير – قصص الأنبياء – الطبعة الأولى ١٩٨١ دار التراث العربي بالقاهرة – ص ١٨٨ ٠ ص ١٩١ ٠

وبالــرغم أن المــلوك الحيــثيين كــانوا يعــلمون جيدا أن اتساع إمبراطوريتهم أكثر من ذلك سوف يصعب جدا عليهم أحكام السيطرة عليها ويــؤدي إلى نــتائج عكســية خطيــرة قــد تفقدهم ما حققوه من مكاسب وانتصارات مثل ما حدث في الإمبراطوريتهم السابقة - كما كانوا على علم تــام بــأن مصــر قد استردت قوتها وعزيمتها بعد أن طردت الهكسوس وسحقت وجودهم من كل مكان بأرض سوريا وفلسطين ، وأن بلاد ما بين الــنهرين قــد اســتعدت بقوات ضخمه لمواجهة أي هجوم يقع منهم على أراضــيها - أي كانت لديهم فكرة تامة بأن الدخول في مواجهة مسلحة مع مصــر وبلاد ما بين النهرين سوف تكبدهم خسائر فادحة قد تقضي عليهم وتــنهي وجودهــم من صفحات التاريخ - إلا أن بسبب الانتصارات التي حققوهــا وسيطرتهم على **مملكة ميتاني** في شمال **اشور** وعلى ليديا وليكيا وشــعوب **مــنطقة فان** وعلى **سوريا وفلسطين** قد جعلهم يفقدون صوابهم ويعــتقدون بغرورهم بأن إمبراطوريتهم من الممكن أن تتسع أكثر من ذلك ويحكموا باتفاق السيطرة عليها ، وأن القضاء على أقوى قوتين في الشرق الأوســط وهي مصر وبلاد ما بين النهرين هو السبيل الوحيد لتحقيق ذلك كما سيجعلهم وحدهم فقط أباطرة أكبر وأقوى إمبراطورية في الشرق تتسيد بنفوذها وسطوتها بعد ذلك الشعوب المتمدنية في معظم أنحاء العالم القديم- وعلى هذا الأساس قاموا منذ بداية عام ١٣٦٣ ق ٠ م تقريبا بتكثيف حجم قواتهــم ومعداتهــم العسكرية من أجل الزحف على أقاليم أكبر قوتين في الشرق الأوسط واحتلال أكبر قدر من أراضيها ليسطع عليهم النهـــــار

بشــمس الفخــر والمجد ويكتب عنهم التاريخ بأنهم كانوا من أعظم أباطرة أكبر قوة ولدت في تاريخ العالم القديم – وبالتالي قرروا تنفيذ هذا المخطط بضرب مصر أولا لأنهم اعتقدوا بأن القضاء عليها سوف يفتح لهم الطريق لتحقيق أهدافهم الأخرى بدون عناء شديد [١] .

وحيــث أن مخطط تحطيمهم لقوة مصر يشمل أحداث عديدة سجلها التاريخ فأن أهم هذه الأحداث تتلخص في الآتي :

١ – عــندما فكــروا في تنفيذ هذا المخطط كان يحكم مصر خلال الفترة من [١٣٧٧ – ١٣٥٨ ق ٠ م] **الملك امنحوتب الرابع [اخناتون]** وكــان يوجــد بسبب دعوته للتوحيد بعبادة الإله الواحد مشاكل خطيرة في داخــل البلاد ، أشعلها كهنه امون ، وترتب عليها اضطرابات شديدة هزت أمن وأوضاع مصر في الداخل والخارج ، مما أدى إلى طمع الحيثيين في مهاجمة مصالح مصر في بعض المدن الفينيقية وفي بعض مناطق سوريا وفلسطين كما كانوا يفكرون في انتهاز فرصة هذا الاضطراب الموجود في مصــر لكــي ينقضــوا عليها ويحتلوا أراضيها ، وبالفعل بدءوا في عمل مــناورات عسكرية على حدود مصر الشمالية المشتركة مع حدود فلسطين تمهيدا لشن هجوم كاسح على مصر لكي يسيطروا عليها كما فعل أسلافهم الهكبســوس الذيــن جــاءوا إليها من قبل من نفس الحدود واحتلوا أراضي الدلتــــا .

(1) R. Dussaud – les Religions des Hittites .... Op . cit – pp 117 ets .

٢ - بعــد أن قــتل الملك [اختانون] من أثر هذه الاضطرابات الداخلية ، وقبل أن يمر أربعون يوما عليه ، والتي كان يجب فيها كما هو متتبع عندما يموت أحد ملوك الفراعنة عدم اتخاذ أي إجراء سياسي فيها - فإن زوجته الشابة [نفرتيتي] ، التي تميزت بقوة الشخصية عن كل نساء مــلوك مصر في العصر الفرعوني ، عندما ادركت أن الأسرة في طريقها للزوال وستذهب معها اصلاحات اخناتون الأخيرة - قامت بإرسال خطاب ســري إلى ملك الحيثيين [شوبيليو ليوما] تطلب منه أن يرسل إليها أحد ابنائه لتتزوجه حتى تتمكن من خلال جيش الحيثيين أن تحتفظ بالعرش لها ولكــن مــلك الحيثيين كان حذرا وأراد قبل أن يتخذ أي إجراء في ذلك أن يعرف أولا حقيقة ما حدث في مصر ، وبعد أن علم كل شيء ، أرسل إليها خطـــاب يســألها فيه عن مصير بنات الملك اختانون من هذا الموضوع - فــردت عليه بأنها لم تخف عنهم شيئا ، وطلبت فيه سرعة ارسال ابنه قبل فــوات الفرصة • فاقتنع ملك الحيثيين وأرسل أحد أبنائه ليتزوجها ويصبح ملكا على مصر - إلا أن هذا الابن قد دبر له بعض قادة الجيش المصري كمين في الطريق قبل أن يصل إلى الحدود المصرية وقتلوه وفشلت بالتالي هذه المؤامرة التي لو تمت كانت ستعتبر من الناحية التاريخية صفعة دنيئة عــلى وجــه مصــر والمصريين •وقد اتهم الحيثيون مصر بأنها هي التي دبرت قتل الأمير ابن الملك وأعلنوا الحرب عليها صراحة •وهذا منصوص عليه بالكامل في بعض الوثائق التي عثر عليها في الأناضول (١) .

---

(1) Ralph linton- TREE of culture 0 op . cit 0 p 246.

٣ - انـتزع الملك [**ساكارع**] حكم مصر قبل انتهاء فترى الحداد وكان متزوج بنت اخناتون الكبرى [**مريت اتون**] إلا أن فترة حكمه كانت قصيرة جدا اختفى بعدها تماما، وخلفه على العرش زوج آخر لإحدى بنات اختانون وكانت هي الابنة التالية واسمها[**عنخ اس ان با اتون**] وفي عهد هـذا الملك الذي كان يسمى[**توت عنخ اتون**]تم الانتقال من تل العمارنة إلى طيـبة وغير هو وزوجته اسميهما ما صبح يسمى بالملك [**توت عنخ أمون**] بدلا ما كان يسمى [**توت عنخ أمون**] وزوجته [**عنـــخ اس ان بـــا امون**] بدلا من[**عنخ اس ان با اتون**] أي أن اتون استبدل بامون ، وذلــك من أجل تهدئه حدة الصراعات والعودة إلى الديانة القديمة - إلا أن أوضـــاع مصـــر كـــانت مـــا زالت مهتزة في الداخل والخارج ويسودها الاضـــمحلال والقلاقـــل • واستمر هذه الحال بعد وفاة الملك [توت عنخ امـــون] وتعيـــن الملك [أى] من بعده الذي لم يستمر في الحكم أكثر من خمـــس سنوات خلال الفترة [١٣٤٩ - ١٣٤٥ ق٠ م] - وعلى أثر هذا كـــان الحيـــثيون يعـــتزمون الهجوم على مصر مستغلين أوضاعها السيئة لاحتلال أراضيها - إلا أن بعد موت الملك [أى] أخذت الأوضاع تتحسن بعـــد أن خلفه ابنه الملك [**مور ام حب**] الذي استمر في الحكم من [عام ١٣٤٥- ١٣١٨ ق ٠ م] ثم خلفه على العرش ابنه **رمسيس الأول** مؤسس الأســـرة التاسعة عشرة رغم أن حكمه لم يستمر أكثر من عام واق وخلفه ابـــنه **سيتي الأول** في عام ١٣١٧ ق ٠ م الذي استطاع بكفاءة واقتدار أن يقضي تماما على كل الاضطرابات والقلاقل ويجعل مصر تسترد طمأنينتها

الداخــلية وعــادت إلى عــبادة **امون** بصفة رسمية – كما تمكن أن ينظم صــفوف الجيــش وخــرج بحمــلات عسكرية إلى بعض مناطق سوريا وفلســطين ليــردع الحيثيين ، وكان من أثر هذه الحملات تحريره لمدينة بيريت (بيروت حاليا) من يد الحيثيين [١] .

٤ – بعــد أن مــات المــلك **سيتي الأول** خلفه ابنه الملك **رمسيس الــثاني** في عام ١٣٠١ ق ٠ م الذي بنى بالدلتا عند موقع بلوز (**الفرما**) و**فاريس** مدينة اطلق عليها [**بي – رمسيس**] لتكون نقطة مراقبة لمصر تراقب منها الحالة الأمنية للمدن الفينيقية ، ثم قام في العام الثاني من حكمه بحمــلة مظفرة لتأديب الحيثيين وأقام في أثنائها **نصبا للنصر** على صفحات الصــخور عــند **مصــب نهر الكلب** قرب مدينة **بيريت [بيروت]** – وفي شــمال هــذا المكان شاهد رمسيس الثاني جيش الحيثيين وكان مضافا إليه إعــداد ضــخمة من المرتزقة وقطاع الطرق جندوهم من أجل هذه الحملة عــلى مصر – وقد حددت الأشعار الهوميرية أسماء هؤلاء المرتزقة مثل بيداســا [البيداســيون] **وماسا [الميسيون] ودر دانوي [الدردانيون] واليونــا [أهل اليون]** ودناوانا [**الدنانيون] ولوكي [الليكيون]** وكانت هــذه الجماعــات طلائع الحملة مفرقين في بلاد الحيثيين فجندوهم لينتفعوا بخدماتهم وليشبعوا تعطشهم للنهب والدمار حتى يقضوا بشراسة على جيش مصــــر ٠

---

(١) الكسندر شارف – تاريخ مصر – مرجع سابق – ص ١٤٣ – ص ١٥٠ .

وقد زحف رمسيس الثاني نحو الشمال للقاء الحيثيين وكانوا معسكرين بقادش على **نهر الأورونت** في جنوبي البحيرة وقرب مدينة **حمص** الحالية – واشتبك معهم في قتال مرير حتى تمكن في النهاية من هزيمتهم وسحق قواتهم [١] وجعلهم يأخذون درسا قاسيا في عدم التفكير مرة أخرى في الهجوم على مصر لاحتلال أراضيها أو التعرض لمصالحها الخارجية في سوريا وفلسطين والمدن الفينيقية المنتشرة على طول الساحل السوري للبحر الأبيض المتوسط – وفصول هذا الانتصار العظيم مسجلة بالتفصيل عن طريق الرسوم المجوفة المحفورة على معابد الكرنك ومعبد رمسيس بابي سنبل [٢] .

٥ – وبعد انتهاء العمليات الحربية بالنصر الساحق لمصر على الحيثيين أرسل ملك الحيثيين [**حاتوشيل الثالث**] ويطلق عليه أيضا في بعض المراجع [**خيا تيسير الثالث**] وفدا إلى الملك [**رمسيس الثاني**] ليطلب منه الصلح ، وبعد المداولات التي تمت بينهما ، عقد هذا الصلح بإبرام معاهدة سلام وتاخ بينهما في عام ١٢٨٠ ق ٠ م تقريبا وسميت بمعاهدة [**هوزيليت**] وهي تعتبر أول معاهدة دولية في تاريخ البشرية احتوت على نظم ومبادئ إنسانية راقية [٣] ، وذلك كما سنرى بالتفصيل في

---

(1) J. BAIKIE – A histary of EGYPT – 2 vols-London-1929-PP 297 – 299 .

(2) G. Contenau – la civilisation phenicienne – op . cit – p 66 .

(٣) د ٠ محمود عز العرب السقا – أبحاث في تاريخ الشرائع القديمة – الطبعة الأولى ١٩٩١ – القاهرة – دار النهضة العربية – ص ٧١ – ص ٧٥ ٠

الباب الثالث عندما نعرض نصوص هذه المعاهدة بالكامل ٠

*** يشير بعض المؤرخين بأن معركة قادش قد ترتب عليها نتائج خطيرة بالنسبة للحيثيين أهمها يتلخص في الآتي :

١ – حطمت معظم ما كان يمتلكه الحيثيين من سلاح وعتاد إلى جانب هلاك إعداد كثيرة جدا من قواتهم المدربة ٠

٢ – كشفت لهم مدى انخداعهم في الاعتماد على المرتزقة وقطاع الطرق في المعارك الحربية التي يخوضوها – وذلك لأن هؤلاء المرتزقة وقطاع الطرق قد هرب معظمهم من ميدان المعركة عندما اشتد القتال ، ولم يصمدوا في مواجهة الجيوش المصرية نتيجة عدم ولاءهم الكامل للإمبراطورية الحيثيه ، وإن هربوهم كان من أحد الأسباب في سحق باقي القوات التي كانت تشتبكه في المعركة وكان أغلبهم من الجنود الحيثيين ٠

٣ – بددت بالكامل ما كان يفكر فيه الزعماء الحيثيين في أن تكون لهم أكبر وأعظم إمبراطورية في الشرق ٠

٤ – كشفت للمجتمعات الحضارية الأخرى وعلى الأخص بلاد ما بين النهرين الإغراض التوسعية التي كان الحيثيين يسعون لتحقيقها سرا من أجل أن يقضوا على كل القوة الموجودة في أسيا الصغرى وأسيا

الصغرى وأسيا الغربية ، فاتخذت هذه المجتمعات الحذر وحصنوا مواقعهم حتى لا يكونوا لقمة سائغة في يد الحيثيين إذا حاولوا الاقتراب ناحية حدودهما .

٥ – تسببت في حدوث مشاكل داخلية خطيرة نتيجة الخلافات الجسيمة التي اندلعت بين أعضاء المجلس الأعلى(البانكو) بسبب الهزيمة الساحقة التي صعقت فيها قواتهم من جيوش مصر بقيادة رمسيس الثاني .

٦ – كانت بمثابة بداية النهاية للحيثيين حيث لم يجرؤا بعدها على مهاجمة حدود أي مدينة أو إقليم في أسيا الصغرى أو في أسيا الغربية – كما اتخذوا بعد أن أصابهم اليأس والإحباط خطوات التقهقر والارتداد للخلف وبدأ التفكك والاضمحلال ينخر في كيانهم (١) .

٧ – على أثر هذه الضربة القوية التي وجهها الجيش المصري لجيش الحيثيين – عجز الملوك الذين جاءوا بعد الملك [حاتوشيل الثالث] على الاحتفاظ بالمدن والأقاليم التي احتلوها في أسيا الصغرى وأسيا

---

(١) الكسندر شارف – تاريخ مصر – مرجع سابق – ص ١٥١ – ص ١٥٤ .

- G. contenau – la civilisation des Hittites ... op . cit – pp 314 ets .
- R. Dussaud – les Religions des Hittite ... op . cit – pp 217 ets .
- A. Aymard et j Auboyer – Histoire Generale Des civilisations op . cit – pp 204 ets .
- L. Delaporte – les Hittite – op . cit – pp 313 ets .

الغـــربية أو حـــتى الـــبقاء الأســـمى فيها بعد أن خارت قوتهم العسكرية وأصـــبحت قـــنطرة ســـهلة يمكن أن تعبر عليها أي قوة حربية تبحث عن النصر المبين ٠٠٠٠ ولذا أخذت مساحة دولتهم تتقلص إلى أن عادوا مرة أخـــرى وهـــم حاملين خيبة الأمل واليأس للتقوقع والانزواء داخل حدودهم الأولى ينـــتظرون فرصـــة جديدة تصلح من أوضاعهم وتعيدهم مرة ثالثة أقوياء كما حدث من قبل في المرة الأولى والثانية (١) .

* استمر الحيثيون على هذه الأوضاع المتردية من عـــام ١٢٨٠ ق ٠ م حتى عام ١٢٠٠ ق ٠ م دون أن تحدث أي ظروف مستجدة تحسن مـــن أحوالهم بل على العكس كانت جبهتهم الداخلية تتهاوى وتنهار بسبب المشـــاكل العديـــدة الـــتي كـــانت تـــندلع لاتفة الأسباب بين أفراد الطبقة الأرســـتقراطية وعلى الأخص أعضاء المجلس الذين تفرقت كلمتهم وتولد بيـــنهم الحقد وتدبير المؤامرات مما جعل المجتمع الحيثي يترنح ويسير في طـــريق التخـــبط وعـــدم الاستقرار بخطوات سريعة وبدون توقف إلى أن وصل إلى مرحلة الفوضى والانحلال (٢) .

* ومـــع بداية عام ١١٨٠ ق ٠ م حدثت الكارثة التي انهارت فيها تماما الدولة الحيثية وتم محوها من سجلات التاريخ حيث تعرضت لهجمات

---

(1) D. Kahn – seientists of cod analysis – op . cit – pp 148 – 153
(2) B. Hrozny – sur un cachet Hittite … op . cit – pp 284 cts .

شرســة قــامت بها قبائل بربربة جديدة نزلت عليها من الشمال ، وكانت معظمها من الاريين الذين هبطوا من شمال ووسط أوربا للبحث عن الرزق الوفيــر بالســلب والــنهب في أسيا الصغرى وفي كل بقاع أسيا الغربية ومنطقة الشرق الأوسط – وقد حاول الحيثيون احتوائهم وضمهم لصفوفهم للاســتفادة بقوتهم كما فعلوا من قبل إلا أنهم لم يفلحوا هذه المرة لسببين – **الأول** هو أن هذه القبائل كانت كثيرة وعدد أفرادها كان كبير جدا ، ويمثل مــا يــزيد عن عشرة أضعاف عدد أفراد القبائل التي تم احتوائها من قبل وبالتالي أصبح أمر احتوائهم في هذه الحالة صعب للغاية – **الثاني** : وهو يعتبر أخطر الأسباب التي صعقت قوة الحيثيين ، لأن أفراد القبائل البربرية الذيــن احــتواهم الحيــثيون من قبل واستخدموهم كمرتزقة في جيشهم قد انضــموا للقــبائل البربرية الجديدة واشتركوا معها في تدمير كيان الشعب الحيثي وسلب كل خيراته .

* وعــلى أســاس ذلــك تم فناء الشعب الحيثي ومحو وجوده من صــفحات الــتاريخ لأن الغارات الشرسة التي شنتها عليه القبائل البربرية الجديدة وانضم إليها أفراد القبائل البربرية الذين تم احتوائهم من قبل – قد قتــلت نصف أفراد الشعب الحيثي تقريبا ، والنصف الأخر الذي تمكن من الهرب والإفلات من هذه المجزرة البشرية قد اتجه بعضهم إلى بلاد فارس وضــاع أصــلهم تماما وذابوا بين الفرس والبعض الأخر قد فر إلى جزر بحــر ايجه وضاع أصله أيضا بين الشعوب الايجية وبعض ثالث اتجه إلى أقاليم أسيا الغربية وذاب في طيات الأجناس التي كانت تستوطن فيهــا –

وبالتالي تم محو الدولة الحيثية من التاريخ بعد أن ضاع شعبها بالكامل بين الإبادة وبين الذوبان في طيات الأجناس الأخرى [١] .

وعن هذه القبائل البربرية المدمرة يقول معظم المؤرخين بأنها بعد أن محـــت الدولـــة الحيثية من الوجود والتهمت بشراهة كل خيراتها ، قد غـــزت بـــرا وبحـــرا أقاليم عديدة في أسيا الغربية وأشاعت فيها الفوضى والخـــراب ، كما امتد غزوها إلى سوريا حتى وقفت أمواجها المدمرة عند حـــدود مصـــر ، حيث تمكن **رمسيس الثالث** من ردهم بعد سحق بجدارة قوتهم ، وأن هذه القبائل المدمرة كان يطلق عليها اسم قبائل شعوب البحر ، وما قامت به من خراب ودمار قد سجل في تاريخ بما يسمى **بحركة شعوب الـــبحر** التي بدأت بمحوها للدولة الحيثية وانتهت بتحطيم وسحـــق قوتهـــا عـــلى يد الجيش المصري بقيادة الملك **رمسيس الثالث** في عـــــــــام ١١٦٦ ق . م [٢] .

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – pp 247 ets .
(2) G. Contenau – la civilisation phenicienne – op . cit – p 67 .

البـــاب الثانـــي

******

المراحل التطورية لأهم نظم الحضارة الحيثية

تقديـــم :

سنعرض في هذا الباب المراحل الزمنية التي تطورت فيها أهم نظم الحضـــارة الحيـــثية فـــي المجـــالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والثقافية والدينية وذلك بداية من العصر الحجري القديم الذي كان فيه الحيثيون مجهولين الموطن ويعيشون حياة التشتت وعدم الاستقرار إلى أن أصـــبح لهـــم إقليم متسع وإمبراطورية كبرى في منطقة أسيا الصغرى كانت تنافس أكبر قوتين في جنوب غرب أسيا والشرق الأوسط وهما بلاد مـــا بين النهرين ومصر الفرعونية حتى أصيبوا بالانهيـــــار والانقراض السريع من سجلات التاريخ ٠٠٠ ولذلك سنقسم دراستنا في هذا الباب على النحو الآتي :

الفصل الأول : أهم النظم المحتملة للحضارة الحيثيـــة في العصر الحجري القديم ٠

الفصل الثاني : أهم نظم الحضارة الحيثية في العصـــر الحجري الحديث ٠

الفصل الثالث : أهم نظم الحضارة الحيثيـــــــــــــة في العصور القديمة ٠

الفصـــل الأول

****

أهم النظم المحتملة للحضارة الحيثيه
في العصر الحجري القديم

إذا كان لم يتم التوصل حتى الآن إلى المكان الذي تولد فيه العنصر الحيثي على وجه التحديد أو المنطقة التي تكونت في بقاعها الجماعات البدائية الحيثية في بداية عصرها الحجري القديم أو المناطق المحددة التي كانت تتجول فيها إلى أن نزحت لشمال سوريا - إلا أنه من خلال ما أثبته معظم العلماء والمؤرخين ، وما دلت عليه بعض الكشوف الأثرية بأن العنصر الحيثي من ضمن العناصر الأسيوية وينتمي إلى الجنس السامي الذي يمتد نسبة إلى سام بن سيدنا نوح عليه السلام ، وأن شكل الإنسان الحيثي وتكوينه الجسماني يتشابه بدرجة كبيرة مع الأجناس الأخرى التي تولدت في منطقة أسيا الصغرى أو في المناطق الواقعة في جنوب غرب أسيا عموما التي يحدها من ناحية الغرب البحر الأبيض المتوسط ، ومن ناحية الشمال البحر الأسود وبحر قزوين ومناطق الاستبس ، ومن ناحية الشرق الهضبة الجبلية في وسط أسيا ، ومن ناحية الجنوب الحزام الصحراوي الذي يمتد من شبه جزيرة سينا حتى الهند [١] .

فإن هذا الاتجاه هو الذي نؤيده ونقتنع بما أستند عليه من وقائع واستنتاجات حدسيه ، بأن الموطن الأصلي لميلاد العنصر الحيثي وتكوين الجماعات البدائية الحيثيه كان في أحد مواقع منطقة أسيا الصغرى أو

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – pp . 91 ets.

منطقة جنوب غرب أسيا عموما – وعلى هذا الأساس فأن الإنسان البدائي الحيثي قد عاش في بداية حياته في هذه المنطقة التي تتميز بمناخها القاري الحار صيفا والبارد شتاءً والذي لا تسقط فيه الأمطار خلال شهور الصيف إلا نادرا – على جمع القوت بالصيد والقنص والتقاط ما تجود به الأرض مــن حشــائش وثمار ، وأنه بعد أن تقابل مع أمثاله الذين كانوا يتجولون أيضا في نفس المنطقة لجمع قوتهم اليومي ، وتم الاتفاق بينهم على تكوين جماعــة ليعيشــوا بداخلها من أجل أن يتعاونوا في حياة اجتماعية مشتركة على جمع قوتهم ليؤمنوا بقوة اليد الواحدة رزقهم اليومي، ويتضامنوا سويا في دفع الكوارث والمخاطر التي كانت تلحق بهم وتهدد حياتهم ومستقبلهم – قد ظهرت الجماعات البدائية الحيثية في أحد مواقع هذه المنطقة وكانت دائمــة الــتجول في بقاعها ٠ وإذا كان غير معروف أيضا التاريخ المحدد الــذي ظهــرت فيه الجماعات البدائية الحيثيه في بداية عصرها الحجري القديم – إلا أنه باعتبارها من ضمن كتلة الجماعات الإنسانية التي تكونت فــي منطقة أسيا الصغرى أو منطقة جنوب غرب أسيا عموما ، وأن هذه المنطقة كانت عامرة بشعوب عديدة سبق ظهورها حضاريا ما بين ٥٠٠٠ – ٣٠٠٠ ســنة قــبل الميلاد– فإنه من المحتمل في ضوء هذه الوقائع أن تكــون الجماعات البدائية الحيثية قد بدأت عصرها الحجري القديم منذ ما يقرب من ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، وأنها أخذت في تصاعد تطورها نفس الصــفات التطورية التي أحرزتها شعوب هذه المنطقة وإن كانت في فترة زمنية أقل منها لأنها استفادت من خبرات ونتائج بعض هذه الشعــوب التي

ســـبقتها في الظهور والتطور عندما كانت تحتك بها أثناء تجولها في بقاع هذه المنطقة [١] .

وترتيـــبا عـــلى ذلـــك استطاع أفراد الجماعات البدائية الحيثيه أن يحـــترفوا صيد الحيوانات من الغابات والجبال التي تكثر في هذه المنطقة كمـــا احـــترفوا صيد الأسماك من الأنهار والبحيرات التي كانت قريبة من مواقـــع تجولهم لكي يؤمنوا قوتهم اليومي إلى جانب الحشائش والثمار التي كـــانوا يجمعوهـــا مـــن الأرض أو من فوق الأشجار ، وصنعوا في سبيل تحقيـــق هـــذه الأمـــور بعض الأدوات البسيطة من العظام والأحجار دون صـــقلها لكـــي تســـاعدهم فـــي معيشتهم البدائية التي سكنوا فيها الكهوف والمغارات ليريحوا فيها أجسادهم من تعب وشقاء جمع القوت كما ليحتموا بداخـــلها من خطر الضواري والوحوش المفترسة أو من شدة حرارة الجو في بعض أيام الصيف أو من البرد القارص في ليالي الشتاء .

ورغـــم أن إدراك أفراد هذه الجماعات كان محدود للغاية ، إلا أنه باعتـــبارهم من ضمن شعوب جنوب غرب أسيا فقد بسطت عليهم فكرتي الخـــوف مـــن الأب واحـــترام الأم فـــي حياتهم الاجتماعية الأولى - كما ســـيطرت عـــليهم عبادة بعض الظاهر الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم والرياح والأمطار مع عبادة بعض الحيوانات حيث تصوروا إن لها دوافع

---

(1) G. Maspero – Histoire ancienne des peuples de l'orient – op . cit – pp 27 – 29 .

واســتجابات مــثل التي لهم ، وتخيلوا أن جانب منها شريرا ومعادي لهم وجانب آخر خيرا ومعاونا لهم إذا أحسنوا عبادته بدون إهمال أو تأويل – ولذلــك كانت عقائدهم الدينية قائمة على الخوف والرهبه بعد أن سيطرت عــليهم الأوهام والأخيلة وهم في حياتهم البدائية الأولى بأن هذه الإلهة قد تدمر حياتهم وتمحو وجودهم أو تمنحهم الخير والبركة في معيشتهم [١] .

وكمثل الجماعات البدائية التي ظهرت في العصر الحجري القديم – كــانت الجماعــات الحيثيه لا توجد فيها سلطة مركزية ذات نفوذ وفاعلية تستطيع أن تنظم بأحكام علاقات أفرادها وتضبط سلوكهم ، وإنما كان لكل جماعــة رئيــس تقتصر مهامه على الإرشاد والتوجيه وإسداء النصح إلى جانب بعض المهام البسيطة التي تتعلق بتنظيم العمل بين الأفراد ، وكانت تخول له من باب الاحترام والتقدير أما لكبر سنه أو لخبرته في هذا المجال وليس دون ذلك [٢] – وعلى أساس هذا الوضع كان يسود داخل كل جماعة بدائيــة حيــثيــه النظام الذي ساد في معظم المجتمعات القديمة التي بدأت حضــارتها بالعصر الحجري القديم وهو **نظام العدالة الخاصة** أو **القضاء الخاص** الذي كان يقوم على مبدأ القوة تنشئ الحق وتحميه ، وفي ظل هذا النظام يحتمل أيضا بأن أفراد الجماعات الحيثيه في تنظيم علاقاتهم وترتيب

---

(1) H. G. wells – A short Hislory of the world – op . cit – pp 45 – 48 .

(2) G. Contenau – la civilisation des Hittites ...... op . cit – p . 29 .

حقوقهـــم والتزاماتهم كانوا يفرقون بين ثلاث أنواع من الجرائم رغم عدم وجــود الســلطة المركــزية التي تملك النفوذ والجبر عليهم ، وأنواع هذه الجرائم تتلخص في الآتي :

* **الجـرائم الخاصـة** : وهي التي كانت تقع بين الأفراد داخل كل جماعة وكان يترك فيها للمعتدي عليه الحق في أن يقدر العقوبة بنفسه لكي يقتضـــيها بـــالقوة من المعتدي – حتى يغسل العار الذي لحقه من الاعتداء الـــذي وقع عليه ويشفى غليله من المعتدي الذي أصابه بالألم والضرر من أثر اعتدائه عليه .

* **الجـرائم العامـة** : وهـــي التي كانت تطبقها الجماعة على أحد أفــرادها إذا اعـــتدى على كيانها أو على أي مصلحة من مصالحها العليا وجعـــل حياتها تتعرض للخطر مثل من يقوم بردم بئر المياه الذي تشرب مـــنه الجماعـــة ويعرض حياة أفرادها لخطر الموت من العطش ، أو من ينـــتهك حرمة العبادة المقدسة للآلة الذي تعبده الجماعة ، واعتقاد افرادها بـــأن هذا الانتهاك سيغضب معبودهم ويجعله يلحق بهم الخراب والدمـــار والهـــــلاك .

* **الجرائم الخارجية** :وهي التي كانت تقع بين الجماعات الحيّثيه ، لأن كل جماعة منها كانت مستقلة إلى حد ما الجماعـــــــــات الأخرى ، كما كانت تقع بين جماعة حيثية وأي جماعة من جنس آخر – وغالبـــــا

كانت هذه الجرائم تشتعل لأسباب تافهه لا تتناسب مطلقا مع طبيعة وحجم الاعـتداء الذي تقوم به الجماعة كعقوبة على جماعة أخرى ، مثـــــل مـــا إذا اعـــتدى فرد من جماعة معينة على فرد آخر من جماعة أخرى – حيـــث كان أفراد جماعة المعتدي عليه يتكاتفون جميعا بناء على تضامنهم المطـــلق ، ويقومـــوا يدا واحدة بالعدوان على جماعة المعتدي لكي يشفوا غليـــلهم ويغســـلوا العـــار الذي لحقهم من أثر العدوان الذي وقع على أحد إفرادهم (١) .

وبالـــتالي فإن الجماعات البدائية الحيثية باعتبارها من ضمن كتله الشـــعوب الـــتي تولـــدت في منطقة جنوب غرب أسيا كانت في عصرها الحجـــري القديـــم لا توجـــد فيها سلطة مركزية فعليه ، وقائمة على مبدأ المســـاواة الـــتامة بين الأفراد ، ويسودها نظام العدالة الخاصة أو القضاء الخاص الذي يرتكز على مبدأ القوة تنشئ الحق وتحميه في تنظيم العلاقات وتـــرتيب الحقـــوق والالتزامات وهذا النظام يمثل أول مرحلة من مراحل ظهور القانون .

---

(1) H. Hogbin – law and order in polynesia – New york – 1934 – pp 135 – 137 .

- P. Mammand – cultural and social Anthropology. New york – 1964 . pp 150 – 152 .

- ول ديورانت . قصة الحضارة . الجزء الأول . نشأة الحضارة . الفصل الثالث – ترجمة د . زكي نجيب محمود – طبعة ١٩٤٦ – ص ٥٠ .

ومن ملامح الأوضاع الاجتماعية التي تأثرت بها الجماعات البدائية الحيثية في منطقة جنوب غرب أسيا خلال أزمان هذا العصر هو أن أفرادها كانوا يدركون بمفاهيمهم المحدودة للغاية بأنه لكي يحصل أحدهم على مركز اجتماعي مرموق داخل الجماعة يجب أن يحوز على صفات الشجاعة والقوة والإلمام بمعرفة أمور العبادات والطقوس الدينية الخاصة بالالهة المقدسة للجماعة – وهذا عكس الجماعات البدائية التي ظهرت في جنوب شرق أسيا وعلى الأخص الجماعات البولينيزية التي كانت تقطن مجموعة الجزائر المنتشرة بالمحيط الهادي الجنوبي حول خط طول ١٨٠ وأشهرها **هواي وفيجي وساموان وسومطره وجاوه** حيث كان أفرادها يعتقدون بأن الحصول على مركز اجتماعي مرموق داخل الجماعة يكون من نصيب من يحمل صفات الشجاعة ومهارة السحر والقدرة على صيد أكبر عدد من رعوس أعدائه والاحتفاظ بها [أي يحتفظ بمنزلة بأكبر عدد من رعوس أعدائه بعد أن تمكن من قتلهم سواء في وقت الحرب التي قامت بين جماعته وجماعة أخرى معادية لها أو من خلال استخدامه لعمليات الثأر والانتقام في نظام القضاء الخاص القائم على مبدأ القوة تنشئ الحق وتحميه) (١) .

وأيضا كان نظام الزواج في الجماعات البدائية الحيثيه خلال عهود هذا العصر أقل تعقيد مما كان عليه في مجتمعات جنوب شرق أسيا – لأن

(1) R. j. BRAID WOOD – the Near East and the foundations of civilization- london – 1952 – pp 151 – 153 .

الزواج كان ممنوعا فقط بين الأفراد المنتسبين إلى خط نسب واحد في أي جماعة وغير ممنوع بين العائلات أو الأسر الموجودة داخل هذه الجماعة- فـــي حين كان الزواج في جماعات جنوب شرق أسيا ممنوعا بصفة مطلقة بين أفراد الجماعة سواء كانوا منتسبين لخط نسب واحد أو لعائلات أو أسر مختــلفة ، لأنه كان لابد أن يكون الزوج من جماعة والزوجة من جماعة أخرى - هذا بالإضافة إلى أن أفراد الجماعات الحيثية كانوا ينظرون إلى الزواج باعتباره عقدا مدنيا أكثر من نظرتهم إليه كرباط مقدسي ، وبأن هذا العقـــد كـــان يقويـــه ويســـند أركانه نوع من تبادل الملكية بين العائلات المتصاهرة سواء كان ذلك بمثابة ثمن للزوجة أو مهرا لها أو الاثنتين معا- فـــي حيـــن كـــان العكس في جماعات جنوب شرق أسيا لأن أفرادها كان يـــنظرون إلى الزواج باعتباره رباط مقدس أكثر من نظرتهم إليه على أنه عقـــدا مدنيـــا ٠٠٠٠ وإلى جانب ذلك أيضا كانت روابط القربى داخل كل جماعـــة حيـــثيه وعـــلى الأخص بعد أن ازداد عدد أفرادها في نهاية هذا العصـــر أقل سلطانا في سيطرتها على العلاقات الشخصية إذا قورنت بما كانت عليه في جماعات جنوب شرق أسيا [١] .

هـــذه هـــي أهم ملامح الأوضاع الاجتماعية التي يمكن استنتاجها للجماعات البدائية الحيثيه في أزمان عصرها الحجري القديم الذي كانـــت

---

(1) H. ERANE FORT – the Birthe of civilization in the Near East – London – 1951 – pp 84 – 87 .

تـــتجول فيـــه بصفة دائمة من مكان لآخر في منطقة أسيا الصغرى أو في إحدى مواقع منطقة جنوب غرب أسيا عموما من أجل جمع القوت بالصيد والقــنص والـــتقاط مـــا تجود به الأرض من حشائش وثمار . وذلك لأن الجماعـــات الحيـــثيه لم تعرف على الإطلاق طوال عهود هذا العصر أي نظـــام لعمليات إنتاج الغذاء ، عكس بعض الجماعات الأخرى التي كانت تنتشـــر فـــي السهول الخصبة لنهري دجلة والفرات حيث عرفت في آخر عهود عصرها الحجري القديم بعض وسائل بدائية لإنتاج الطعام من نظام الرعي واستئناس بعض الحيوانات وإن كانت ضئيلة للغاية [١] .

تشير بعض الدلائل والاستنتاجات بأن الجماعات البدائية الحيثيه لم تســتمر فـــي عصـــرها الحجري القديم فترة طويلة مثل بعض الجماعات الأخرى ، والسبب في ذلك يرجع إلى عدة عوامل أهمها ما يلي :

١- * أن منطقة أسيا الصغرى أو منقطة جنوب غرب أسيا عموما مـــن أفضل مناطق العالم الغنية بالخيرات حيث يمتد فيها أنهار كبرى مثل نهـــري دجلة والفرات في بلاد ما بين النهرين ، ونهر كيزيل بالقرب من هضـــاب الأناضـــول ، وأنهار الليتير والكلب والزهراني بسوريا والمناطق الساحلية للبحر الأبيض المتوسط ، كما يكثر فيها السهول والوديان الخصبة إلى جانب بعض البحيرات الغنية بالثروة السمكية مثل البحر الأسود وبحر

---

(1) R. j . BRAID WOOD – the Near East .... Op . cit – p 112 .

قــزوين – وهذا يجعل عمليات جمع القوت في الحياة البدائية الأولى لأي جماعـــة إنسانية سهلة وغير معقدة عكس المناطق الأخرى وعلى الأخص في شمال ووسط أوربا حيث كانت شديدة التعقيد ومليئة بالظروف المناخية القاسية ·

٢- * الوقــت الذي ظهرت فيه الجماعات البدائية الحيثيه في بداية عصـــرها الحجـــري القديـــم ، كـــان يوجد في منطقة جنوب غرب أسيا مجتمعات متطورة حضاريا منذ آلاف السنين ، الأمر الذي أدى إلى استفادة الجماعـــات الحيـــثية منها عندما احتكت بها أثناء تجولها من مكــــــان لمكـــان للبحث عن القوت اليومي ، وهذا ساعد بالطبع على سرعة اجتياز أفـــرادها لأزمان هذا العصر خلال فترة غير طويلة لا تزيد عن ألف سنة تقريبا ·

٣- * لـــم تثـــبت أي دلائل أو أي وقائع معينة على أن الجماعات الحيثيه في أزمان هذا العصر قد تعرضت لنكبات أو لكوارث شديدة عثرت مـــن معيشتها أو أوقفت من مراحل تطورها خلال عهود هذا العصر حتى نجحت من الخروج منه ودخول أعتاب عصرها الحجري الحديث ·

وإذا كـــانت شـــعوب الأجـــناس الأخـــرى التي ظهرت وتطورت حضاريا في منطقة جنوب غرب أسيا قد عرفت أصولها وهي في عصرها الحجري القديم مثل السومريين والاكاديين والأموريين والكنعانييــــــــن

والحوريين والكاشيين ، والجماعات الإنسانية الحيثية كانت مجهولة الهوية تماما وغير معروفه على الإطلاق في هذا العصر الذي يمثل البداية الأولية لمسرح وجودها في الحياة الإنسانية ، فإن هذا يرجع إلى عدة أسباب أهمها يتلخص في الآتي :

١- * الجماعـــات البدائية الحيثية كانت تتجول وهي في عصرها الحجـــري القديـــم في مواقع عديدة وغير محددة على الإطلاق في منطقة جـــنوب غرب آسيا – في حين كانت شعوب الأجناس الأخرى تتجول في عصـــرها الحجـــري القديم من أجل جمع قوتها اليومي في بقاع أو أقاليم معـــنية مـــثل شعب **السومريين** الذي كان يتميز بالبشرة السمراء والانوف الناتـــئة حيـــث كان يتجول في عصره الحجري القديم في المنطقة الواقعة وراء الخـــليج الفارســـي ثم نزح بعد ذلك حوالي عام ٤٠٠٠ ق ٠ م إلى الســـهول الخصـــبة في جنوب بلاد ما بين النهرين وأسس مدن عديدة مثل **ارو ، لا رسا ، اريدوا، اما ، لاجاش – وشعب الاكاديين** الذي كان يتجول لجمـــع قوته خلال أزمان عصره الحجري القديم في صحاري بلاد العرب الشمالية ثم زحف،حوالي عام ٣٠٠٠ ق٠ م إلى السهول الخصبة في شمال بلاد ما بين النهرين وأسس مدينة [اكاد] في عام ٢٩٠٠ ق٠ م واستطاع بعـــد أن تـــولى زعامـــته قائد سامي عظيم هو الملك[**سرجون الأول**] أن يؤسس دولة كبرى امتدت من الخليج الفارسي إلى البحر الأبيض المتوسط – وشعب العيلاميين الذي كان يتجول في عصره الحجري القديم لجمع قوته اليومي في جنوب إيران ثم زحف على بـــلاد ما بين النهريـــــن في عام

٢٦٠٠ ق٠م تقريبا واحتل معظم مدنها – وشعب الحوريين الذي كان يتجول في عصره الحجري القديم في المنطقة المحصورة بين الشمال والشمال الغربي من أشور في الوحدة الجغرافية التي أطلق عليها اسم بلاد سوبارو واستطاع في النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد أن يحترف الزراعة والرعي ثم نجح في الألف الثانية قبل الميلاد أن يؤسس مملكتين الأولى مملكة ميتاني في المنطقة الواقعة شرق أشور والثانية مملكة حوري وكانت تقع في غرب المملكة الأولى ٠٠٠ وهذا أيضا بالنسبة لشعب العموريين والأموريين والكنعانيين والكاشيين والفينيقيين ٠٠٠٠ الخ [١] ٠

٢- * علماء الآثار لم يتوصلوا حتى الآن إلى اكتشاف أي آثار في المواقع الجغرافية الكائنة في منطقة جنوب غرب أسيا تؤكد بأن الجماعات البدائية الحيثيه كانت تتجول فيها خلال أزمان عصرها الحجري القديم – في حين اكتشفوا أثار عديدة لمعظم شعوب الأجناس الأخرى في المواقع والأقاليم المحددة التي كانت تتجول فيها لجمع قوتها اليومي في عصرها الحجري القديم ٠

٣- * الشعب الحيثي من ضمن الشعوب التي قامت حضارتها على الاقتباس والتقليد دون الابتكار والتميز أي اقتبس معظم عناصر حضارته

---

(1) Ralph linton. TREE of culture - op. cit - pp 109 ets .
- H. G. wells - Ashort History of the world - op . cit - p 66 , p 95.

مـــن مجتمعات حضارية أخرى سبقت ظهوره بآلاف السنين وهذا قد ظهر واضحا عندما نزح إلى شمال سوريا في الغارة الكبرى حيث كان لا يحمل أي صـــفات حضارية مميزة وإنما كانت صفات قليلة ومقلدة من حضارات أخـــرى قديمـــة وعـــلى الأخص الحضارات التي ظهرت في بلاد ما بين النهرين وسوف نوضح ذلك تفصيلا فيما بعد، وبالتالي لم يكن لـــه أي دور حضـــاري مميز في عصره الحجري القديم يمكن من خلاله أن يعرف به مثل شعوب الأجناس الأخرى التي ظهرت قبله أو التي كانت معاصره لـــه في منطقة جنوب غرب أسيا (١) .

هـــذه هـــي أهم الملامح التي أمكن الوصول إليها من الاستنتاجات والمعلومات الضئيلة التي طرحها المؤرخين وعلماء الآثار عن الجماعات الـــبدائية الحيـــثيه في عصرها الحجري القديم . وإن كان من المحتمل أن يصـــل علماء الآثار إلى المكان الذي كانت تتجول فيه هذه الجماعات في أســـيا الصغرى أو في منطقة جنوب غرب أسيا عموما لمعرفة المزيد من أصول وأوضاع الشعب الحيثي وهو في بداية حياته الإنسانية .

---

(1) H. FRANK FORT . the Birth of civilization in the Near East .....op . cit – pp 66 – 86 .
- R. j . BRAID wood – the Near east .... Op . cit – p 172 .

الفصـــل الثانـــــي

****

أهــم نظــم الحضــارة الحيثيـــه

في العصر الحجري الحديث

[العصر النيوليتي]

استطاعت الجماعات البدائية الحيثية أن تنجح بعد فترة زمنية غير طويلة في الخروج البطيء من مرحلة جمع القوت التي اعتمدت عليها في معيشـتها خـلال أزمـان العصـر الحجري القديم وتدخل أعتاب العصر الحجـري الحديـث بعد أن عرفت البوادر الأولية لنظام الرعي واستئناس بعـض الحيوانـات واسـتخدمت الأدوات الحجرية المصقولة إلى جانب اقتباسها لبعض عناصر حضارية من المجتمعات الإنسانية التي احتكت بها أثـناء تجولهـا فـي الـبقاع العليا لمنطقة جنوب غرب أسيا وكانت هذه المجتمعات تسبقها في الظهور والتطور الحضاري منذ آلاف السنين وذلك [كما سبق أن وضحنا في الفصل السابق] [١].

ورغـم أنـه غير معلوم حتى الآن الزمن المحدد الذي انتقلت فيه الجماعـات الحيـثيه إلى أول عهـود عصرها الحجري الحديث ، إلا أن اسـتنتاجات بعض علماء الآثار والانثربولوجيا والمؤرخين تشير بأنه كان مـع نهاية أزمان الألف الثالثة قبل الميلاد – وهذه الاستنتاجات قد جاءت عـلى أسـاس أن الجماعـات الحيثيه كانت تحمل عند نزوحها إلى شمال سـوريا فـي الغارة الكبرى بعض عناصر حضارية محدودة من صفات النصـف الأول للعصر الحجري الحديث ، وأن مدة اكتساب هذه العناصر يتراوح ما بين ٥٠٠ – ١٠٠٠ سنة وتشير تقريبا إلى هذا التاريخ .

---

(1) Ralph Linton – TREE of culture – op . cit – p 242 .

وإذا كان العلماء والباحثيين لم يتوصلوا حتى الآن إلى المكان الذي تولد فيه الجنس الحيثي ولا إلى المواقع أو البقاع المحددة التي كانت تتجول فيهــا الجماعات الحيثيه خلال أزمان العصر الحجري القديم من أجل جمع قوتهـــا اليومي – فأنهم لم يتوصلوا أيضا إلى المكان أو الموقع الذي دخلوا فيـــه أعتاب العصر الحجري الحديث ولا أيضا إلى البقاع التي عاشوا فيها العهود الأولى لهذا العصر قبل نزوحهم في الغارة الكبرى إلى شمال سوريا – الأمــر الــذي جعــل حياتهم السابقة مجهولة الموطن المحدد في منطقة جــنوب غــرب أســيا ، وأن كان هناك احتمال بأن هذه الجماعات كانت تتحرك في عهودها الأولى للعصر الحجري الحديث قبل نزوحها في الغارة الكبرى في المواقع المجاورة لبلاد ما بين النهرين وذلك لأنها كانت تحمل صفات حضارية معظمها تخص حضارة هذه البلاد عند هبوطها في شمال سوريا – والسبب في عدم الوصول إلى الموطن المحدد الذي كانت تعيش فيـــه جماعات الشعب الحيثي في النصف الأول لعصرها الحجري الحديث وقـــبل أن تـــرحل إلى شـــمال سوريا في الغارة الكبرى يرجع إلى عوامل عديدة أهمها الآتي ·

١- * أن الجماعات الحيثيه كما يقول بعض العلماء والمؤرخين من ضـــمن الجماعـــات الإنسانية التي كانت في حياتها البدائية خلال عصرها الحجـــري القديم ، وفي النصف الأول لعصرها الحجري الحديث لا تميل مطلقا إلى الاستقرار أو الارتكاز في بقاع أو مواقع معينة فترة طويلة لكي تشتهر بوجودها فيها – وإنما كانت تحبذ الانتقال والتجول في مواقع عديدة

خـــلال فترات زمنية قصيرة جدا ، أي كانت دائبة التحرك من موقع لآخر دون أن تــترك آثارا واضحة تعبر عن وجودها في أي موقع محدد خلال فترة زمنية معينة .

٢- * الجماعـــات الحيــثية بعد أن دخلت أعتاب العصر الحجري الحديــث نتيجة تعلم إفرادها البوادر الأولية لنظام الرعي واستئناس بعض الحيوانـــات كـــانت فـــي العهود الأولى لهذا العصر ، لا تقدر مطلقا قيمة الأرض إلا فـــي حالة ما إذا كانت بها أعشاب ، فإذا التهمت المواشي التي ترعاها والحيوانات التي قامت باستئناسها هذه الأعشاب ، أصبحت الأرض عـــندها ليست لها قيمة على الإطلاق وتغادرها على الفور لكي تبحث عن أرض أخـــرى بها أعشاب في موقع آخر ، حتى لو كانت الأرض الأولى ســـوف تنـــبت أعشـــاب جديدة من خلال مياه الأمطار وما بها من جذور الأعشاب السابقة التي تغذت عليها مواشيهم وحيواناتهم المستئناسة- وحيث أن الـــتهام أعشاب أي أرض مهما كانت مساحتها لا يستغرق سوى فترات زمنية قصيرة لا تزيد بأي حال من الأحوال عن بضعة شهور، فأن هذا قد جعل ارتكاز هذه الجماعات الحيثية في أي موقع شبه معدوم تقريبا .

٣- * طـــبيعة جماعات الشعب الحيثي كانت تميل دائما إلى حب الحيـــاة الســـهلة والابـــتعاد أو الـــنفور من المعيشة التي تحتاج إلى الجهد والمصـــابرة - وهـــذا قـــد ظهر عقب نزحها إلى شمال سوريا في الغارة الكبرى حيث لم تستقر فيها إلا بعد أن وجدت زرق وفير تحصـــــــل عليه

بـــدون شقاء أو بدون بذل جهد شديد ، كما لم تتعرض أثناء تواجدها فيها خـــلال المرحـــلة الأولى لاستقرارها لأي خلافات أو مشاكل جسيمة تهدد حياتهـــا مـــن جـــانب سكان البلاد وعلى الأخص **الاموريـيـــن والكنعانيين والفينيقيين** – ولذلك فإن هذه الجماعات كانت في النصف الأول لعصرها الحجـــري القديم بمجرد أن ترى الأرض قد أصبحت جرداء من الأعشاب تـــتركها عـــلى الفور وترحل بمواشيها وحيواناتها المستأنسة عنها دون أن تفكر على الإطلاق في استثمارها من خلال زراعتها بأعشاب جديدة أو أن تصـــبر بجهد قليل حتى ينمو فيها الزرع مرة أخرى ، وإنما كانت تفضل الـــبحث عـــن موقع آخر به أرض مزروعة لكي تعيش عليها فترة زمنية قصـــيرة بدون أن تعاني أي جهد أو تعب في زراعتها أو نمو أعشابها . وعـــلى هذا الأساس كانت طبيعة هذه الجماعات تأخذ صفة الرعاة الرحل الذيـــن يفضـــلون العيـــش على ما تجود به الطبيعة بدون عناء أو جهد أو التمتع برغد الحياة على أكتاف غيرهم من الشعوب الأخرى التي لها تاريخ طويـــل فـــي الإنـــتاج وحب العمل وشعب **الهكسوس** يماثل تماما الشعب الحيـــثي فـــي طبيعته وأن كان قد تفوق عليه حضاريا في اختراعه للعجلة وفي استثماره للخيول بعد ترويضها وذلك لأن الهكسوس كانوا أيضا رعاه رحل وغير معروف حتى الآن أيضا موطنهم الأصلي الذي نزحوا منه في الغـــارة الكبرى مع الحيثيين إلى شمال سوريا ثم استمروا في الزحف حتى احتـــلوا أرض الدلتا وعاشوا فيها بدون جهد على أكتاف المصريين حيث استغلوهم أسوأ استغلال ونهبوا خيراتهم حتى تم طردهم وتحرير البـــلاد

منهم ، ثم تم محوهم من صفحات التاريخ لعدم قدرتهم على الاستقرار في أي موقع غير مسكون في منطقة جنوب غرب أسيا وتعميره بجهدهم .

ولذلــك كانت حياة الترحل التي عاشت فيها الجماعات الحيثية في النصــف الأول لعصــرها الحجــري الحديث وقبل أن تشترك في الغارة الكبرى وتهبط في شمال سوريا ، تقتضي بحكم اللزوم حركة مستمرة من مــراعي الشتاء إلى مراعي الصيف ، وهي وإن كانت حياة حرة وكل فرد فيها كان أرحب مجالا في الحركة وأكثر اعتمادا على نفسه وأكثر استغلالا مــن حيــاة عازق الأرض - إلا أنها قد جعلت هذه الجماعات أقل إنتاجا لــلأولاد ، وأقل عددا ، وأدنى تطورا من الجماعات الأخرى التي احترفت الــزراعة وذاقــت طعم الاستقرار في منطقة معينة - كما أدت أيضــا نــتيجة التحرك الدائم من مكان لآخر فوق المتسعات المترامية من الأرض إلى عــدم وجــود معابد مستديمة لأفرادها ، ولا كهنة بداخلها لهم صفــة كبرى من التبجيل والمكانة العظيمة مثل الجماعات التي كانت تقطن أرض المحراث [١].

إذا كــانت الجماعــات الحيــثيه قد ارتضت خلال النصف الأول لعصــرها الحجري الحديث بمعيشة الترحل وعلى الأخص بعد أن اندمجت في حياة البداوة واستطاعت أن تصنع بأساليب بدائية خطط للتنقل المستمر

(1) H. G. Wells – A short History of the world – op . cit – p 65 .

بين مراعي الصيف ومراعي الشتاء ، وآلف أفرادها رؤية الوجوه الغريبة لشعوب الأجناس الأخرى أثناء تحركهم من مكان لمكان آخر دون أن يدخل الخوف أو الفزع في قلوبهم – وأنه في ظل هذه الأوضاع كان من الممكن أن تستمر حياة هذه الجماعات على ذلك إلى أن تنتهي في بقاع منطقة جنوب غرب أسيا دون أن تضيف أي عناصر حضارية أكثر من عناصر حضارات الشعوب البدوية المترحلة – إلا أنه نتيجة حدوث كوارث طبيعية مفاجئة لم يكن في الحسبان توقعها قد قلبت أوضاع هذه الجماعات وجعلتها بعد أن ذاقت بقسوة مرارتها تكره حياة الترحل وتبحث بكل ما تبقى من إنفاس أفرادها عن موقع دائم تستقر فيه وتعيش على أرضه في حياة يتوافر فيها الرزق والأمان .. وذلك لأنه في الأعوام الأخيرة للألف الثالثة قبل الميلاد تعرضت المواقع والبقاع التي كانت تتحرك فيها الجماعات الحيثية والجماعات الأخرى التي كانت تعيش على نظام الرعي مثل الهكسوس وعلى الأخص في أسيا الصغرى وهضاب جبال فارس إلى زالزل عنيفة وجدب شديد في المراعي بسبب عدم هطول الأمطار لفترات طويلة خلال العام إلى جانب حدوث تقلبات مناخية غير مألوفة . وهذه الأوضاع المستحدثة قد جعلت حياة أفراد الجماعات الحيثية مستحيلة أو صعبة للغاية فاضطروا حتى لا يهلكوا من الجوع والعطش أو من الدمار الذي تحدثه هذه الزالزل والبراكين إلى القرار إلى مواقع أو بقاع أخرى تكون بعيدة عن حزام هذه الزالزل ويتوافر فيها الرزق والأمان لكي يستقروا فيها

ويهجــروا حياة الترحل التي انكشفت أمامهم بعدم الأمان والاستقرار [١] – وحيث أن سوريا وسواحلها الشاطيئة كانت في ذلك الوقت من الأقاليم التي تتمــتع بالــرزق الوفيــر وتعيش فيها أجناس عديدة تتمتع بهذا الزرق إلى جانب ما بها من طقس معتدل – فقد انتهزت هذه الجماعات الحيثيه فرصة الاشــتراك مع الشعوب البدوية الأخرى في الغارة الكبرى ، وهبطت على شــمال سوريا ، واستطاعت نتيجة ضعف سلطتها المركزية أن تعيش فيها وتذوق لأول مرة في حياتها طقم الأمان والاستقرار ، بعد أن نجح إفرادها في الاندماج والاختلاط والتقارب مع سكان البلاد وشعروا بالألفة وروابط الــود ولم يرتابهم أي تواتر أو قلق في معيشتهم الجديدة ولهذا يقول بعض المؤرخين بأن الشعب الحيثي كان من ضمن الشعوب المحظوظة في تاريخ الحضمــارات القديمة مثل الهكسوس لأن الظروف السيئة التي تعرضوا لها من أثر الزالزل وجدب الراعي بسبب عدم هطول الأمطار وسوء الأحوال المــناخية – قد نقلتهم من حياة الترحل والتشتت والخوف إلى حياة أخرى مليئة بالأمان والرزق الوفير والاستقرار بدلا ما كان من المفـــــروض أن تقضــي عليهم مثل شعوب أخرى كثيرة تم فنائها بسبب هذه الظروف الســيئة المســتحدثة – كمــا اســتطاعوا أن يكونوا حضارة على أكتاف المجتمعات الحضارية الأخرى التي ارتموا في أحضانها ويدخلوا بها أبواب التاريخ بعد ما كانوا من ضمن الشعوب المجهولة التي لا أثر لوجودها في

---

(1) Ralp linton – TREE of culture – op . cit – pp 62 ets .

سجل العالم القديم (١) .

وهـــذه الحقيقـــة لا يمكـــن إنكارهـــا أو طرح أي معلومات أخرى تعارضـــها لأن الجماعـــات الحيـــثيه ما زالت حتى الآن مجهولة الموطن المحـــدد في منطقة أسيا الصغرى أو في منطقة جنوب غرب أسيا عموما سواء في عصرها الحجري القديم أو في النصف الأول لعصرها الحجري الحديـــث قبل أن تنزح في الغارة الكبرى إلى شمال سوريا ، وأن أفرادها كـــانوا عبارة عن رعاة أو بدو رحل ، لم يذوقوا أي طعم لحياة الاستقرار في موقع معين أو في بقاع محددة ، كما أن طبيعتهم كانت في البداية تميل إلى عـــدم التحدي والمثابرة وصنع عناصر حضارية مميزة بالاعتماد على أنفسهم وأنما كانوا يفضلون الحصول على الرزق البسيط الذي يأتي بالجهد القـــليل وبدون أي تعب أو معاناة ، ولذا كانوا بمجرد وصولهم إلى شمال سوريا يجهلون تماما عمليات استصلاح الأراضي وزراعتها بأي محاصيل زراعيـــة ، ولا يعـــرفون سوى أمور الرعي واستئناس بعض الحيوانات وصـــناعة بعض الأدوات البسيطة من الحجارة وعظام الحيوانات بعد أن توصـــلوا إلى صـــقلها ، كما كان إدراكهم لمعظم العلوم الإنسانية محدود لـــلغاية ، ونظـــم العلاقات بينهم كانت في البوادر الأولية لفترة انتقالهم من مرحـــلة القـــوة تنشئ الحق وتحميه أي مرحلة العدالة الخاصة أو القضاء الخـــاص إلى مرحلة تهذيب القوة التي تقوم على نظام التصالح والتحكيم ،

---

(1) V. G. CHILDE – New light on the Most Ancient East london – 1952 – pp 54 ets .

وعقـــائدهم الدينية كانت محصورة في عبادة قوى الطبيعة ومازالت قائمة على الخوف والرهبة أكثر من الورع والتقوى [١] – والدليل على ذلك تشير إليه بعض الآثار التي تم اكتشافها في المواقع المختلفة بشمال سوريا ولبنان مـــثل حفائر بيبلوس [مدينة جبيل حاليا] التي تقع على بعد ٤٥ كم شمال مدينة بيروت في عام ١٩١٩ م ، وحفائر مدن صيدا وصور وعمريت في عام ١٩٢١ م ، وحفائر راس شمرا التي تقع على بعد ١١ كم شمال مدينة اللاذقية في عام ١٩٢٩ م – إلى جانب الأبحاث الأثرية التي قامت بها من قبل البعثات المتخصصة في علم الآثار وعلى الأخص البعثة الفرنسية مثل بعـــثة العالم الأثري رينان في عام ١٨٦٠م ، والبعثة الألمانية التي اشترك فيهـــا أكبر علماء الآثار مثل فون ليندلو ومكريدي في عام ١٩٠١م [٢] – حيـــث اتضح من خلال هذه الآثار التي تم اكتشافها أدلة عديدة تثبت حقيقة أوضـــاع الجماعـــات الحيثية بمجرد وصولها في الغارة الكبرى إلى شمال سوريا وأهم هذه الأدلة يتلخص في الآتي .

---

(1) H. FRANK FORT – the Birth of civilization in the Near East – london – 1951 – pp 62 – 64 .

(2) R. weill. Sur la situation historique et politique de Ras – shamra – paris – 1937 – pp 38 ets .
- E. Cavaignac – Ras – shamra et l'Empire Hittite – op . cit pp . 69 ets .
- M. pillet – le temple de Bybleas – syria – 1927 – pp . 105 – 112 .

١- كـل أفـراد الجماعات الحيثيه كانوا عقب هبوطهم في شمال سـوريا على صورتهم الأولى عبارة عن رعاة رحل ومتساوين تماما في الحقـوق والواجبات ، أي كان لا يوجد بينهم من هو غني ومن هو فقير ، ومـن هـو مالك ومن هو أجير ، ومن هو سيد ومن هو عبد ، ومن هو صاحب مكانه رفيعة ومميزه ومن هو صاحب مكانه متوسطة أو وضيع - وفـي ظل هذا الوضع كانوا لا يحملون معهم في زمام الدنيا سوى أمتعتهم البسـيطة للغاية وردائهم المتهالك المصنوع من جلود الحيوانات إلى جانب بعض الأغنام والحيوانات التي نجت من الكوارث وجدب المراعي ، ومن حـركة الفـرار والرحيل - ولذلك لم يذوقوا طعم الاستقرار ، ولم يعرفوا معنى حياة الأمان والرزق الوفير ، ولم يعيشوا في مساكن تحميهم من غدر العـراء إلا بعـد أن استوطنوا في شمال سوريا ، ولاقوا من سكانها الذين كـانوا ينتمون لأجناس مختلفة معاملة غير عدائية رغم أنهم كانوا يأخذون في نزحهم صفة الغزاة الطامعين [١] .

٢- الجماعـات الحيثيه كانت غير متحدة في كيان سياسي واحد ، وإنما كانت كل جماعة منها مستقلة عن الجماعات الأخرى ، رغم انتمائهما جميعا لأصل واحد . ولذلك عندما هبطت في شمال سوريا لم تتمركز في مكـان واحد ، وإنما تفرقت وانتشرت في أماكن عديدة شملت تقريبا معظم أرجاء هذه المنطقة .

---

(1) w. Ehrich - Relative chronoiogies in old world archaeolgy - chicago - 1954 - pp 116 - 118.

٣ - كل جماعة حيثيه كانت ما زلت تأخذ بفكرة التضامن المطلق ولـم تتخلص منها نهائيا ، إلا بعد أن عرفت الزراعة وذاق أفرادها طعم الأمـان والاستقرار - ولذا كان كثيرا ما يتسع نطاق الخلافات والمشاكل الـتي كانت تحدث بين الجماعات الحيثية في بداية حياتها الأولى في شمال سوريا بسبب هذا التضامن المطلق ٠

٤ - معـلومات أفراد الجماعات الحيثية عن النظم السياسية كانت محـدودة لـلغاية ، ولـذا كانت الأوضاع الداخلية لكل جماعة حيثية غير مـنظمة بالشـكل الذي كانت عليه جماعات الأجناس الأخرى التي كانت تقطـن أرض المحـراث ٠ كمـا أن رئيسها أو قائدها الذي كان يمثل في البداية أكبر أعضائها سنا وأخذ لقب شيخ كانت سلطاته محدودة وانحصرت في تنظيم العمل بين الأفراد وفي توجيه الإرشاد والنصح لهم ، أي كان أقل سـلطة وأهمية من رئيس أي جماعة من جماعات الأجناس الأخرى التي عرفت أساليب عزق الأرض وزراعتها ببعض المحاصيل الزراعية ٠

٥ - لـم يعـبد أفـراد الجماعـات الحيثية أي إلهة خاصة بفلاحه الأرض ونمـو المحاصـيل الزراعية ووفرة إنتاجها إلا بعد أن نزحوا إلى شـمال سـوريا وانتشـروا فيهـا - مما يدل أنهم تعلموا لأول مرة فنون استصـلاح الأراضـي وزراعـتها بالمحاصيل الزراعية من سكان البلاد وعرفوا مدى أهمية خصوبة التربة في جلب الخير والرزق الوفير بعد أن استقروا في بقاع هذه المنطقة وذاقوا طعم الحياة الآمنة من فلاحة الأرض٠

٦ - الأنشـــطة الصناعية التي كانت تحملها الجماعات الحيثية عند نزحها إلى شمال سوريا في الغارة الكبرى كانت محدودة للغاية ولا تقارن مطـلقا بالنشاط الصناعي أو الحرفي لسكان البلاد ، لأن أفراد الجماعات الحيـــثيه كـــانوا لا يعـــرفون إلا صنع أدوات بسيطة من الحجارة وعظام الحيوانـــات وإن كـــانوا قد تمكنوا من صقلها في بداية عصرهم الحجري الحديـــث فـــي حين كان سكان البلاد يتقنون صناعات عديدة ومتميزة مثل الأوانـــي الفخاريـــة والنسيج وصهر المعادن وصناعة الأخشاب والأسلحة المعدنيـــة والآلات والمعـــدات الخاصـــة بالزراعة مثل المحراث والفأس والمنجل وغير ذلك من الأدوات الخاصة بأمور المعيشة إلى جانب صناعة السفن ، وبالطبع كانت هذه الصناعات مجهولة تماما للحيثين وتعلموها بعد أن اســـتقروا فـــي هـــذه المنطقة واختلطوا مع سكانها الذين كانوا ينتمون لأجـــناس مختـــلفة ، هذه بالإضافة أن الجماعات الحيثيه كانت أيضا أدنى تطورا من بعض جماعات الأجناس الأخرى التي اشتركت معها في الغارة الكـــبرى كالهكسوس مثلا ، وذلك لأن الهكسوس قد اكتشفوا العجلة وقاموا بصـــناعتها كمـــا عرفوا الوسائل البدائية لاستخدام الحصان في حين كان الحيثين ليست لديهم أي معرفة سابقة عن العجلة ولا عن استخدام الحصان أثناء اشتراكهم في الغارة الكبرى إلى شمال سوريا [١] .

---

(1) G. Contenau – la civilisation des Hittites – op . cit – pp 43 ets .
- H. R. Hall – the Ancent History of the Near East – op . cit – pp 183 ets .
=

** وبناء على ما تقدم ٠ فإن الجماعات الحيثية قد دخلت في عهود النصــف الــثاني لعصرها الحجري الحديث بعد أن نزحت مباشرة لشمال ســوريا واســتقرت فيها – حيث تعلم أفرادها من سكان البلاد الذين كانوا متطورين حضاريا في معظم أمور الحياة الإنسانية ما يلي :

** **أولا : تعلموا فنون استصلاح الأراضي** ، وتمهيد التربة بعد عزقها بالفأس والمحراث ، وزراعتها بالمحاصيل الزراعية المتنوعة ، وأصــبحوا فــي خلال فترة قصيرة منتجين للغذاء الوفير – ولذا فإن أهم ملامــح نشــاطهم الزراعي في النصف الثاني لعصرهم الحجري الحديث يتلخص في الآتي :

* المحصــولات الرئيســية التي تفوقوا في زراعتها قد تمثلت في القمح والشعير والعدس والبسلة والبصل والخيار والقرع وذلك لكي يغيروا من وجبات طعامهم ٠

* عــرفوا فــي الــبداية نظام الدورة الواحدة حيث كانوا يزرعون الأرض سنة ويريحونها سنة أخرى لاستمرار خصوبة الأرض وعدم هلاك

= - R. Dussaud – les Religions des Hittites .... Op . cit – pp 157 ets .
- B. Hrozny – sur un eachet " Hittite " Hieroglyphique de Ras – shamra Melanges syriens offeris – 1939 – pp . 58 – 61.

التربة ، ولم يمض إلا وقت قصير حتى طبقوا نظام زراعة دورة في كل ثلاث سنوات فزرعوا الحبوب في السنة الأولى والخضراوات في السنة الثانية ثم تركوا الأرض دون زراعة في السنة الثالثة لكي يريحوا تربتها ويجددوا خصوبتها ٠

* حصدوا سنابل الحبوب التي تم نضجها بواسطة مناجل صنعوها في البداية من الخشب أو من قرن الوعل بعد أن يثبتوا في حدها القاطع شطفات من حجر الظران ، ثم صنعوها بعد ذلك من النحاس أو البرونز بعد سن حدها الداخلي ٠

* كل جماعة حيثية بعد أن احترف أفرادها الزراعة والرعي أصبحت تمثل قرية صغيرة ، وهذه القرية كان يوجد بها جرن مسطح - والجرن كان عبارة عن مساحة واسعة من الأرض مغطاة بالطين الجاف ومحاطة بسور منخفض من الحجر ، وكان هذا الجرن يستخدم في غرضين : **أولهما** في وقت الحصاد ، أما **ثانيهما** كمكان مناسب لاجتماعات أهل القرية ٠

* أفراد كل جماعة حيثيه كانوا يفصلون الحبوب عن سنابلها أما بالدق أو بدوس الحيوانات عليها ، وكانوا يغربلونها بعمليات القذف في الهواء في أحد الأيام التي يشتد فيها الرياح ، فيتطاير التبن في الهواء ويسقط الحب عند قدمي من يغربله لثقل وزنه ٠

* اســتطاعوا أن ينتفعوا بكل شيء من المحصول فاستخدموا التبن فــي الوقود ، والقش في تغطية سقوف المنازل أو كعلف للحيوانات ، أما الحــبوب المستخلصـــة فكانوا يخزنونها في حفرات يحفرونها في أراضي طيــنية صلبة أو يضعونها في إهراء مصنوعة من الطين على هيئة خلية النحل وغطوا سقوفها بالقش ٠

* تمكــنوا بمهـــارة فائقة أن يسحقوا بدقة الحبوب بعد جفافها فوق حجر مستو ذي سطح خشن ، ثم يطحنون الحبوب فوقه بواسطة حجر آخر يحركونه إلى الإمام ثم إلى الخلف ليحصلوا على الدقيق الناعم، واستطاعوا على أثر ذلك أن يصنعوا أرغفة من الخبز من خلال خلط الدقيق المطحون جيدا بالماء ثم وضع العجين على لوح من الحجر الساخن ، أو فوق سطح إناء مملوء بالفحم الساخن ، ولم يعرفوا تخمير الخبز إلا بعد ذلك في عهود عصورهم القديمة ، أما تخمير الشعير وعمل الجعة قد عرفوه واستخدموه في نهاية عصرهم الحجري الحديث ٠

* كانوا يضعون المواشي والحيوانات المستأنسة في ساحة صغيرة مــلحقة بمـــنازلهم – وأهم هذه المواشي كانت الأغنام والماعز وفي بعض الأحيـــان كانت الخنازير من ضمن ثروتهم الحيوانية – واستخدموا الحمير فـــي عمـــليات الـــنقل وعلى الأخص نقل المحاصيل – أما الجياد فلم تكن متوفرة لديهم ولم يستخدموها إلا في عصورهم القديمة من أجل الحروب أو

لغرض المباهاة أو الرفاهية [١] .

ثانيا : تعلموا بعض الصناعات والحروف اليدوية العديدة

- وعلى أثر هذا فإن أهم ملامح نشاطهم الصناعي في النصف الثاني لعصرهم الحجري الحديث يتلخص في الآتي :

* أتقنوا في البداية صنع الأواني الطينية التي كانوا يغلوا فيها الطعام حيث صنعوها باليد من حلقات الطين التي وضعوها فوق بعضها على شكل أطواق مستديرة ثم ينعمون جدرانها من الداخل والخارج بواسطة الدعك بالحصي وبعد أن يتم تجفيفها توضع على النار في الهواء الطلق فوق أكوام من التبن أو روث البهائم لكي تأخذ الصلابة - وبعد فترة قصيرة تعلموا صناعة الأواني الفخارية في أشكال متباينة كثيرة مثل الكاسات والإباريق وأواني الطهي ، وكانوا يلونونها عادة باللون الأحمر والأبيض والأسود - أما الفخار المزجزج فلم يعرفوا صناعته إلا في عصورهم القديمة .

* تمكنوا من غزل أقمشة خشنة الصنع على أنوال يدويه بسيطة وكانت خيوط هذه الأقمشة من الكتان أو الصوف الذي فتلوه بواسطة مغزل

(1) R. J. BRAID wood – the Near East and the Faundations of civilization ....: Op. cit – pp 174 ets .
- H. FRANK FORT . the Birth of civilization in the near East . op . cit pp . 153 ets.
- B. Hrozny – sur un cachet Hittite .... Op . cit ... pp 83 - 85

اليد – ولم يعرفوا صناعة الأقمشة الناعمة ولا صبغها بالألوان المختلفة إلا في عصورهم القديمة .

* تقدموا في صناعة نحت الأحجار وأهم ما عرفوه من خلال هذه الحرفة هو المثقاب الدائري الذي تم اختراعه من قبل في المجتمعات المتحضرة في منطقة جنوب غرب أسيا ، حيث استخدموه بمهارة في ثقب الأدوات الحجرية الثقيلة مثل البلطة ودبوس القتال الذي كان يضرب به رؤوس الأعداء ، كما استخدموا هذا المثقاب في عمل الأواني المصنوعة من الحجر ، على أساس أنهم بعد أن ينتهوا من عمل الشكل الخارجي للإناء ، كانوا يجوفون الجزء الداخلي منه بعمل ثقوب عديدة على مسافات متقاربة ثم يزيلوا بعد ذلك ما بين هذه الثقوب فيصبح الإناء مجوف ، ثم يحكون الجدران الداخلية بالحصى حتى تصبح ملساء ، وقد اكتشف منها أواني عديدة ومتنوعة الأشكال ضمن الآثار التي عثر عليها في منطقة شمال سوريا وتعود إلى الجماعات الحيثية في النصف الثاني لعصرها الحجري الحديث .

* عرفوا عمليات صهر المعادن بالأساليب البدائية البعيدة تماما عن المنفاخ الهوائي ونظام الاتون الضخم المجوف – وذلك في آخر عهود هذا العصر – حيث كانوا يصنعون المعادن المطلوب صهرها فوق حفرة مملوءة بالفحم المقتد ثم يصبون هذا المعدن المصهور في قوالب مصنوعة من الفخار لصنع الأشكال المعدنية المطلوبة – فصنعوا أدوات بسيطة مثل

الأوانــي المــنزلية والحلي الذي كانت تتزين به النساء ، وعمليات صهر المعــادن قد اقتصرت على البرونز فقط في حين لم يتوصلوا إلى عمليات صــهر النحاس والذهب الذي كانوا يعثرون عليه محليا إلا في عصورهم القديمــة ولــذا كانوا يصنعون منه الحلي التي يتزينون بها على البارد أما بالطــرق أو بــالحك – هذا بالإضافة أنهم لم يكتشفوا الحديد ولا عمليات صــهره إلا فــي عصورهم القديمة وإن كانوا أول الشعوب التي اكتشفت واستخدمت الحديد في تاريخ البشرية كما سنرى في الفصل القادم ·

* نجحوا في صناعة بعد الأدوات والأثاثات المنزلية من الأخشاب كمــا صــنعوا سلال، وحصر لتغطية الأرضيات داخل منازلهم من القش وشــرائح الجــريد ، وعيــدان البوص الرفيعة ، بالإضافة إلى استخدامهم لجــذوع الأشــجار فــي عمل أعمده الحوائط وفي الأحمال القوية لأسقف المنازل [١] ·

ثالثا : عــلى أثر استقرار الجماعات الحيثية وشعور أفرادها بقيم متزايدة لمعنى الحياة الإنسانية بعد أن استوطنوا في شمال سوريا قد ترسخ في مفاهيمهم نظام تهذيب القوة . فطبقوا منذ بداية استقرارهم معظم صور

---

(1) O. R. GURNEY – the Hittites Harmandsworth – london – 1952 – pp 47 ets .
- J. H. BREASTED – Ancient times – A History of the Early world – Boston – 1916 – pp 214 – 217 .

التصـــالح والـــتحكيم فـــي حل المنازعات التي كانت تنشب بينهم ، ونبذوا بالـــتالي فكـــرة اللجوء إلى القوة التي عانوا من آثارها السيئة فترة طويلة خـــلال مرحلة عدم استقرارهم وتنقلهم المستمر من مكان لمكان آخر بحثا عن الرزق قبل نزوحهم في الغارة الكبرى لشمال سوريا ٠

وبعـــد فـــترة قصيرة اكتسبوا من خلال الحياة المشتركة مع سكان البلاد والروابط الاجتماعية التي تمت بينهم عقائد دينية عديدة ، لأن سكان هـــذه المنطقة كانوا [كما سبق أن أشرنا] ينتمون لأجناس مختلفة ، وكل جنس من هؤلاء السكان مثل الاموريين والكنعانيين والفينيقيين والحوريين والكاشيين كانت لديهم عقائد دينية أو إلهة معينة يعبدونها - وعلى أثر هذا أصـــبح لـــدى الحيـــثيين إلهة كثيرة العدد ، كما تطوروا في نظم عبادتهم وأصـــبحت قائمـــة على الورع والتقوى بدلا ما كانت قائمة من قبل على الخوف والرهبة - ونتيجة ترسيخ هذه العقائد في نفوسهم إلى جانب تعلمهم قيم ومبادئ دينية وأخلاقية جديدة في المعابد المستديمة التي أقاموها في كل قـــرية وأعطـــوا لكهنـــتها مكانة عليا مقدسة بعد أن اعتبروهم حلقة وصل مـــبجله بيـــنهم وبين الآلهة أو بأنه ممثلين للآلهة لكي ينقلوا إليهم تعاليمها وأوامـــرها ونواهيهـــا التي تصلح أحوالهم وتجلب لهم الخير والبركة في حيـــاتهم - ظهـــرت القواعد الدينية التي تمثل **المرحلة الثالثة** من مراحل ظهور القانون ، وأخذت تحل تدريجيا محل بعض صور التصالح والتحكيم في نظام تهذيب القوة في حل المنازعات والمشاكل التي كانت تحدث بينهم وذلك نتيجة ادعاء الكهنة بأنهم متصلين بالآلهة وملمين بكل أمور العلـــم

والمعـــرفة ، ولديهـــم قدرة خارقة في الوصول إلى الحقيقة وكشف ما في باطن الأمور وإظهار كل خفايا الأفعال والنوايا - الأمر الذي جعل الأفراد يفضلون اللجوء إليهم لكي يفصلوا بأحكام عادلة في المنازعات التي كانت تنشـــب بيـــنهم بدلا من اللجوء إلى صور التصالح أو التحكيم أو استخدام القوة، وذلك لأن نظام العدالة الخاصة أو القضاء الخاص لم يمنع استخدامه بالكـــامل فـــي مرحلة تهذيب القوة السابقة وإنما حجم اللجوء إليه لتضييق دائـــرة الانتقام والاتجاه نحو شخصية العقوبة بعد أن تبلورت وظيفة رئيس الجماعة .

وقد اعتبر الأفراد الأحكام التي يصدرها الكهنة في حل المنازعات التي كانت تعرض عليهم بأنهم بمثابة أحكام الهبة لا يجوز مطلقا أن يعدلوا عـــنها أو يمتـــنعوا عـــن تـــنفيذها حتى لا تغضب عليهم الآلهة وتصيبهم بالمرض والخراب والدمار وتلحق بهم اللعنة حتى بعد موتهم - وعلى أثر ذلك خضعوا تماما لها ونفذوها دون أي تأويل باعتبارها تمثل العدل الإلهي رغـــم أنها في الحقيقة لا تمثل سوى آراء شخصية أو اجتهادية من جانب هـــؤلاء الكهـــنة الذين ادعوا اتصالهم بالآلهة ، وبأن الآلهة هي التي أملت عليهم هذه الأحكام بعد أن أبلغوها بالمنازعات التي عرضت عليهم .

وبذلـــك فإنـــه بصـــدور هذه الأحكام إلى جانب التعاليم والأوامر والـــنواهي التي أعلنها الكهنة وادعوا أيضا بأن الآلهة هي التي أبلغتهم بها لتنظيم علاقات الأفراد وضبـــط سلوكهم داخل الجماعة ظهـــرت **القواعد**

الديـــنية ، وظــلت ســارية حتى خرجت الجماعات الحيثية من عصرها الحجري الحديث الذي لم يستمر نصفه الثاني فترة طويلة للأسباب السابق **عرضها ودخلت في العهود الأولى لعصورها القديمة** (١) .

رابعا : وعلى أثر ما حققه أفراد الجماعات الحيثية من تطور في النشــاط الــزراعي والصناعي وفي تنظيم العلاقات بينهم على أسس تتجه نحو التسامح والود والترابط بعد أن ترسخ في مفاهيمهم **نظام تهذيب القوة** ثــم **نظــام القواعد الدينية** إلى جانب تأثرهم بنظم وعادات وتقاليد سكان الــبلاد، تطورت حياتهم الاجتماعية بعد أن ذاقوا من أثر هذه العوامل طعم الاستقرار والأمان كأول مرة في تاريخهم ، وتولد في نفوسهم مفاهيم جديدة لمعــنى الحيــاة الإنســانية بعــد أن ازداد عددهم وشعروا بأهمية التوطن والابــتعاد عــن حياة الترحل التي عانوا من آثارها السيئة خلال معيشتهم السابقة قبل نزوحهم إلى شمال سوريا ومن أهم ملامح هذا التطور يتلخص في الآتي :

١- تمكن أفراد كل جماعة حيثية أن يكونوا قرية بعد أن استطاعوا زراعــة أراضــيها بالمحاصيل المختلفة ، ومارسوا فيها بعض الصناعات

---

(1) G. Contenau – la civilisation des Hittites ….. op . cit – pp 62 – 64 .
- B. Hrozny – sur un eachet " Hittite "…. Op . cit – pp 73 . 75 .
- H. FRANk FORT – the Birth of civilization in the Near east – op . cit – pp 187 – 189 .

والحـــرف اليدوية البسيطة ، كما أقاموا بها مساكن ليعيشوا بداخلها ، كانت فـــي الـــبداية عـــبارة عن أكواخ من البوص وخشب الأشجار والجريد ثم تحولت بعد ذلك مع قرب نهاية هذا العصر إلى مباني من الحجارة والطين والحصى المدكوك وكانت مستطيلة الشكل ، وكل مسكن كان يتم بناءه فوق مصطبة من الحجارة مرتفعة عن الأرض حوالي متر ونصف وكان مقسم مـــن الداخـــل إلى حجـــرة أو حجرتين للنوم وقاعة للطعام وقاعة أخرى لاســـتقبال الضـــيوف إلى جـــانب مخزن صغير لتشوين الآلات والمعدات الخاصة للوازم المعيشة – وأقيم في كل قرية معبد للآلهة إلى جانب جرن كـــبير لاســـتخدامه في الحصاد وفي الاجتماعات الخاصة بأهل القرية كما سبق أن أشرنا من قبل ٠

٢- أخذ نظام الزواج طابع ديني إلى جانب طابعة المدني وذلك بعد ظهـــور القواعد الدينية وأصبح للكهنة مكانه مقدسة عليا داخل كل قرية ، واسند إليهم إبرام معظم حالات الزواج ، وعلى ذلك تحول عقد الزواج إلى عقد مدني مقدس بعد أن ما كان من قبل عقد مدني فقط وأن ظلت أوضاع الـــزواج كمـــا هـــي ولم تتغير وهي تحريم الزواج فقط بين أفراد الأسرة الواحـــدة وليـــس بيـــن كل أفراد الجماعة أو القرية كما هو كان متتبع مع الجماعات الإنسانية التي كانت موجودة في جنوب شرق آسيا ٠

٣- ظهور بوادر **النظام الطبقي** في العهد الأخير لهذا العصر نتيجة المكانة المبجلة التي أخذها الكهنة داخل كل قرية إلى جانب ظهـــور بعض

الأغنياء الذين استطاعوا استصلاح مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية وامتلاكها ، **وبعض آخر** من أفراد تملكوا مساحات أقل وكانت حالتهم متوسطة وبعض ثالث من الفقراء الذي لم ينجحوا في امتلاك أي مساحة من الأراضي الزراعية داخل كل قرية، وفي نهاية هذا العصر أصبحوا عبارة عن عمال بأجر عند الأغنياء • وذلك بعد ما كان جميع أفراد الجماعات الحيثيه متساويين تماما في الحقوق والواجبات خلال العهود التي عاشوا فيها حياة الترحل وذلك كما سبق أن وضحنا •

٤- ظهر بين أفراد كل جماعة حيثيه في نهاية هذا العصر نظام تبادل الهدايا في المناسبات الدينية وفي بعض حالات الزواج والأعياد بهدف تعميق الروابط الاجتماعية بينهم إلى جانب إظهار الثراء بين بعض أفراد هذه الجماعة داخل القرية - ونظام تبادل الهدايا قد أصبح بعد ذلك من أهم الأسباب التي ساعدت على توفير دعائم قوية للشعور بالألفة والود والتعاون الوثيق والتآخي بين معظم أفراد الشعب الحيثي في العصور القديمة [١] •

---

(1) R. Dussaud – les Religions des Hittites ..... op . cit – pp 181 – 182 .
- H. R. Hall – the Ancient History of the Near East .... Op . cit – pp 216 ets .
- Ralph linton – TREE of culture .... Op . cit – pp 101 ets .

خامسا : حدث تطور ملحوظ في تنظيم هيكل كل جماعة حيثيه كونت قريبة مستقلة ، بعد أن استقر أفرادها داخل حدود أراضيها وازداد عددهـم خـلال عهود النصف الثاني لعصرهم الحجري الحديث – ومن أهم ملامح هذا التطور ما يلي :

١- رئيـس كل جماعة قد أصبح رئيس القرية – وهذا الرئيس قد منح بعض السلطات لتنظيم أحوال وأوضاع الجماعة وضبط سلوك أفرادها بعد ما كانت وظيفته محدودة للغاية وبدون أي سلطات فعليه داخل الجماعة في النصف الأول لعصرها الحجري الحديث ٠

٢- ظهـر جهاز بدائي معاون لرئيس الجماعة لمساعدته في إدارة شئون القرية في الداخل إلى جانب مساندته في وضع الخطط والإجراءات اللازمة للمحافظة على كيانها السياسي وحمايتها من أي عدوان خارجي ٠

٣- فـي آخر عهود هذا العصر كان يتم في الغالب اختيار رئيس الجماعة أو رئيس القرية على أساس حجم ثروته ، وما يمتلكه من مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية– وذلك بعد ما كان يتم اختياره من قبل على أساس كبر سنه وحكمته ويمنح لقب شيخ – وعلى هذا الأساس يقول معظم العلماء والمؤرخين بأن ميلاد النظام الارستقراطي داخل الشعب الحيثي قد ظهرت بوادره الأولية في العهد الأخير لعصره الحجري الحديث ٠

٤- نتيجة للسلطات التي منحت لرئيس القرية الحيثيه – فقد كان له دور كبير في ترسيخ نظام **تهذيب القوة** داخل مفاهيم أفرادها – كما كان له

نفس الدور أيضا في تطبيق نظام **القواعد الدينية** بعد أن أصبح في كل قرية معبد مستديم به كهنة أخذوا مكانه مبجلة ومقدسة وعاونوه في تدعيم سلطته الدينية بعد أن ساهموا بفاعلية في نشر القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية داخل نفوس أفراد القرية .

٥- مساحة كل قرية حيثيه كانت تتسع بين الحين والأخر نتيجة لقيام أفرادها باستصلاح المزيد من الأراضي المجاورة وضمها بعد أن تصبح خصبة في إنتاج المحاصيل الزراعية إلى حدودها - وهذا الأتساع كان يولد دائما دعائم مستجدة في بلورة الكيان السياسي المستقل للقرية وجعلها تتطور في تنظيماتها الداخلية وفي ترتيب الأوضاع الخاصة بالشئون الخارجية مع القرى الأخرى التي كانت تدخل معها في علاقات مختلفة (١) .

<u>سادسا</u> : <u>ظهور تطور ملموس في لغة التخاطب</u> بين الجماعات الحيثية - وذلك لأن الحيثيين لم تكون لهم لغة واحدة ، وإنما كانت لهم لغات عديدة وطبقا لما دلت عليه النقوش المسمارية في بلاد ما بين النهرين وما تم العثور عليه من وثائق في بوغاز كوي ، فقد كان عدد

---

(1) O. R. GURNEY – the Hittites Harmondsworth … op . cit – pp . 182 ets .
- v. G . childe – New light on the Most Ancient East – landon – 1952 – p 96 .
- G. contenau . la civilisation des Hittites …. Op . cit – pp 124 – 126 .

لغـــات الشـــعب الحيثي تزيد عن **سبعة عشر لغة** – ولذا كانت الجماعات الحيثية مختلفة في اللغة ، وهذا الاختلاف كان ظاهر جدا عقب نزحها في الغـــارة الكـــبرى إلى شمال سوريا – إلا أنها بعد أن ذاقت لأول مرة طعم الاســـتقرار وكونـــت كل جماعة منها قرية ،حدث تقارب بين هذه اللغات المختلفة وإن كان محدود في البداية خلال النصف الثاني للعصر الحجري الحديـــث – وهذا التقارب قد ساعد على وضع الأطر الأولية لتوحيد النظم الثقافية بين هذه الجماعات كما ساهم بعد ذلك وبقدر كبير على توحيد كيان الشعب الحيثي في العصور القديمة [١] .

* هـــذه هـــي أهم الملامح الحضارية التي أمكن الوصول إليها من خـــلال الكشوف الأثرية للجماعات الحيثية خلال عهود عصرها الحجري الحديـــث . وهي أن كانت محدودة على أساس أن الجماعات الحيثية كانت في النصف الأول لهذا العصر مجهولة الموطن المحدد وتعيش حياة الترحل وعدم الاستقرار ... إلا أن هذه الملامح قد أمكن تميزها بشكل واضح في العصـــور القديمـــة الـــتي كون فيها الشعب الحيثي إمبراطورية كبرى في الشرق الأدنى وذلك كما سنرى في الفصل القادم .

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit pp 244 – 245
- A. T. olmstead . History of Assyria – New york 1926 – pp 132 ets .

الفصـــل الثالـث

******

أهـم نظـم الحضـارة الحيثيــة
في
العصــور القديمـــة

دخـلت الجماعـات الحيثية أعتاب هذه العصور بعد أن ازداد عدد أفـرادها وأصـبحت كـل جماعة منها تمثل قبيلة في القرية التي كونتها وضـمت إلى حدودهـا أراضـي جديـدة أدت إلى أتساع مساحتها ، وقد اسـتطاعت هـذه القبائل أن تتحد في كيان سياسي واحد بعد أن فشلت في المـرة الأولى [كما سبق أن وضحنا في الباب الأول] - وتكون دولة في أعـلى شمال سوريا في عام ١٨٠٠ ق٠م - وهذه الدولة أخذت تمتد في مـنطقة أسيا الصغرى نتيجة احتلالها لأراضي شاسعة كانت غير مملوكة ولا خاضـعة لسـيطرة أي قوى سياسية في الشرق الأدنى ، ومع مرور الـزمن تطـور الكيان السياسي لهذه الدولة ، وأصبحت بعد أن انضم إلى شبعها أجناس أخرى عديدة تمثل هيكل إمبراطورية كبرى في منطقة أسيا الصغرى خلال الفترة من ١٧٥٠ - ١٧٠٠ ق٠ م [١] .

وهـذه الإمـبراطورية [كما سبق أن أشرنا] قد امتد تاريخها إلى فترتين زمينتين - الفترة الأولى تشمل الإمبراطورية القديمة التي سيطرت فقط على مساحات شاسعة في أسيا الصغرى وامتد عمرها كقوى كبرى في الشـرق الأدنى من عام ١٧٠٠ - ١٥٥٠ ق ٠ م تقريبا - والفترة الثانية التي تشمل الإمبراطورية الحديثة التي سيطرت على أراضي ومدن عديدة في سوريا وفلسطين وفي الأقاليم المجاورة لبلاد ما بين النهرين إلى جانب المســاحات الشاسعة التي احتلتها في أسيا الصغرى ، وأصبحت على أثر

---

(1) H. G. wells – A short History of the world - op . cit – pp 66 – 68 .

ذلـــك تمثل قوى عظمى في منطقة جنوب غرب آسيا ، تفوقت على دولتي البابـــليين والاشوريين ، وأقامت توازنا للقوى مع الإمبراطورية المصرية خـــلال الفـــترة مـــن ١٤٥٠ – ١٢٠٠ ق ٠ م تقريـــبا – وفي عهد هذه الإمـــبراطورية الحديثة بلغت الحضارة الحيثية أوج مجدها وقمة تألقها في العـــالم القديـــم – إلى أن أصـــيبت بـــالانحلال والتضعضع والانهيار ثم الانقـــراض الســـريع حتى اختفت تماما من على مسرح التاريخ في حلول أعوام الألف الأخيرة قبل الميلاد – الأمر الذي جعل الشعب الحيثي يأخـــذ عـــلى مر تاريخه صفة الشعب المجهول الموطن في ميلاده ، والمفقود في مكـــان بقاءه وصاحب حضارة عظمى قصيرة الأجل في تاريخ حضارات العالم القديـــم [١] .

وقـــد أثبتت الكشوف الأثرية التي تم العثور عليها في بوغار كوي وفـــي المناطق السابق الإشارة إليها مثل رأس شميرا ، إلى جانب الوثائق المســـمارية الـــتي تـــم اكتشـــافها في تل العمارنة عاصمة الإمبراطورية المصرية القديمة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد والتي تتضمن رسائل دبلوماســـية تتعلق بتاريخ الشرق في القرنين الخامس عشر والرابع عشر – بأن الشعب الحيثي قد تطور خلال عصوره القديمة في كافة النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية – وحقق من خلال هذا التطور عناصر

---

(١) د ٠ محمـــود عز العرب السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق ص ٣٤٢ ٠

وسمات حضارية عديدة ومتميزة وإن كانت أساسيات معظم هذه العناصر والسمات قد تم اقتباسها من المجتمعات الحضارية التي كانت متألقة في منطقة الشرق الأوسط وعلى الأخص حضارة بلاد ما بين النهرين والحضارة الفينيقية وحضارة مصر الفرعونية • وقد ساعد على تطور الشعب الحيثي في هذه العصور عوامل عديدة أهمها يتلخص في الآتي :

١- قرب المنطقة التي استوطنت فيها القبائل الحيثية من المجتمعات الإنسانية التي كانت متألقة حضاريا في منطقة الشرق الأدنى مما جعلها تقتبس منها العديد من النظم والعادات والتقاليد - التي ساعدتها بقدر كبير جدا على بلورة ركائز كيانها على أسس ذات أصول حضارية متطورة •

٢- قيام الشعب الحيثي في بداية عصوره القديمة بتوسيع دائرة علاقاته مع الأجناس الأخرى التي كانت مستقرة في سوريا وفلسطين وفي بعض الأقاليم التي كانت تجاور حدود بلاد ما بين النهرين ومتأثرة تمام بنظم حضارتها وهذا التوسع قد جعل الشعب الحيثي يندمج مع هذه الأجناس في روابط اجتماعية عديدة ويتعلم منها أمور كثيرة في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة ، وهذه الأمور قد دفعته بدون عناء كبير على أن يسلك طريق التطور ويبني بسرعة الأسس التي ارتكز عليها في بناء حضارته •

٣- الأراضي التي استصلحها الشعب الحيثي في أسيا الصغرى وضمها إلى حدود القرى التي استوطن فيها • أنتجت محاصيل زراعية

وفيـرة جـدا في بداية عصوره القديمة - وهذه المحاصيل قد حققت ثروة هائـلة لـبعض أفراد هذا الشعب وولدت من بينه طبقة من الأغنياء الذين تحولوا بعد ذلك إلى اقطاعين ثم أرستقراطيين - ومعظم أفراد هذه الطبقة كـانوا يمثـلون زعماء القبائل الحيثية ، واستطاعوا خلال فترة قصيرة أن يشـتركوا جميعا في توطيد الروابط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين كـل أفراد الشعب الحيثي ، وتوحيده في كيان سياسي واحد في هيكل دولة متحدة قائمة على النظام الأرستقراطي واتخذت من مدينة خطوش (بوغار - كوي) عاصمة لها في عام ١٨٠٠ ق ٠ م تقريبا ٠

٤- المواقـع الجبـلية والهضاب العديدة التي كانت تقع في منطقة الأناضـول وحول جبال طوروس والتي استولت عليها الدولة الحيثية في بداية عهودها الأول ، كانت غنية بالثروة المعدنية واكتشف فيها خام الحديد الـذي حقـق طفرة صناعية هائلة للشعب الحيثي في عصوره القديمة من خـلال الآلات والمعـدات والأسلحة التي تمكن من صنعها كأول مرة في التاريخ من الحديد ٠

٥- القـبائل الأريه التي هبطت من شمال ووسط أوروبا إلى أسيا الصـغرى لسلب ونهب خيرات المجتمعات الحضارية التي كانت موجودة فيهـا واستطاعت الدولة الحيثية أن تستوعبهم وتستقطبهم داخلها وجعلتهم يعدلوا عن السلب والنهب ويذقوا طعم الاستقرار لأول مرة في حياتهم بين شعبها [كما سبق أن وضحنا في الباب الأول] - لكي تستغل بمهارة قـوة

أفرادها في الحروب التوسعية في بعض الأعمال الشاقة ، فضمت بعضهم كمقاتلين في صفوف جيوشها ، والبعض الآخر استخدمته كعمال في استصلاح الأراضي وشق الترع والقنوات وفي صهر المعادن وفي الصناعات الحديدية – فأن أفراد هذه القبائل بعد أن اندمجوا مع الشعب الحيثي وحققوا نتائج طيبة من المهام التي أسندت إليهم قد ساهموا بمجهودهم هذا في تدعيم القوة العسكرية للدولة الحيثية ، كما ساعدوها على تحقيق تفورها الحضاري [١] .

وعلى أساس ذلك تمكن الشعب الحيثي من تشييد حضارة معظم عناصرها التي تألق بها في عصوره القديمة كان مستمد من جهود غيره من شعوب الأجناس الأخرى – ولذا كانت حضارة قصيرة العمر لأن أغلب جذورها قد غرس بسواعد غير حيثية وفي مواطن حضارية أخرى سبقت ظهور الشعب الحيثي على مسرح التاريخ منذ آلاف السنين [٢] – وهذا سوف يظهر بوضوح في عرض أهم الملامح الحضارية التي ظهرت في الدولة الحيثية خلال فترة وجودها في العصور القديمة والتي تتلخص في الآتي :

أولا : في النواحي السياسية :

بعد أن اتفق رؤساء القبائل الحيثية على الاتحاد في كيان سياسي

(1) O. R . GURNEY – the Hittites Harmandsworth – op . cit – pp 147 – 151 .
(2) D. Kahn – scietistist of cod ..... op. cit – pp . 145 – 147 .

واحد وتكوين دولة متحدة بمنطقة الأناضول في أعلى شمال سوريا فإن هذا الاتفاق قد تم على أساس اشتراكهم جميعا في نظام إدارة شئون هذه الدولة وأن يكــون من ضمن وظائفهم اختيار الملك الأكبر الذي يتولى الحكم أي اشــترطوا فــي اتفاقهم أن يكون نظام الحكم بالاختيار ، وأن هذا الاختيار يكــون مــن خلالهــم فقط ، وليس بنظام الإرث كما كان متبع في معظم المجــتمعات الحضارية التي ظهرت وكونت دول أو إمبراطوريات كبرى في شرق وغرب العالم القديم (١) .

وحيــث أن رؤســاء هــذه القــبائل كــانوا من أكبر الإقطاعيين الأرســتقراطيين فقــد كونــوا مجلس أطلق عليه مجلس النبلاء [البانكو] Pankus وعــلى أســاس ذلــك اعتبر هذا المجلس يضم أكبر رجال الدولة ويمــثل أعلى سلطة بعد الملك الأكبر في إدارة شئون البلاد ، لأنه اختص باختيار الملك ، وبإبداء الرأي في حالة الحرب ، وفي مناقشة قوانين الدولة وفــي تنظيم أعمال القضاء ، وفي الإشراف على بعض الأجزاء الشاسعة التي كانت تخضع لسيادة الدولة الحيثية أو الإمبراطورية الحيثية بعــــد أن امــتد نفوذها على معظم أراضي سوريا وفلسطين وعلى بعض الأقاليم حــتى حــدود بــلاد ما بين النهرين إلى جانب المناطق الأخرى في أسيا الصغرى (٢) .

---

(1) R. Dussaud – les religions des hittites ….op . cit – pp 121 – 123 .

(2) L. Delaporrte – les Hittite – paris – 1936 pp 170 ets .

وإذا كـــانت الدولـــة الحيثية قد انفردت بعد تأسيسها وإظهار قوتها الحربية بنظام مختلف تماما [وأن كان أكثر رقيا] في كيفية تولي الحكم أو فـــي طريقة جلوس الملك على العرش ، عما كان متبع في كل من مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين ، لأن نظام الحكم الحيثي لم يكن قائما على الوراثـــة أو حـــق الولادة كما هو كان سائدا فيهما ، وإنما كان بالاختيار ، والحالـــة الوحيـــدة الـــتي كان من الممكن أن يتولى ابن الملك الحكم بعد وفاتـــــه هو ان يقدمه أثناء حياته للمجلس ويطلب من أعضاءه أن يعطوه وعـــدا صـــادقا في أن يختاروا هذا الابن ملكا أكبر للدولة ليحل محله بعد وفاته [١] .

إلا أنه بعد دراسة أنظمة الحكم في كل المجتمعات الحضارية التي ظهـــرت قبل المجتمع الحيثي في منطقة الشرق الأدنى أو في جنوب غرب أســـيا عموما – قد اتضح أن الدولة الحيثية لم تكن هي أول من طبقت هذا الـــنظام في العالم القديم – وإنما كان مطبق من قبل في المدن الفينيقية مثل صـــيدا وصـــور وجبيل ٠٠٠ قبل ظهور الحيثيين على مسرح التاريخ بما يـــزيد عن خمسمائة سنة ، وذلك لأن النظام السياسي في كل مدينة فينيقية مســـتقلة كان فيه سلطان الملك محدود بمجلس يسمى مجلس الشيوخ مؤلف مـــن أغنى تجار المدينة على أساس أن حضارة المدن الفينيقية كانت قائمة

---

(١) د ٠ نـــور الديـــن حاطوم ، د ٠ نبيه عاقل ، د ٠ أحمد طربين ، د ٠ صلاح مدني ، [أعضاء قسم التاريخ ٠ بكلية آداب جامعة دمشق بسوريا] – موجز تاريخ الحضارة – طبعة ١٩٦٤ م – دمشق سوريا – ص ٢٦٢ ٠

علـى الـتجارة البحرية ، وهذا المجلس قد اكتسب سلطة في آخر العصر الفيـنيقي تكـاد تساوي سلطة الملك ، وكان في مقدور أعضاءه في مدينة صور أن يتخذوا قرارا في غيبة الملك ، كما كان عدد أعضاء هذا المجلس فـي مديـنة صـيدا مائة عضو ، وكان في مقدورهم أيضا أن يتخذوا ما يشاءون ضد إرادة الملك وليس في غيبته فقط [١] .

وعلى هذا الأساس نرى أن أساسيات هذا النظام وأسلوب تطبيقه لم يكـن وليد فكر أحد الزعماء السياسيين في المجتمع الحيثي أو أنه كان من ابتكار كبار الإقطاعيين الأرستقراطيين في القبائل الحيثية عند اتفاقهم على تأسيس دولة متحدة كما يقول بعض العلماء والمؤرخين [٢] – وإنما هو في الحقيقـة نظـام اقتبسـه الحيثيين من المدن الفينيقية التي اختلطوا بسكانها وتعلموا منهم ومن نظامهم السياسي الكثير بعد أن نزحوا في الغارة الكبرى إلى شمال سوريا واستقروا في بقاعها التي انتشروا فيها .

وحيـث كـان لمجلس [البانكو] دور كبير في نظام الدولة الحيثية فإنـنا سـوف نتعرض لوظائفه تفصليا مع سلطان الملك في الباب الثالث القادم الخاص بأهم أحكام قوانين الدولة الحيثية في عصورها القديمة .

---

(1) G. Contenau – la civilisation phenicienne – op . cit pp 100 – 101 .

(2) A. AYMARD et j. AUBOYER – Histoire generale des civilisations – op . cit – p . 204 .

ثانيا : في النظم الاقتصادية :

تطـورت الحياة الاقتصادية للحيثيين وبشكل هائل خلال عصورهم القديمـة حيث أتقنوا النشاط الزراعي والصناعي واحترف بعضهم التجارة الداخـلية والخارجيـة مع المجتمعات الحضارية المجاورة لهم وذلك على النحو التالي :

١ - **في مجال الزراعة** : اسـتطاعت القبائل الحيثية في بداية عصـورها القديمـة أن تستصلح مساحات شاسعة من الأراضي في أسيا الصـغرى وقـامت بزراعـتها بمحاصيل عديدة حققت لها وفرة هائلة في الإنـتاج الزراعي ، حتى أصبحت من خلال ذلك عبارة عن قبائل محترفة للنشاط الزراعي كما اتسعت مساحات قراها وأصبحت عبارة عن مقاطعات زراعيـة تشتهر بإنتاج محاصيل مميزة ، وبعد أن اتحدت هذه القبائل في كيـان سياسي واحد وانضمت بالتالي المقاطعات التي كانت تقيم فيها إلى بعضها ، وأصبحت تمثل إقليم دولة واحدة قد ارتفعت أيضا معدلات النشاط الزراعي نتيجة لارتفاع خصوبة الأرض وازدياد حجم المحاصيل الزراعية المنتجة ، وخاصة بعد أن تمكن الحيثيون من معرفة فنون عديدة في المجال الـزراعة وتعـلموا مـن سكان البلاد التي كانت تجاور حدودهم زراعة محاصيل أخرى عديدة كانوا يجهلوا زراعتها من قبل - كما استطاعوا أن يستغلوا بشكل متسع الهضاب المنكسرة التي تتخللها بعض السلاسل الجبلية الصـغيرة فـي الزراعة وأعمال الرعي بكفاءة تامة مثل ما كان متبّع في معظم المدن الفينيقية التي كان يكثر فيها السلاسل الجبلية الممتـدة على

طول الشواطئ السورية ، واستخدموا الآلات الزراعية المتطورة ، وطبقوا بدقـــة نظـــام الدورات الزراعية لتريح الأرض وتجديد خصوبتها ، وبنوا مخـــازن وصوامع عديدة لحفظ الغلال من الرطوبة ومن فقد كميات كبيرة مـــنها مـــن خلال الطيور والفئران والحشرات المختلفة [١] – ولذلك أطلق معظم العلماء والمؤرخين على الدولة الحيثية بعد أن تكونت وأخذت تخطوا بســـرعة هائـــلة فـــي طريق التطور الحضاري بأنها كانت دولة زراعية إقطاعية في أساسها ومظهرها [٢] .

ومـــن أهـــم ملامـــح تطـــور الحيثيين في النشاط الزراعي خلال عصورهم القديمة – يتلخص في الآتي :

أ – اســـتخدامهم لآلات زراعيـــة مصنوعة من خام الحديد بعد أن اكتشـــفوه ضمن المعادن الأخرى في الجبال والهضاب التي كانت منتشرة فـــي مـــنطقة الأناضـــول . واعتبروا من خلال ذلك أول شعب في تاريخ الإنســـانية يستخدم هذه الآلات المتطورة في أعمال الزراعة مثل المحراث والفـــأس والمـــنجل وآلـــة الدرس الثقلية – وكان من أثر قوة هذه الآلات الحديديـــة قيـــام الحيـــثيين ومن انضم إليهم من الأجناس الأخرى بإصلاح مســـاحات كـــبيرة مـــن الأراضي بأساليب سهلة وجعلها قابلة للزراعة ،

(1) R. Dussaud – les Religions des Hittites .... Op . cit pp 129 ets .

(٢) د . محمود عزب العرب السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٣٤٢ .

وحرث الأراضي الزراعية وتقليب تربتها للتهوية وتجديد الخصوبة بشكل جيد لكي تنتج زراعات وفيرة ، وحصد المحاصيل الزراعية المتنوعة بجهد متقن وغير شاق ٠٠٠ وبالتالي كانت هذه الآلات الزراعية التي صنعت من الحديد من أهم أسباب تطور الحيثيين في النشاط الزراعي خلال عصورهم القديمة [١] .

ب - تمكنهم من معرفة بعض الأساليب المتطورة في شق الترع والقنوات لتوصيل المياه إلى الأراضي البعيدة عن مجرى الأنهار وفروعها والتي كانت تحرم أيضا لفترات طويلة من مياه الأمطار واستطاعوا من خلال ذلك أن يزيدوا من مساحات الأراضي الخصبة وجعلها تنتج محاصيل زراعية عديدة حققت خير وفير ، وضخمت بشكل هائل ثروات طبقة الإقطاعيين الأرستقراطيين وعلى الأخص في عهد الإمبراطورية الحيثية الحديثة خلال الفترة من عام ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق ٠ م ٠

جـ - نجاحهم في معرفة نظم إقامة السدود في بعض المناطق التي كانت تكثر فيها السيول والفيضانات ، لحماية الوديان الخصبة من الغرق ومن تعطين تربتها - قد أدى إلى جعل جميع الأراضي الخصبة صالحه لإنتاج المحاصيل المختلفة طوال المواسم الزراعية - كما ساعد على استخدام المياه المخزونة في هذه السدود في الري المنظم للأراضي

---

(1) Ralph linton – TREE of culture … op . cit – p 243 .

الزراعية المجاورة لها إلى جانب استخدام هذه المياه في استصلاح المزيد من الأراضي الزراعية (١) .

د - استغلالهم لأحوال الطقس والظروف الجوية الموسمية في إنتاج محاصيل زراعية مميزة ومرتفعة الجودة • استطاعوا من خلال تصديرها أو من عمليات تبادلها بمحاصيل أخرى مع المجتمعات الحضارية التي كانت تجاور حدودهم مثل بلاد ما بين النهرين والمدن الفينيقية أن يكتسبوا خبرات أخرى عديدة في أساليب فن أعمال الزراعة وفي مجال استصلاح الأراضي الصحراوية - الأمر الذي كان يساعد دائما على استمرار تطورهم في النشاط الزراعي خلال فترة وجود دولتهم أو كيانهم السياسي المتحد في العصور القديمة (٢) .

٢ - **في مجال الصناعة** : تطور الحيثيون في بعض الصناعات والحرف اليدوية العديدة ، تطور هائل خلال فترة عصورهم القديمة ، وذلك نتيجة اكتسابهم خبرات متميزة في فن تصنيع بعض الأشياء من شعوب المجتمعات الحضارية التي كانت تجاور حدودهم وأقاموا علاقات عديدة ومتنوعة معها ، إلى جانب انضمام بعض الأجناس الأخرى في المعيشة المشتركة معهم ، وكان لديهم خبرات وقدرات متميزة في عمليات

(1) B. Hrozny – sur un cachet Hittite .... Op . cit pp 192 ets .
(2) E. Cavaignac – Ras shamra et l'empire Hittite – op . cit p 144 .

التصنيع التي تحتاج إلى جهد شاق ، وذلك مثل القبائل الآرية التي نزحت من شمال ووسط أوربا [كما سبق أن وضحنا من قبل] - - هذا بالإضافة إلى اغتناء المناطق التي سيطر عليها الحيثيين في الأناضول بكميات كبيرة جـدا مـن خامـات المعادن التي هيأت للصناع الحيثيين الفرصة للتجربة وتحسـين صناعاتهم المختلفة للأدوات والآلات المعدنية العديدة ، وبالتالي تطـورت الصناعات التي أنتجتها الحيثيون وأصبحت تضاهي إلى حد ما صـناعات المجـتمعات الحضـارية المجاورة وعلى الأخص بلاد ما بين الـنهرين وسوريا وفلسطين [١] - ومن أهم ملامح هذا التطور الذي ساعد الحضـارة الحيـثية عـلى التألق في فترة وجودها في العصور القديمة - يتلخص في الآتي :

أ - أتقـن الحيـثيون صناعة الأواني الفخارية المتعددة الأشكال - وكانوا يقومون بأساليب فنية بزخرفتها بألوان كثيرة زاهية ورائعة الجمال- وقد وصل هذا الفخار في عهد الإمبراطورية الحديثة إلى درجة عالية جدا من الرقي والإتقان حتى أصبح أفخم من أي فخار صنع في سوريا والمدن الفيـنيقية ، كمـا تفوق على كل أنواع الفخار الذي صنع في بلاد ما بين الـنهرين طوال العصريين السومري والأكدي - ونتيجة لذلك قام الحيثيون بتصـدير بعض الأواني الفخارية التي صنعوها إلى معظم المدن والأقاليم التي كانت منتشرة في منطقة جنوب غرب أسيا بعد أن اشتهرت منتجاتهم الفخارية بالرقة والمتانة وجمال الشكل والإتقان •

---

(1) O. R. GURNEY – the Hittites Harmandsworth op . cit . pp 191 ets .

ب- نتيجة لوفرة صوف الأغنام ، من أثر انتشار المراعي الكثيرة فـــي الأراضـــي الشاسعة التي سيطر عليها الحيثيون في أسيا الصغرى ، ونجـــاحهم ومـــن انضم إليهم من الأجناس الأخرى في غزل هذا الصوف بمهـــارة فائقة – قد تمكنوا من تصنيع منسوجات وسجاجيد صوفية رائعة الجـــودة والإتقان ، وذلك بعد أن أنتجوها على أنوال حديثة قاموا بابتكارها وكـــانت تتميز بأطوال عرضية مختلفة ويتحرك فيها مكوك بسرعة القذف بـــدلا من التدكين اليدوي الذي كان متبع في تشغيل الأنوال القديمة ٠٠٠٠ وقـــد وصلت هذه الصناعة إلى درجة عالية جدا من المتانة والدقة وجمال الذوق خلال الفترة من ١٤٠٠ – ١٢٠٠ ق ٠ م ، بعد أن عرف الحيثيون فن الصباغة وقاموا بصباغة الأقمشة والسجاجيد التي أنتجوها بألوان عديدة زاهيـــة ورائعة الجمال – وتشير الوثائق التي عثر عليها في بوغار كوي بأن التجار الحيثيون كانوا يجوبون الأقاليم التي كانت تجاور حدود بلادهم لـــبيع هـــذه الأقمشة والسجاجيد نتيجة لوجود إقبال شديد على شرائها من معظـــم ســـكان هـــذا الأقاليم وعلى الأخص في سوريا وفلسطين والمدن الفينيقية وبلاد ما بين النهرين [١] .

جـــ-تـــرتب عـــلى اكتشاف أنواع عديدة من خامات المعادن في بعـــض مناطق الأناضول إلى جانب وجود عمال مهرة في صهر وتصنيع

---

(1) V. G. CHILDE – New light on the Most Ancient EAST . Revised edition. london – 1952 – pp 138 – 140 .

المعادن ضمن الأجناس التي انضمت إلى الحيثيين واندمجوا معهم في حياة مشتركة وعلى الأخص القبائل الأرية - أن اشتهرت الدولة الحيثية بالثروة المعدنية الوفيرة ، وبالفن المتميز الدقيق في تصنيع المعادن المختلفة وعلى الأخص الآلات والمعدات والأدوات الحديدية بعد أن اكتشفت لأول مرة في تـاريخ البشرية خام الحديد ضمن خامات المعادن الأخرى وأصبحت أول دولـة في العالم القديم تقويم بتصنيعه بالصهر والطرق - وفي ذلك يقول الدكتور **رالف لنتون** أستاذ الدراسات الانثروبولوجية بجامعة ييل بنيويورك في مؤلفة شجرة الحضارة بأن [أقدم دليل على استعمال الحديد المصهور وليـس حديـد الشهب جاء إلينا من المنطقة الحيثية بين عامـي ١٨٠٠ - ١٥٠٠ ق ٠ م ٠٠٠ ففي ذلك الوقت كانت كل المدينات العظيمة ما زالت تستعمل البرونز ٠٠٠ لذلك يجب أن نعتبر الحديد اختراعا من الاختراعات الكـبرى التي توصل إليها شعب الحيثيين وهو شعب خارج عن حدود تلك المديـنات الـتي ظهـرت في شرق وغرب العالم القديم ٠٠٠٠ ويبدو أن الحيـثيين حـاولوا الاحتفاظ باحتكار هذا المعدن الجديد ، فقد أعرض ملك الحيـثيين عن اقتراح الملك المصري لتبادل الذهب مع الحديد ، واستعاض عن ذلك بأرسال هدية من خنجرين ذوي مقبضين من الذهب وسلاحين من حديـد مطـروق وليس من الصلب ، ويبدو أن واحدا منهما حفظ كتذكار عائلي ، وقد عثر عليه في مقبرة توت غنخ أمون ٠٠٠٠) [١] - وبالتالي

(1) Ralph lintion – TREE OF Culture – Op . cit – pp 243 – 244 .

اكتسبت الدولة الحيثية من خلال اكتشافها لخام الحديد وتصنيعه إلى جانب صهر وتصنيع المعادن الأخرى وهي النحاس والبرونز والذهب سمات تطورية متميزة تألقت بها حضاريا في العالم القديم ٠

٣ - **في مجال التجارة :** نتيجة احتكاك الشعب الحيثي بالمدن الفينيقية التي قامت حضارتها على التجارة البحرية ، وذلك عقب أن نزح في صورة جماعات في الغارة الكبرى لشمال سوريا - استطاع بعض أفراد هذا الشعب أن يتعلم على مر السنين فن الاشتغال بالأعمال التجارية من التجار الفينيقيين ٠ وعلى أثر ذلك ظهرت طبقة من التجار في الدولة الحيثية بعد أن تكونت وأخذت تتوسع في حدودها بالسيطرة على المساحات الشاسعة التي كانت تجاور إقليمها في أسيا الصغرى ثم في سوريا وفلسطين ، وفي بعض المناطق الأخرى حتى حدود بلاد ما بين النهرين - وهؤلاء التجار قد ظهر بينهم نظام التخصص فمنهم من اختص بتجارة الحبوب والحاصلات الزراعية ومنهم من تخصص في تجارة الآلات والمعدات والأدوات المعدنية ومنهم أيضا من تخصص في تجارة المنسوجات والسجاجيد الصوفية - وقد ترتب أيضا على اتساع النشاط التجاري انقسام التجار إلى تجار محليون اقتصرت تجارتهم على المدن والقرى الحيثية فقط ، وتجار آخرون احترفوا نظام التجارة الخارجية مع بعض المجتمعات الحضارية الأخرى في شرق وغرب العالم القديم - ويقول معظم العلماء والمؤرخين بأن التجار الحيثيين كانوا على درجة كبيرة من النشاط وكانت تجارتهم متسعة وحققوا من خلالها أرباح طائلة -

كمــا استطاعوا من خلال تبادل منتجات بلادهم مع منتجات البلاد الأخرى أن يصــقلوا الحضارة الحيثية ويضيفوا إليها بصفة مستمرة سمات تطورية جديــدة جعلــتها عــلى مــر عهــود عصورها القديمة مواكبة إلى حد ما للحضــارات الــتي ســبقتها مــنذ آلاف السنيين وعلى الأخص الحضارة الفرعونية وحضارة بلاد ما بين النهرين [١] .

ثالثا : في النظم الاجتماعية :

نتيجة للتطورات الهائلة التي حدثت في النظم السياسية وفي النشاط الاقتصــادي داخــل المجتمع الحيثي بعد أن أتحد أفراده وأصبحوا يمثلون شــعب دولة واحدة اعتبارا من عام ١٨٠٠ م – حدث تطور هائل في نظم الحيــاة الاجــتماعية عــبر عن مدى ما اكتسبه الشعب الحيثي من دعائم حضــارية مــتطورة في منطقة أسيا الصغرى [٢] – ومن أهم مظاهر هذا التطور يتلخص في الآتي :

أ – تطــورت معظــم القرى الحيثية وأصبحت بعد أن ازداد عدد أفرادها عبارة عن مدن ، وهذه المدن قد أحطيت بسور ضخم تم تشيده من الطوب اللبن مع تغطيته واجهته بظبقات قليلة من الطوب المحروق ، وكان

---

(1) A. T. olmstead – History of Assyris – op . cit – pp 142 - 144

- د . نور الدين حاطوم ، د . نبيه عاقل ، د . أحمد طربين ، د . صــلاح – [أعضــاء قســم الــتاريخ بكــلية آداب جامعة دمشق بسوريا] – موجز تاريخ الحضارة – مرجع سابق – ص ٢٦٠ .

(2) A. T. ol MSTEAD – History of Assyria – op . cit . p 127 .

سكان كل مدينة يقوون ويدعمون هذا السور من آن لآخر حتى يظل ميتنا وقويـا ولا يتأثر من الظروف البيئية مع مرور الزمن ، وقد استخدمت كل مدينة هذه الأسوار في الأمور الخاصة بالوسائل الدفاع ضد أي هجوم يقع علـيها من عدو أجنبي كما استخدمتها كجسور لحمايتها من الفيضانات – وكـان يوجد في داخل كل مدينة عدة طرق ، أحدها طريق رئيسي وكان عـريض جدا ومحاط على الجنبين بالأشجار لنشر الظل على المارة أثناء سـيرهم فيـه وقت الظهيرة ، وكان هذا الطريق يمتد من البوابة الرئيسية المثبـتة في السور إلى حرم المعبد الرئيسي الواقع في وسط المدينة – أما الطـرق الأخـرى فكانت عبارة عن شوارع ضيقة وبعضها متفرعة من الطريق الرئيسي ، وحواري أكثر ضيقا وكانت متعرجة وتم شقها ارتجالا دون اتباع تنظيم أو تخطيط خـاص ٠

وقـد شيد أفراد كل مدينة منازل جديدة فوق أنقاض المنازل القديمة الـتي بنوها في بداية حياتهم القروية ، وكانت كل أسرة عادية تملك منزلا واحـدا ، والأسر الغنية تملك منزلين أو ثلاثة على أساس أنها كانت تنتقل من منزل إلى آخر تاركه المنزل الخالي ليتجدد هواؤه ، وقد شجعهم على ذلك عادة دفن أقاربهم من الموتى تحت أرضيه المسكن [التي اقتبسوها من سـكان بـلاد ما بين النهرين وبعض المجتمعات الأخرى التي أقاموا معها علاقـات فـي منطقة جنوب غرب أسيا] – لأنه عندما كانت تبدأ رائحة الميت العفنة في الانتشار وتجعل البقاء في المنزل أمر غير مرغوب فيه ، كان الأحياء يغادرونه ويذهبون لمنزل آخر حتى يختفي منه الروائح العفنة

المنبعـــثة من الأرض – وأسقف هذه المنازل كانت تنحدر إلى داخل حتى تناســب ميـــاه الأمطـــاز إلى الحوش لكي تصرف بواسطة أنابيب راسية مدفونـــة فـــي الأرض وتنزل إلى عمق كبير – أما أثاث المنزل فقد تطور أيضـــا تطور كبيرا جدا لدرجة أنه كان مشابها لأثاثنا الحديث ، حيث كان عـــبارة عن مجموعة كبيرة من الكراسي والتربيزات والسراير • وكان كل سرير مثبت فوقه شرائط مستطيلة مصنفرة من الجلد غير المدبوغ بدلا من [المـــلة] المعدنيـــة الأمر الذي جعله مريح تماما – كما كان يوجد داخل المـــنزل دواليب في الحوائط وسجاجيد مفروشة على الأرض ومعلقة على الجدران – وعلى هذا الأساس أصبحت المدن الحيثية المسورة وما بها من شوارع وحارات ومعبد كبير ومنازل بداخلها أثاثات أنيقة ومريحة ، عبارة عن مدن حديثة ومتطورة وتشبه إلى حد كبير المدن الحضارية التي كانت مزدهرة في بلاد ما بين النهرين،ومصر الفرعونية، وسوريا،وفلسطين[١] .

ب- تطـــورت الحياة المنزلية لدى الحيثيين خلال فترة عصورهم القديمـــة وعـــلى الأخص في عهد الإمبراطورية الثانية – حيث كانت لهم أوقـــات محدده في الليل وفي منتصف النهار للراحة ، وأوقات محددة في الصباح لتناول الإفطار ، وأخرى في وقت الظهيرة لتناول الغذاء ، وميعاد محـــدد فـــي أول الـــليل لتـــناول وجبه العشاء – كما كانت لهم أيام أعياد ومناســبات دينية لا يعملون فيها ، وإنما كانوا يخصصون في نهارها وقتا

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – pp 109 ets .

للنزهة والرحلات ، وفي بداية لياليها كانوا يتبادلوا الزيارات أو يقيموا فيها العزائم والحفلات - ومن أثر وفرة اللحوم والأسماك ومحاصيل الخضار والفاكهة كانت معظم بيوتهم عامرة بالمواد الغذائية وعلى الأخص بيوت الأثرياء منهم ، كما كانوا ينوعون في الأطعمة التي يتناولوها يوميا - وبعد أن أتقن بعضهم عمليات الغزل والنسيج وصناعة الجلود - ارتودوا ملابس أنيقة واصبحوا مثل أرقى شعوب المجتمعات التي تطورت حضاريا قبلهم بما يزيد عن ألفي سنة (١) .

جـ- أصبحت معظم الأسر الحيثيه تشبه في تكوينها نظام الأسر الموجودة في أرقى المجتمعات الحضارية التي كانت تعيش حياة المدن ، وعلى الأخص في بلاد ما بين النهرين ، حيث تركوا نظام العشائر أو المجموعات الكبيرة التي كانوا يرتبطون فيها بوشائج القرابة - واحتفظوا فقط كانعكاسا لهذا التغير بالرابطة التي لا تزيد عن الوالدين والأطفال والخدم حيث اعتبروها مع التطورات التي حدثت في حياتهم السياسية والاقتصادية هي الهيكل الأساسي لنظام الأسرة وتمثل أقوى وحدة اجتماعية داخل كل منزل - وفي ذلك يقول بعض العلماء والمؤرخين بأن السبب في حدوث هذا التغير يرجع إلى صعوبة الاحتفاظ بنظم عائلية على نطاق واسع بعد ظهور المدن وازدحامها بالسكان ، لأن الحياة داخل هذه المدن

---

(1) R. Dussaud – les Religions des Hittites .... Op . cit – pp 193 ets .

تجعـــل كـــل فـــرد فيها يميل دائما إلى الاعتماد على نفسه ، وعدم تحمل مسئولية أي فرد من أفراد عائلته إلا إذا كان من أقرب أقربائه أو في نطاق ضيق لا يزيد عن الأسرة المكونة من الأب والأم والأولاد (١) .

د - تطـــور نظام الزواج ، وأصبح بدلا ما كان ممنوع بين أفراد القبيلة ، اقتصر فقط على أفراد العائلة الواحدة كما أصبح أيضا أمام تطور الحيـــاة وتـــزايد حقوق المرأة غير مسموح بنظام تعدد الزوجات ، إلا في حالـــة مـــا إذا كان الرجل غني ومن أصحاب المراكز الهامة أو المرموقة التي يستطيع من خلالها امتلاك عدد من المحظيات - وكان الأباء هم الذين ينظمون عمليات الزواج على أسس دقيقة ، وعقد الزواج قد أخذ طابع ديني إلى جـــانب طابعة المدني ، حيث كان هناك حفلات دينية رسمية لاتمامه ، ونظـــام ديني معين يقضي بضرورة التصديق عليه ، وهذا العقد كان يذكر فيـــه بدقة حقوق وواجبات كل من الزوج والزوجة (٢) - وذلك كما سنرى في الباب الثالث عندما نتحدث عن أهم الأحكام الخاصة بنظام الزواج .

هـــ- انتشر النظام الطبقي في كل أرجاء المجتمع الحيثي كما ظهر نظـــام الـــرق - هـــذا إلى جانب أن القبائل الآرية التي اندمجت في حياة مشتركة مع الشعب الحيثي قد رسخت النظام الأرستقراطي الذي ظهر في

---

(1) V. G. CHILDE – New light on the most Ancient East – op . cit – p 133 .

(2) O. R . GURNEY – the Hittite Harmandsworth .... Op . cit – p . 145 .

أوربـــا فـــي أواخر العصر الحجري الحديث [وهو ما يطلق عليه العصر الينوليـــتي] داخـــل المجـــتمع الحيـــثي – حيث أصبح يوجد مجموعة من الأشـــخاص النـــبلاء الذين يملكون ثروات طائلة ويمثلون أعلى طبقة في المجـــتمع ولكـــن تميـــزوا بصفات معينة لم يتصف ببعضها من قبل أفراد الطـــبقات العليا في المجمعات الحضارية الأخرى التي ظهرت في منطقة جـــنوب غـــرب أســـيا ولا فـــي الشـــرق عموما • على أساس أن النظام الأرستقراطي كان وليد القارة الأوربية ونقل كنظام مستحدث إلى الحيثيين عـــن طـــريق القبائل الأرية [١] – وسوف نوضح ذلك بالتفصيل في الباب الـــثالث عـــندما نعـــرف أهم الأحكام الخاصة بالنظام الطبقي في المجتمع الحيثي •

رابعا : في النظم القانونية :

* بعـــد أن طـــبقت القواعـــد الدينية داخل القبائل الحيثية بداية من النصف الثاني للعصر الحجري الحديث ، ظهرت القواعد العرفية في بداية دخـــول هذه القبائل أعتاب العصور القديمة ، وهذه القواعد وأن كانت تمثل **المرحلـــة الرابعة** من مراحل ظهور القانون إلا أنها طبقت دون الاستغناء عـــن بعض القواعد الدينية التي تمسكت بها القبائل الحيثية حيث اعتبرتها تمـــثل أهمية خاصة في حياتها ومستقبلها ، هذا بالرغم من معظم القواعد العـــرفية التي ظهرت كانت مستمدة من المعتقدات الدينية التي كانت سائدة

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p 159 .

داخـــل هـــذه القبائل التي كانت تعبد إلهة عديدة وصل عددها بعد ذلك إلى ألف آله •

*- وبعد أن أتحدث هذه القبائل وأسس زعمائها الدولة الحيثية في عـــام ١٨٠٠ ق٠م - ظهـــر مـــع مـــراحل تطور هذه الدولة وازدهارها حضاريا **مرحلة التدوين التي تمثل المرحلة الخامسة** والأخيرة من مراحل ظهور القانون - حيث دونت بعض القواعد العرفية في مجموعتين ، خلال فترات متعاقبة وغير ثابت تاريخها على وجه التحديد وذلك من أجل تنظيم بعـــض المســـائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية بأسلوب يكون معلوم للجميع ويلاحق ما كان يحدث في المجتمع الحيثي من تطور [١] .

*- وإذا كـــانت معظم المصادر التاريخية التي تعرضت للحضارة الحيـــثية تشير بأن القواعد التي تم تدوينها في المجموعتين ، قد تم وضعها على غرار ما كان متبع في بلاد ما بين النهرين ، وأنه على أثر ذلك كان يوجـــد تشابه كبير بين القوانين الحيثية وقوانين بلاد ما بين النهرين وعلى الأخص قانوني حمورابي [٢] - إلا أنه من استقراء الواقع يتضح أن بعض القواعـــد الحيثيه قد تميزت تميز واضح في معالجة الكثير من المسائل عن القواعـــد التي كانت تناظرها في بلاد ما بين النهرين وسوف نوضح ذلك •

(1) G. Contenau – la civilisation des Hittites – op . cit – pp 140 – 142 .
(2) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p . 245 .

تفصـيلا في الباب الثالث عندما نعرض أهم أحكام النظام القانوني للدولة الحيثية .

خامسا : في النظم الثقافية :

ظهـر فـي المجـتمع الحيثي خلال أزمان عصوره القديمة أسس واضـحة للنظم الثقافية ، بعد أن تطورت تطور كبيرا جدا واتسعت بشكل هائل مفاهيمها من أثر صقل وبلورة أفراد هذا المجتمع لكل ما اقتبسوه من انمـاط وسـمات ثقافية عديدة من شعوب المجتمعات الإنسانية التي كانت مـتألقة حضاريا في منطقة جنوب غرب أسيا وعلى الأخص بلاد ما بين النهرين وسوريا والمدن الفينيقية [١] .

ومن أهم ملامح هذا التطور يتلخص في الآتي :

أ - اسـتطاع بعـض أفراد هذا الشعب أن يتقنوا ببراعة فن الرسم والـنحت على جدران وحوائط المنازل والمعابد ، وعلى جوانب الصخور والكهـوف فـي المناطق الجبلية التي كانت تقع في منطقة أسيا الصغرى وعـلى الأخص منطقة سلاسل جبال الأناضول - كما برعوا في صناعة التماثيل الحجرية والمعدنية حيث أنتجوا منها أشكال عديدة لصور الإنسان وبعـض الحيوانات ، وكانت معظمها تتميز بجمال الفن وروعه الإتقان ، وإذا كان الحيثيين قد تعلموا في البداية فن النحت والرسم وصناعة التماثيل

---

(1) R. J . BRAID WOOD – the Near East and foundations of civlization – op . cit – pp 192 ets .

مــن المجـتمعات الحضارية الشرقية وعلى الأخص بلاد ما بين النهرين ومصر الفرعونية - إلا أنهم بعد أن أتقنوه وتطوروا فيه ، قد أصبحوا هم والفيـنيقيين مـن أهم المجتمعات الشرقية التي نقلت أساسياته إلى شعوب القارة الأوربية بداية من الإغريق ثم الرومان (١) .

ب - ظهـر في المجتمع الحيثي شعراء وأدباء وفلاسفة عبروا في ملاحـم عديـدة عـن أصـل صفات الشعب الحيثي ، ومدى ما عاناه في الماضـي مـن شـقاء التشـتت وعدم الاستقرار ، إلى أن وصل بكفاحه وانتصـاراته إلى بـناء مجـتمع موحـد تترابط أواصره بمفاهيم المحبة والإخلاص والأخوة - كما ظهر أيضا مؤرخين على مستوى عالي ، وكان معظمهـم معيـنين فـي الجهاز الملكي من أجل أن يسجلوا الانتصارات والنكبات وكافة الأحداث التاريخية التي مرت بها الدولة الحيثيه خلال فترة عصورها القديمة ، ولعل الوثائق التاريخية التي عثر عليها في بوغار كوي كـانت خيـر دليـل على أن هؤلاء المؤرخين كانوا على درجة عالية في تدوين الأحداث والتعقيب عليها في ضوء ما كانوا يملكونه من علم وخبرة متميزة في عرض ما يحدث في سجلات التاريخ .

جـــ- ظهـور مجموعة كبيرة من العلماء تخصصوا في مجالات عديدة مثل علم الفلك والحساب والهندسة والعمارة والطب،وهم أن كانوا قد

---

(1) G. Contenau .. la civilisation des Hittites ... op . cit – pp 171 – 173 .

تعلموا في البداية أسس هذه العلوم من الحضارات الشرقية إلا أنهم بعد أن أتقنوها قد ابتكروا فيها نظريات علمية جديدة طورت من هذه العلوم وإضافة إليها معلومات أخرى حديثة - هذا بالإضافة إلى ظهور عدد كبير من العرافين الذين اهتموا بدراسة النجوم والكواكب وتسجيل عمليات كسوف الشمس وخسوف القمر ، وهم أن كانوا أقل مرتبة من كهنة الطقوس إلا أنهم قد اكتسبوا مع مرور الزمن أهمية خاصة في المجتمع الحيثي بعد أن أتقنوا علم التنجيم ، وادعوا درايتهم بالتنبؤات الخاصة بأحداث المستقبل ، ومهارة قدرتهم في الأنباء عن الغيب (١) .

د - توسع الشعب الحيثي في نظام تبادل الهدايا الذي ظهر في نهاية عصره الحجري الحديث في المناسبات الدينية والأعياد وفي بعض الحالات الخاصة مثل الزواج والميلاد والوفاة ، وهذا التوسع قد أدى إلى تعميق روابط الود والمحبة والتآخي بين كل أفراد هذا الشعب ، كما ساهم بفاعلية في أحداث تقارب قوي في المشاعر والعواطف بينه وبين أفراد الأجناس الأخرى التي اندمجت معه في حياة اجتماعية مشتركة ، لأن نظام تبادل الهدايا وإن كان يعبر عن مدى الثراء والكرم والتعاون الوثيق ، إلا أنه يعتبر من أهل الوسائل التي تساعد على فتح طريق المجاملات · تقديم المجاملات في الأفراح والأحزان يزيل دائما الخلافات والأحقاد والتباعد

---

(1) H. FRANK FORT – the Birth of civilization in the Near East – op . cit – pp 104 – 107 .

وكل ما يعكر صفو الود والألفة بين الناس مهما كانوا مختلفين في الجنس أو فـي العـادات والـتقاليد أو في الطباع وأساليب المعيشة – وعلى هذا الأساس يقول بعض علماء الانثروبولوجيا بأن نظام تبادل الهدايا قد لعـب دور هـام فـي بلورة ثقافة الشعب الحيثي وفي توحيد صفوفه خلال فترة عصوره القديمة [١] .

هـ – حدوث تقارب قوي بين كل لغات القبائل الحيثية التي كانت تـزيد عن سبعة عشر لغة – وهذا التقارب قد أدى إلى استخدام لغة عامة في التخاطب وفي المكاتبات ، ساعدت على توحيد مفاهيم الشعب الحيثي ، وجعلت كل أفراده ينصهرون في بوتقة قومية واحدة تعبر بصدق عن مدى توافق إرادتهم في الاندماج داخل كيان سياسي واحد – استطاعوا أن يبنوا من خلاله كل الأصول الثقافية المتحدة التي كانت من أهم الدعائم الأساسية الـتي استندوا عليها في صنع حضارتهم التي تألقوا بها في فترة تزيد عن سبعة قرون في منطقة أسيا الصغرى [٢] .

---

(1) H. R. Hall . the Ancient History of the Near East – op . cit – pp 217 ets .

(2) H. G. wells – A short of the world – op . cit pp 69 ets .
- M. pillet – le temple de Byblos – syria – op . cit – pp 157 ets .
- B. HROZNY – sur un eachet Hittites ... op . cit pp 141 ets

سادسا : في النظم الدينية :

دلـت النقوش والآثار التاريخية التي اكتشفها العلماء والباحثين في بوغـار كوي • وفي بعض المناطق التي كانت توجد فيها الهياكل الحيثية المقدسـة في أقصى شمال سوريا وفي أسيا الصغرى – على أن الحيثيين كـانت لديهـم إلهة كثيرة العدد جدا يعبدونها ، وأنهم كانوا يذكرون أسماء بعضـها فـي المعاهدات السياسية التي أبرموها ، ثم يستغيثون في نهاية المعـاهدة بالقول [يا آلهة الحيثيين الألف] مما يدل على أن أجمالي عدد هـذه الآلهة يصل إلى ألف أله – وقد اقتبس الحيثيون معظم هذه الآلهة من المجـتمعات التي تألقت حضاريا في منطقة جنوب غرب أسيا ، مما جعل الأصـل العام لهذه الآلهة أسيوي وذلك مثل الآلة [اشتار] من بلاد ما بين الـنهرين ، والآلة يتشوب من الحوريين ، والآله بعل من المدن الفينيقية – هذا بالإضافة إلى أن الاريين الذين اندمجوا في حياة مشتركة مع الحيثيين قد جلبوا معهم بعض ألهتهم ونشروا عبادتها في المجتمع الحيثي وذلك مثل الآله " مترا " •

ولكن رغم العدد الكبير لهذه الآلية والذي يصل إلى ألف آله – كان الشـعب الحيثي يضع على رأسهم زوجين من الآلية أحدهما ذكر والآخر أنـثى ، وأن الأنـثى كانت لها الصدارة حيث اعتبروها الأم الكبرى لكل الآلهة – وكان يطلق عليهما [شمس ارينا] الذي اتخذ اسم المدينة المقدسة التي شيد فيها أشهر معابدها ، وهذا الزوجين كان لهما حيوانان مفضـلان

على كل الحيوانات هما اللبوءة واليمامة ، ورفيقهما الدائم في حياة الألوهية هــو ألــه العاصــفة الذي كان في نفس الوقت هو أيضا آله الحرب وكان يــرافقه ثورين ويرمز إليه بالصاعقة أو الفأس أو الحربة أو مجموعة من الأســلحة – ومع الزمن والتطور كان يأتي آلهة أخرى هم أيضا من أبناء هذيــن الزوجين المذكورين لكي يتقربوا إليهما ويرافقوا حياتهما وذلك مثل الآلـــه [الفــتي الشمس] الذي مثله الحيثيون بدون لحية وجعلوه عشيق والدته ، عندما اعتبروا الأم الكبرى لكل الآلهة تمثل آله الخصب .

وكمـــا اقتبس الحيثيون معظم الهتهم من المجتمعات الحضارية في جــنوب غــرب أســيا – اقتبســوا أيضـــا نظم العبادة والطقوس من هذه المجــتمعات ، وعلى الأخص التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين ، ولذلــك كانوا يقدمون الذبائح ، وينظمون المواكب على غرار ما كان متبع غالــبا في بلاد ما بين النهرين في الأعياد والمناسبات الدينية ، وفي كثير من الحفلات الكبرى كان الملك يقوم بهذا العمل بنفسه ، وذلك مثل الموكب الذي كان يقام لإرضاء آله العاصفة لكل يرضى عنهم وهو يتقدم نحـــو [الآلهــة- الشــمس] – لأن الحيثيين كانوا يعتقدون تماما بأن الأمراض والمصـــائب والكوارث التي كانت تحل عليهم هي من صنع الآلهة عندما كــانت تغضـــب عليهم في الأوقات التي كان يسهوا عليهم فيها عبادتها أو يرتكــبوا فيها أفعال لا ترضيها – ولذلك كانوا يلتزمون دائما بالقيام على تهدئـــه هـــذه الآلهـــة وإرضائها من خلال التطهر الجسدي وتقديم الذبائح والالتزام بمواعيد الصلوات وبالأوقات المحددة لترتيل العبادات المقدسة .

وقـد أثرت هذه العبادات والطقوس الدينية في تطوير ثقافة الشعب الحيثي ، وجعلت معظم أفراده يتحلى بالورع والتقوى - كما جعلت السحر يـأخذ مركـز مـرموق في حياة هذا الشعب بعد أن نجح السحرة في بث الاعـتقاد بـأنهم قادرون من خلال معاونة هذه الآلهة على مراقبة النجوم لكشـف أسرار الغيب ، وعلى زجر الطيور والتدقيق بكبد الذبائح ليستدلوا على الأحداث التي ستقع في المستقبل .

والحيـثيون لم يكتفوا بالمحافظة على ما اقتبسوه من معتقدات دينية من المجتمعات الحضارية في جنوب غرب أسيا وعلى الأخص بلاد ما بين الـنهرين - بـل لعـبوا دورا هامـا فـي نشر هذه المعتقدات في معظم المجتمعات التي ظهر كيانها على سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية وعلى الأخص الإغريق والرومان (١) .

---

(1) A. AYMARD et j . Auboyer Histoire Generale Des civilisations ... op . cit – pp 206 – 208 .
- E. Covaignac – Ras shamra et l'Empire Hittite – op . cit – pp 132 ets .
- L. DELA porte – les Hittite – paris – 1936 – pp 218 ets .
- د . نور الدين حاطوم ، وآخرون - موجز تاريخ الحضارة - مرجع سابق - ص ٢٦٢ .

الباب الثالث

*****

أهم أحكام النظام القانوني للمجتمع الحيثي

تقديـــم :

بعد أن طبق نظام تهذيب القوى من خلال صور التصالح والتحكيم ثـم طبقت بعد ذلك **كمرحلة ثالثة** من مراحل ظهور القانون القواعد الدينية حـتى نهاية أزمان العصر الحجري الحديث، ظهرت القواعد العرفية عقب أن دخـلت القبائل الحيثية أبواب عصورها القديمة – وبعد أن اتحدت هذه القبائل في عام ١٨٠٠ ق ٠ م وأصبحت تمثل كيان سياسي واحد في هيكل دولة أخذت منذ البداية طابع النظام الإقطاعي في أساسها ومظهرها ، ظلت القواعد العـرفية مطبقة داخل المجتمع الحيثي فترة تزيد عن مائة عام ، وكـان يساندها في تنظيم علاقات أفراد هذا المجتمع وضبط سلوكهم بعض القواعد الدينية التي تمسك بها الحيثيين ، ورفضوا تماما تعديلها أو ستبديلها بأي قواعد أو نظم أخرى على أساس اعتقادهم بأنها قواعد راسخة للأبد لما تحويـه مـن قيم ومبادئ دينية وأخلاقية كليا لا يمكن الاستغناء عنها في تـنظيم أوضـاع معيشتهم حتى يسلكوا طريق الخير ويبتعدوا عن ارتكاب الـرذائل وكل أمور الشر [١] ٠٠٠ وبالتالي كانت القواعد العرفية وبعض القواعـد الديـنية هـي التي تشكل النظام القانوني للدولة الحيثية في بداية ظهورهـا عـلى مسـرح التاريخ – إلا أنه بعد أن أخذت تتوسع في أسيا الصغرى وتستولي على مساحات شاسعة من الأراضي وتضمها إلى إقليمها ظهـرت فيهـا بداية من عام ١٧٠٠ ق ٠ م أي بعد مائة عام من تأسيسها

---

(1) A. T. olmsteead – History of Assyria – op . cit – pp 133 ets .

حـــركة تدويـــن لبعض القواعد العرفية لكي يشمل نظامها القانوني قواعد مدونـــة تكون معلومة للجميع وتكفل بضوابط دقيقة ومحكمة تنظيم شئونها الداخـــلية والخارجية أمام الظروف والأحداث المستجدة التي نتجت من هذا التوســـع وتطـــور أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية [١] . . . .

وحيث أن الدولة الحيثية قد انقسم امتدادها التاريخي إلى فترتين زمينتين – الفـــترة الأولى تمـــتد مـــن عـــام ١٨٠٠ – ١٥٠٠ ق٠ م تقريبا وتشمل الإمبراطورية الحيثية القديمة والفترة الثانية تمتد من عام ١٤٠٠ – ١٢٠٠ ق ٠ م تقريـــبا وتشمل الإمبراطورية الحيثية الحديثة ، فقد استمرت حركة الـــتدوين خـــلال الفترتين ، ونتج عنها في ضوء ما اكتشفه العالم الأثرى الفرنسي [وانكلر] خلال المدة من [١٨٩٠ – ١٩٠٥ م] مجموعتان من القوانيـــن ، تـــم وضع نصوص كل مجموعة منها على لوحة من الحجر ، وبعـــد وفـــاة هـــذا العالم في عام ١٩١٣ م تم نشر اللوحتين بداية من عام ١٩٢١م ، واهتم بعض العلماء والألمان والفرنسيون بصفة خاصة بدراسة النصوص القانونية المدونة على هاتين اللوحتين ، ثم قاموا ومعهم مجموعة أخرى من العلماء بشرحها والتعقيب عليها في بحوث ومؤلفات عديدة أشار إليهـــا الفقيـــه الفرنسي جودميه في مؤلفة [النظم القديمة] الذي نشره في باريس عام ١٩٦٧ .

---

(1) B. Hrozny – sur un cachat Hittite .... Op . cit – p 161 .

– ورغـم أن هؤلاء الشراح قد اتفقوا على أن اللوحة الأولى تضم مجموعـة القوانيـن الأولى ، وجميـع نصوصها تتعلق بالقانون المدني ، والـلوحة الـثانية تضـم مجموعة القوانين الثانية وكل نصوصها خاصة بالقـانون الجـنائي – إلا أن آرائهـم قـد اختلفت في تحديد تاريخ وضع نصـوص المجموعتان ، **فالرأي الأول** : قرر بأنها وضعت في نهاية عهد الإمبراطورية الحيثية القديمة ، **والرأي الثاني** : حددها بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد ، **والرأي الثالث** : أشار بأنها دونت في القرن الرابع عشر قبل الميـلاد ، **والرأي الرابع** : حددها بعهد حكم الملك حاتشويل الثالث الذي جلس على العرش خلال الفترة من [١٢٧٥ – ١٢٥٠ ق ٠ م] – **والرأي الخـامس** : ذهـب خلاف ذلك وقرر بأنها وضعت خلال فترة عهد الملك حاتشويل الأول الذي حكم البلاد من عام [١٤١٨ – ١٣٩٥ ق ٠م] (١) – هـذا إلى جـانب وجود **رأي سادس** يمثله أيضا بعض العلماء والمؤرخين الذين اهتموا بدراسة الحضارة الحيثية يشير بأن المجموعة القانونية الأولى قـد وضعت نصوصها في عهد الإمبراطورية الحيثيه القديمة خلال الفترة من عام [١٨٠٠ – ١٥٠٠ ق م] والمجموعة القانونية الثانية قد وضعت فـي عهـد الإمبراطورية الحيثيه الحديثة خلال الفترة من عام [١٤٠٠ – ١٢٠٠ ق ٠ م] وأن المجموعـة الأولى قد ضمت مائة مادة بدأت بالمادة رقـم واحد إلى المادة رقم مائة ، والمجموعة الثانية ضمن أيضا مائة مادة

---

(١) د ٠ محمود السقا ٠ تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابـق – ص ٣٥١ – ص ٣٥٥ ٠

ولكـــن بدأت كمكملة للمجموعة الأولى من المادة رقم مائة واحد إلى المادة رقـــم مائـــتين (١) • ونحن نؤيد هذا الرأي لأن نصوص المجموعة الثانية كانت في مضمونها وصياغتها أكثر تطورا من نصوص المجموعة الأولى ممـــا يدل إلى وجود فارق زمني بعيد بين تاريخ صدور كل منهما يتراوح ما بين ٢٠٠ – ٣٠٠ سنة تقريبا •

والســـبب الرئيسي في اختلاف العلماء والمؤرخين في تحديد تاريخ وضـــع المجموعتان يرجع إلى أن نصوص كل منهما لم تصدر من الملك الأكـــبر سواء بإرادته الشخصية مثل [تشريع الإمبراطور الصيني [تشن شـــه هوانـــغ دي] في عام ٢٢١ ق • م ، وتشريع دراكون حاكم أثينا في عام ٦٢١ ق• م ، وتشريع صولون حاكم أثينا أيضا في عدد ٥٩٤ ق• م ، وتشريع الملك الفارسي داريوس الأول في عام ٥٢٠ ق • م] أو بتفويض مـــن الآلهـــة مثل [تشريع حمورابي ملك بابل خلال الفترة من ١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق • م – وتشـــريع مينوس ملك كريت في عـــام ٢٤٠٠ ق • م] وإنمـــا تـــم أعدادهـــا وتجميع نصوصهما وصياغتها من خلال مجهودات جماعية ، ويحتمل أن يكون جميع أعضـــــــــاء مجلس النبلاء [البانكو] هـــم الذيـــن قـــاموا بهذا العمل أو على الأقل قد اشتركوا فيه ، وذلك لأن أعضـــاء هـــذا المجـــلس كانت لهم بعض المهام التشريعية والقضائية في

---

(1) G. contenau – la civilisation des Hittites ……. op . cit – p 124 .

الدولـــة [١] ، كمـــا أن وظيفة هذا المجلس كانت تشبه إلى حد كبير [كما ســنرى فيمــا بعــد] مجــالس الشعب أو النواب في الدولة الديمقراطية المعاصرة ، وهذه المجالس هي التي تقوم حاليا سواء بالإجماع أو بأغلبية الأصوات بوضع كل التشريعات العادية في هذه الدول [٢] .

وبالتالي لم تكن أي مجموعة من المجموعتين عملا من أعمال ملك بذاته حتى يمكن تحديد تاريخ صدورها ، والدليل على ذلك أنه لا يوجد في اللوحــتين المقدمـــة الرسمية التي تصدر باسم الملك والتي توجد عادة في المدونات والشرائع التي أصدرها ملوك المجتمعات الحضارية التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم ، كما لم تحتوي المجموعتان أيضا على أي عبارات أو إشارات تفيد بأنها أوامر صادرة من ملك حيثي معين – لذا فإن الأمر الموثوق فيه على ضوء ذلك يشير بأن تدوين نصوص كل مجموعة مــن المجموعتين قد جاء نتيجة عمل جماعي خلال زمن ممتد وغير ثابت تاريخــه عــلى وجه التحديد وهذا ما جعل العلماء والمؤرخين يختلفوا في تحديد تاريخ صدورها [٣] .

---

(1) R. Dussaud – les Religions des Hittites … op . cit – pp 211 – 213 .

(2) O. R. GURNEY – the Hittites harmandsworth …. Op . cit – pp . 181 – 183 .

(٣) د . محمــود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابـــق – ص ٣٥٤ .

ويـرى هؤلاء الشراح في تعقيبهم على نصوص المجموعتين بأن اللغة التي كتبت بها ، وأن كانت قد اتسمت بالدقة والتركيز اللفظي إلا أنها لم تصل إلى حد الصياغة الفنية للغة القانون – كما أشاروا أيضا بأن المواد الموجـودة فـي كـل مجموعة لم تشمل أي تقسيم أو تضيف لموضوعات قانونيـة مختـلفة ، وأن معظم هذه المواد قد جاءت خالية تماما من إبراز صـفة العموميـة بالنسبة للمواد الثابتة بهما ، وبجانب هذا كله قد أغفلت المجموعتان تماما مسائل قانونية عديدة ولم تتعرض لها من قريب أو بعيد سـواء بالعـرض أو بالإشارة وذلك مثل موضوع البيع والإجازة والبتني الوصية ونظام المواريث والعقود عموما ، وحتى في حالة عرض موضوع ثـابت في أي مجموعة فإن المواد التي تتناقش هذا الموضوع تأتي مبتورة وتهـتم بـالأمور القانونيـة دون الجوهرية ، وتبحث في الفرعيات دون الأصول مثل موضوع الزواج حيث تصدت للحديث فقط عن مسائل ثانوية بحتة كالزواج بين الارقاء والأحرار في حين لم تتحدث عن طريقة إبرامه أو انحلاله وهي من المسائل الجوهرية بالنسبة لعقد الزواج – وعلى أساس ذلك قد قرروا بصفة عامة في نهاية تعقيبهم بأنه من الصعوبة إطلاق صفة (مجموعـة قانونيـة) بالمعـنى الفني الدقيق وفي ضوء المفهوم الحديث لقواعد القانون على أي مجموعة من هاتين المجموعتين [١] .

---

(١) د . محمـود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – المرجع السابق – ص ٣٥٢ – ٣٥٣ .

وإذا كــان هــذا يمــثل رأي هــؤلاء الشراح الذين تناولوا شرح النصــوص المدونة على اللوحتين والتعقيب عليها - فإن هناك رأي آخر لــبعض العــلماء والمؤرخين يشير بعد أن تناول فحص مضمون نصوص هاتان المجموعتان بأن ما جاء بهما يمثل قيمة قانونية لا تقل إلى حد كبير عــن مســتوى المدونــات القديمــة ، وذلك مثل ما قرره العالم **والمؤرخ الفرنسي اندريه ايمارد** في مؤلفه تاريخ الحضارات العام . الشرق اليونان القديمــة] بــأن [هاتان المجموعتان من القوانين الحيثيه قد وضعت على غرار المجموعات القانونية التي ظهرت في بلاد ما بين النهرين] [١] .

ومن المعلوم أن المدونات التي وضعت في بلاد ما بين النهرين لا يوجد فيها أدنى شك رغم النقد الذي تعرضت له بأنها مجموعات قانونية - وأيضا ما قرره العالم الأمريكي **رالف لنتون** في مؤلفه [شجرة الحضارة] بــأن [... من دراسة النقوش نرى أن الحيثيين كان لديهم قانون مدون يذكــرنا **بقــانون حمورابــي** ، ومن المحتمل أن يكون قد وضع علــــى غراره....] [٢] ومن المعلوم أيضا أن **قانون حمورابي** رغم النقد الذي تعرض له من جانب بعض العلماء يعتبر من أهم المجموعات القانونية التي ظهرت في كافة أرجاء العالم القديم .

---

(1) A. Aymard et j . Auboyer – Histioire Génerale Des civilisations – op . cit – p 205 .
(2) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p 245 .

وأي مـا كـان الأمـر أمـام هـذا الاختلاف في القيمة القانونية لهاتان المجموعـتان ، فـإن الـذي يجـب أن نلاحظه من خلال الوثائق والآثار التاريخية التي خلفتها الحضارة الحيثية أن ما تم تدوينه في المجموعتين ، لا يمثل على الإطلاق كل قواعد النظام القانوني الحيثي وإنما بعضها فقط ، لأنــه كانت توجد قواعد عرفية وقواعد دينية بجانب هذه القواعد المدونة ، ومـن مجموع هذه القواعد كان يتكون النظام القانوني للمجتمع الحيثي في عهـد الإمبراطورية القديمة وطوال عهد الإمبراطورية الحديثة – وبالتالي فإذا كان هناك نقص في القواعد المدونة فإن القواعد العرفية والدينية كانت تكمـل هذا النقص – ولذلك فقد كانت توجد مسائل تعالج بالقواعد القانونية المدونة ومسائل أخرى تعالج بالقواعد القانونية العرفية أو القواعد الدينية – كمـا كـان يوجـد أيضا مسألة واحدة [كالزواج مثلا] تعالج في بعض عناصـرها بقواعـد مدونه والعناصر الأخرى لها تعالج بقواعد عرفية أو دينية في ذات الوقت – وهذا ما سوف نوضحه تفصيلا عندما نعرض أهم أحكام النظام القانوني الحيثي في هذا الباب الذي سنقسم الدراسة فيه لتسهيل العرض بشكل يتناسب مع أهمية هذا الموضوع على النحو الآتي :

الفصل الأول : سنعرض فيه أهم الأحكام الخاصة بالنظام السياسي ووضع المجتمع– حيث سنتناول الأحكام المتعلقة بنظام الحكم ووضع المجتمع الحيثي إلى جانب الأحكام الخاصة بنظام العلاقات الخارجية ٠

<u>الفصل الثاني</u> : سنطرح فيه أهم الأحكام الخاصة بنظام الجرائم والعقوبات إلى جانب الأحكام التي كانت تنظم أعمال السلطة القضائية .

<u>الفصل الثالث</u> : سنتناول فيه أهم الأحكام الخاصة بنظام التعامل والتعاقد والملكية إلى جانب الأحكام المتعلقة بنظام الأسرة والزواج والطلاق والإرث .

الفصـــل الأول

****

أهم الأحكام الخاصة بالنظام السياسي
ووضع المجتمع الحيثي

احـــتوى الـــنظام القانوني للدولة الحيثية على قواعد قانونية عديدة تتعـــلق بتنظيم الشئون السياسية والاجتماعية الخاصة بالمجتمع الحيثي إلى جـــانب علاقاته الخارجية مع المجتمعات المستقلة التي تألقت حضاريا في العـــالم القديـــم - وهذه القواعد كان بعضها قواعد مدونة والبعض الآخر قواعـــد عـــرفية ، كمـــا كان يساند هذه القواعد في تنظيم بعض الجزئيات الخاصة بمسائل معينة بعض القواعد الدينية - وحيث أن هذا التنوع يحتاج إلى تجســيد محـــتوياته حتى يمكن بدون أرباك في الفهم أو بترفي بعض الأمـــور الـــثانوية بـــلورة أصوله التي عالج بها هذه المسائل الجوهرية - سنعرض دراسة تتسم إلى حد ما بالموضوعية عن أهم أحكام القواعد التي نظمـــت الأمـــور الخاصـــة بهذه الموضوعات - ولكي يكون عرضنا في تسلســـل واضـــح - سنقسم دراستنا في هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث على النحو الآتي :

المبحث الأول : أهم الأحكام الخاصة بالتنظيم السياسي للمجتمع الحيثي ٠

المبحث الثاني : أهم الأحكام الخاصة بتكوين المجتمع الحثيي ٠

المبحث الثالث: أهم الأحكام الخاصة بالعلاقات الخارجية للدولة الحيثيه ٠

المبحث الأول
أهم الأحكام الخاصة بالتنظيم السياسي للمجتمع الحيثي

****

حيث سبق أن وضحنا في الفصل السابق أن رؤساء القبائل الحيثية قد اتفقوا بزعامة [خيتاس بن اينتاس] على الاتحاد في كيان سياسي واحد وتكوين دولة ذات سيادة في منطقة الأناضول – وأن هذا الاتفاق قد تم توقيعه على أساس أن يحتفظوا جميعا بكافة حقوقه ومكانتهم وامتيازاتهم ، وأن يشتركوا جميعا في تنظيم بعض الأمور الهامة التي تخص شئون هذه الدولة الجديدة ، كما يكونوا هم المسئولين فقط عن اختيار الملك الذي يتولى الحكم أي كان من ضمن بنود اتفاقهم لتأسيس هذه الدولة أن يكون نظام الحكم فيها بالاختيار ، وهذا الاختيار لابد أن يكون من خلالهم فقط ، وليس بنظام الإرث كما كان سائدا في معظم الدول القديمة – وحيث كان رؤساء هذه القبائل من أكبر الإقطاعيين الأرستقراطيين ، فقد كونوا عند ميلاد هذه الدولة المتحدة مجلس أطلق عليه مجلس النبلاء [البانكو] Pankus ، كما جعلوا الدولة الحيثية في بداية ظهورها تأخذ صفة أمام كل الدول والممالك والإمبراطوريات القديمة بأنها دولة إقطاعية في أساسها ومظهرها – وعلى هذا الأساس فإنه في ضوء المعلومات والوثائق الأثرية التي عثر عليها العلماء والباحثين ضمن مخلفات الدولة الحيثيه عن الأحكام الخاصة بنظام الحكم والاختصاصات الوظيفية لمجلس النبلاء [البانكو] –

يمكن أن نطرح دراسة في هذا الموضوع تتلخص في الآتي :

١- الدعـائم التي استندت عليها الدولة الحيثية عند تأسيسها كانت أقل متانة وتنظيما من تلك التي استندت عليها مصر وبلاد ما بين النهرين عـندما أسس كل منهما دولة متحدة – وذلك لأن الدولة الحيثية قد تأسست بناء على اتفاق رؤساء القبائل الإقطاعيين وبالشروط التي وضعوها في هذا الاتفـاق ، والتي كان من أهمها الإقرار صراحة باحتفاظهم بمكانتهم وبكل مـا كـانوا يتمـتعوا بـه من حقوق وامتيازات إلى جانب أحقيتهم في أن يشاركوا بصفة رسمية في تنظيم بعض الأمور الخاصة بشئون الدولة – في حيـن الدولة المتحدة التي قامت في كل من مصر وبلاد ما بين النهرين قد تأسسـت بـزعامة شـخص واحد ومناصرة من جانب أسرته وأعوانه ، وبمجـرد جلوسه على العرش كان لا يشاركه أحد على الإطلاق في تنظيم شئون الدولة بصفة رسمية مفروضة عليها – وبناء على ذلك يقول العلماء والمؤرخيـن – بـأن الملك الحيثي لم تكن سلطته مطلقة بصفة دائمة في تـنظيم شـئون الدولـة مثل ملوك مصر وبلاد ما بين النهرين وإنما كان يشاركه في تنظيم بعض الأمور مجلس النبلاء الذي كان يضم رؤساء هذه القـبائل الذيـن كانوا يمثلون أكبر الإقطاعيين في المجتمع الحيثي – وأنه نـتيجة لذلك قد حدثت خلافات كثيرة واحتدمت صراعات عديدة بين الملك الأكبر وأعضاء مجلس النبلاء بسبب تدخلهم في تنظيم بعض الأمور الهامة فـي الدولـة – وبالتالي كانت الأسس التي تستند عليها الدولة الحيثية أقل تنظيما وقوة من تلك الأسس التي استندت عليهـا مصر وبـلاد ما بين

الـــنهرين عندما كون كل منهما دولة مستمدة – كما أن الملك الحيثي وهو الملك الأكبر لم يحكم المجتمع الحيثي سيدا مطلقا ويكون له الكلمة الوحيدة وإنمـــا لابـــد أن ينال رضاء وموافقة مجلس النبلاء [البانكو] علـــــــى بعـــض القرارات التي كان يتخذها وتهـــم شئون الدولة في الداخل أو في الخارج (١) .

٢- مجـــلس النـــبلاء [الـــبانكو] كان طبقا لبنود الاتفاق الخاص بتأســـيس الدولـــة الحيثيه هو المختص وحدة باختيار الملك الأكبر ، وهذا المـــلك كـــان لابد أن تتوافر فيه شروط معينة حددها أعضاء هذا المجلس حـــتى يوافقـــوا على اختياره – وهذا الشروط وأن كانت لم تصل إلينا من خلال الوثائق الأثرية التي عثر عليها في بوغار كوي ، إلا أنها بالطبع لم تخرج عن الشروط التي كانت متبعة في المجتمعات الحضارية التي كانت تـــأخذ بهذا النظام في العالم القديم وعلى الأخص المدن الفينيقية وهي القوة والشـــجاعة والثراء والمكانة الرفيعة في المجتمع والحكمة ، وذلك باعتبار أن الحيثيين قد اقتبسوا نظام اختيار الحاكم من الفينيقيين نتيجة الاتصالات الـــتي تمت بينهما [كما سبق أن وضحنا من قبل] – والحالة الوحيدة التي كـــان مـــن الممكن للملك الأكبر أن يعين ابنه أو أحد أقربائه ليكون خليفته عـــلى العرش بعد وفاته ، هو أن يقدمه للمجلس حال حياته ، ويطلب من

(1) O. R. GURNEY – the Hittites harmondsworth – op . cit – pp 133 ets .

أعضـــاءه أن يقبلوه ملكا أكبر من بعده ، فإذا وافقوا كان يأخذ منهم وعدا مســبقا بذلك ، وهذا الوعد كان يدعم بحلف اليمين ، ويلبس صورة رباط مقدس باسم الآلهة حتى لا يخل أعضاء المجلس بهذا الوعد بعد وفاة الملك الأب .

ويقــول معظــم العلماء والمؤرخين بأنه على أساس هذه الحالة قد حــكى التاريخ بأن المجتمع الحيثي قد حكم في ظل الإمبراطورية القديمة بواســطة سلالة واحدة ، لأن كل ملك في عهد هذه الإمبراطورية كان يقدم ابنه أو أحد أقربائه للمجلس ، ويحصل على وعد من أعضاءه في أن يخلفه في الحكم بعد وفاته ، وأن هؤلاء الأعضاء كانوا يلتزمون بتنفيذ هذا الوعد ولــم يحدث أن أخلوا به في أي مرة من المرات ، وبسبب ذلك كان معظم ملوك الإمبراطورية الحيثيه القديمة من سلالة واحدة أو أسرة واحدة (١) .

٣- بعد أن يقوم مجلس النبلاء باختيار الملك الأكبر - كان يلــزم أن يقــوم هــذا الملك بعد اختياره بتلاوة قسم اليمين بالولاء للدولة وللحكم بــالعدل بيــن يدي أعضاء هذا المجلس ، كما كان يأخذ على نفسه العهد والميثاق بأن يلتزم تماما بحسن إدارة البلاد والدفاع عنها بكل قوة ضد أي عدو أجنبي (٢) .

---

(١) د . نور الدين حاطوم ، وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - مرجع سابق - ص ٢٦٢ .

(٢) د . محمــود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابـــق - ص ٣٤٤ .

٤- الملك الأكبر كان يعتبر أعظم رجل في الدولة الحيثيه – وكان يقيم في قصر ضخم جدا به عدد كبير من الخدم والموظفين والجنود الخصوصيين ، وهذا القصر كانت حجراته متسعة ومبانيه وأسواره كانت رائعة الشكل والجمال ، وتمثل قمة الفن المعماري في ذلك الزمان – وكان مقام على ربوة في مدينة [خطوش] العاصمة ، وهي التي يطلق عليها حاليا [بوغاز كوي] الذي عرفه اليونان باسم [هاليس] – وكان الملك يقيم في القصر بصفة دائمة ولا يخرج منه أو يراه الشعب إلا في المناسبات والأعياد الدينية أو في وقت الاحتفالات بالنصر أو في وقت إعلان الحرب حيث كان يتقدم صفوف الجنود ليبث فيهم روح القوة والشجاعة ... وكانت هناك عرى وثيقة تربط السلطة الملكية بالآلهة ، حيث وجدت نقوش تشير بأن الملك كان يستجدى بنبوءات عرافى الآلهة في بعض الأمور الهامة التي كانت تتعلق بالشئون العامة في الدولة – كما وجدت رسومات تمثل صور للآلهة وهي تقبل الملك وزوجته الملكة لكي تعطيها الخير والبركة والقدرة المتكاملة في تنظيم شئون الدولة بالعدل والحكمة [١] .

٥- طبيعة الملك الحيثي كانت في البداية وعلى الأخص في عهد الإمبراطورية القديمة مختلفة عن طبيعة ملوك الشرق ، إذ أن ملك الحيثيين

---

(1) A. Aymard et j . Auboyer – Histioire générale DES civilisations – op . cit – p 204 .

لــم يكــن يولــه حال حياته كفرعون مصر ، كما لم يكن نائبا للآلهة في الأرض مثل ملوك بلاد ما بين النهرين - وإنما كان يؤله بعد وفاته ، ومن ثــم لــم يكن يقال أن الملك قد مات وإنما كان يقال بأنه قد أصبح [ألها] وكــانت تقــام له عبادة خاصة ، وهي من نوع عبادة الأسلاف التي كانت تضــفي عــليه صفة الألوهية وتجعله بعيدا عن صفات البشر ... ومع مــرور الزمن اتجهة الملوك نحو تأليه أنفسهم لكي يصبحوا مذودين بمدد ألهــي ويشــبهون ملوك مصر الفراعنة ، وقد ظهر ذلك واضحا في عهد الإمبراطورية الحديثة حيث اتخذ الملوك لأنفسهم لقب [شمس] مثل الملك [شــوبيلوليوما] الذي صار يحمل اسم الشمس - ويقول بعض المؤرخين أن رســائل [تــل العمارنة] ورسائل الأمراء الكنعانيين أوضحت أن هذه التسمية قد أخذت من مصر الفرعونية حيث كان ابن رع هو إله الشمس - وأيضــا اتجهه هؤلاء الملوك إلى اتخاذ صفات ملوك بلاد ما بين النهرين بدايــة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث اعتبروا أنفسهم وسطاء بين الآلهة والبشر ، يستهدوا بالأحلام والمعجزات ، وبفضل قدرة الآلهة عليهم يأتون لشعب الحثيثين بالنصر والخير الكثير (١) .

٦- الملك الأكبر كان صاحب السيادة الدينية والمدينة والقائد الأعلى للجيوش الحيثية - ولكن هذه السيادة لم تتبلور بشكل متكامل وتعطيه منزلة

---

(١) د . محمــود الســقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابــق - ص ٣٤٤ .

صـاحب السلطة الملكية المطلقة كما كان لملوك مصر الفرعونية وبلاد ما بيـن النهرين ، والسبب في ذلك يرجع إلى وجود مجلس النبلاء [البانكو] حيـث كان يتدخل كثيرا في بعض الأمور الهامة التي تتعلق بشئون الدولة في الداخل أو في الخارج (كما سبق أن أشرنا) – وكان يعاون الملك في إدارة شـئون البلاد وفي تنظيم أوضاعها في الداخل والخارج مجموعة من الـوزراء كـان يخـتارهم غالبا من أفراد أسرته ، كما كان يعاونه أيضا مجموعة كبيرة من الأمراء ، يختارهم لكي يتولوا إدارة أقاليم الدولة الحيثية الشاسـعة ، وكان كل أمير يمارس أعماله في الأقلـيم الذي يتولى إدارته باسم الملك الأكبر ، لأن هذا الإقليم وكل الأقاليم الأخرى كانت تعتبر جزء لا يتجزأ من مملكة الملك الأكبر ، وبالتالي كان لا يجوز مطلقا أن يقوم أي أميـر كلف بإدارة إقليم معين بممارسة أي صور من صور السيادة الملكية عـليه – وهؤلاء الأمراء كانوا بمثابة حكام أو محافظين على الأقاليم التي تولـوا إدارتها وكانوا مسئولين مسئولية كاملة عن أمنها وسلامتها وضبط سـلوك أفـرادها إلى جانب توفير الاحتياجات اللازمة للدولة من داخلها ، ودعـم الجيـش الحيـثي بـالقوات العسكرية المدربة وبالأسلحة وبالمؤن والمعـدات والآلات اللازمـة لـلمعارك أثناء اندلاع أي حرب بين الدولة الحيـثيه وأي دولة أو مملكة أخرى، وبنتيجة لإصابة بعض هؤلاء الأمراء بالغـــرور ، وأعلنوا العصيان والتمرد على الملك الأكبر ، وحدث من خـلال ذلك فوضى واضطرات في أقاليم عديدة – قام ملوك الدولة الحيثية في فترات معينة باستبدال هؤلاء الأمراء بعض القضاء عليهم بحكـــام

عـــاديين يمكن عزلهم في أي وقت حسب رغبة الملك، الأكبر - وذلك بدلا من الأمراء ، لأن كل أمير كان بمجرد أن يقسم يمين الولاء بين يدي الملك الأكـــبر الذي يخوله إدارة إقليم معين ، كان لا يعزل مطلقا ، ويأخذ أيضا الضـــمانات التي تؤكد حق وراثة منصبه إلى أبنائه بعد أن يموت ويرحل عن الدنيا (١) .

٧- كان يوجد تعارض تام بين نظام الحكم في الدولة الحيثية ونظام الحكـــم في الأقاليم التابعة لها - حيث أن الأول كان بالاختيار والثاني كان بالوراثـــة وأنـــه بسبب هذا التعارض كان يحدث في فترات عديدة مشاكل وخلافـــات بيـــن الملك الأكبر الجديد وحكام الأقاليم الذين عينوا بأمر من الملك الأكبر السابق ، حيث كان الملك الجديد يعتقد بأنهم لا يمكن أن يدينوا لـــه بالولاء مادام لم يعينهم ، ولذلك كان عندما يحاول عزلهم وتعين أمراء مـــن أفـــراد أســـرته بـــدلا منهم ليدينوا لـــه بالولاء ، كان يحدث مشاكل واضطرابات في هذه الأقاليم لرفض هؤلاء الأمراء تنفيذ أمر العزل كما أن بعضـــهم كان يعلن التمرد والعصيان ، ويدخل في حرب إقليمية مع الملك الأكبر - ويقول معظم المؤرخين بأن هذه المشاكل والاضطرابات قد ولدت صراعات عنيفة بين حكام بعض الأقاليم والسلطة المركزية في العاصمة ، وأن هذه الصراعات كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى تضعضع الدولة

---

(1) L. Delaporte – les Hittites .... Op . cit – pp 180 ets .

الحيـــثيه وأصــــابتها بالضــــعف والانهيــــار حتى تم محوها من صفحات التاريـــــخ (١) .

٨- كـــان يحـــق للمـــلك الأكـــبر أن يستثمر مساحات شاسعة من الأراضي ويحصل مباشرة على عائدها ويضمه لحسابه الخاص – كما كان من حقه أيضا أن يفرض أعمال السخرة على جميع أفراد عامه الشعب من أجل إنجاز بعض المشروعات الكبرى في الدولة مثل شق الترع والقنوات وإقامـــة الســـدود ، واستصلاح بعض الأراضي وتمهيد تربتها حتى تكون صـــالحه لـــزراعة المحاصيل المختلفة ، وإنشاء طرق ممهدة بين الأقاليم الـــتابعة لـــلدولة الحيـــثية ، إلى جـــانب عمليات التنقيب عن المعادن في الصحارى وفوق تلال الجبال – ويقول بعض المؤرخين بأن الملك الأكبر فقط هو الذي كان يملك وحده سلطة فرض أعمال السخرة وليس لأعضاء مجـــلس [الـــبانكو] أي دور فـــي ذلـــك ، كما أن حكام الأقاليم كانوا لا يســـتطيعون فـــرض أعمال السخرة إلا بناء على أوامر من الملك الأكبر شخصـــيا ولفـــترة محدودة فقط ، وذلك حتى لا يمارسون أي صورة من صور السيادة الملكية (٢) .

٩- الملك الأكبر كان يعتبر هو المشرع الأول بلا منازع في الدولة الحيـــثيه ٠ حيث كان يقوم بسن بعض القوانين ويبلغها لوزيرة الأول الذي

---

(1) R. Dussaud – les Religions des Hittites .... Op . cit – pp 127 – 128 .

(2) O. R. GURNEY – the Hittite Harmond sworthe – op . cit – pp 172 – 173 .

كـــان بجانـــبه دائما في القصر لكي يتلقى أوامره وتعليماته ليعلنها لأفراد الشعب – كما كان يعتبر أيضا القاضي الأعلى في الدولة ، وينظر بصفته القضـــايا الكـــبرى الجنائية والمدنية والسياسية ، إلى جانب قيامه بفحص الدعـــاوى الـــتي كـــانت تقـــام ضد أصحاب المناصب العليا في الدولة ، والمـــنازعات الـــتي كانت تقوم بين اتباعه – أما في القضايا والخصومات فكـــان يتولى أمر الفصل فيها أعضاء مجلس النبلاء [البانكو] ، بالإضافة إلى قضاة الدولة الذين كانوا أيضا تابعين للملك الأكبر شخصا [١] .

١٠- مجلس النبلاء [البانكو] كان في بداية ظهور الدولة الحيثيه واختيار أول ملك لها في تاريخ عصورها القديمة – يتكون فقط من رؤساء القبائل الذين وافقوا على الاتحاد في كيان سياسي واحد وقيام هذه الدولة ، وكـــانوا في نفس الوقت يمثلون أكبر الإقطاعيين في المجتمع الحيثي – ثم مـــع مرور الزمن أصبح يضم أيضا مجموعة من الأمراء من أفراد أسرة المـــلك الأكـــبر – وعـــلى أثر هذا الوضع كان يحدث في بعض الأحيان نزاعات وصراعات عنيفة داخل هذا المجلس بين كبار الإقطاعيين وأمراء الأســـرة المالكة ، لأن أمراء الأسرة المالكة كانوا يؤيدون دائما كل أوامر وتصـــرفات الملك الأكبر في حين كبار الإقطاعيين الذين يمثلون الأعضاء الأساسيين في هذا المجلس ، كانوا في بعض الأحيان لا يؤيدون مطلقا كل

---

(١) د . محمـــود الســـقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابـــق – ص ٣٤٥ .

الأوامر والتصرفات التي تتعارض مع مصالحهم أو لا تحقق لهم أي فائدة وأمـــام هـــذا الخلاف كان ينقسم أعضاء المجلس على بعضهم ، ثم يحتدم بينهم مشاكل ومنازعات عديدة وفي ذلك يقول بعض المؤرخين - أنه نتيجة وجـــود طائفتين من أعضاء مجلس النبلاء [البانكو] ، الأولى من زعماء القـــبائل ، والـــثانية من أمراء الأسرة المالكة ، وكانت مصالح كل طائفة تتعارض في بعض الأحيان مع مصالح الطائفة الأخرى ، وهذه التعارض كـــان يولـــد مشاكل ومنازعات وصراعات عنيفة داخل المجلس ، فإن هذا كان يعتبر من مساوئ التنظيم السياسي في الدولة الحيثية ومن أهم الأسباب الـــتي ســـاعدت عـــلى هدم الكيان السياسي لهذه الدولة وزوالها من على مســـرح التاريـــخ [١] .

١١- إذا كان نظام مجلس النبلاء[البانكو] ليس من ابتكار المجتمع الحيـــثي وإنمـــا هو [كما سبق أن أشرنا] نظام مقتبس من المدن الفينيقية اهتدى إليه رؤساء القبائل الحيثية عند اتفاقهم على الاتحاد في كيان سياسي واحد وتأسيس دولة ذات سيادة بعد أن وجدوا باليقين أنه أوفق نظام يمكنهم مـــن أن يحـــتفظوا بكيـــانهم ومكانتهم وبكل ما كانوا يتمتعوا به من حقوق وامـــتيازات فـــإن الحقائق التاريخية تثبت أيضا بأن هذا النظام لم يكن في الأصـــل من صنع المدن الفينيقية وإنما اقتبسته أيضا هذه المدن من جزيرة

---

(1) B. HROZNY – sur un eachet Hittites …. Op . cit – pp 132 – 134 .

كريت ، لأن الحاكم الكريتي

كــان مــلكا كاهــنا ويحمــل لقب المينوس ويتم اختياره من خلال مجلس الإشراف الذي يعادل في وظائفه مجلس الشيوخ في المدن الفينيقية ومجلس النــبلاء [البانكو] في الدولة الحيثية – وهذا الاختيار كان يتم عن طريق القــرعة ومن ترسي عليه القرعة يقال عنه أنه قد تم اختياره حسب مشيئة الآلة [زيوس] ، وكان يظل في الحكم لمدة تسع سنوات ، فإذا كان عادلا وإدارته صالحة فإن الآلة[زيوس] يرضى عنه ويحكم تسع سنوات أخرى إما إذا كان عكس ذلك فإنه بمجرد أن تنتهي فترة حكمه كان يختار بالقرعة أيضا ملكا آخر بدلا منه [١] – وبالتالي فإن نظام المجالس التي تشارك في إدارة شــئون الدولة أو المملكة وفي اختيار الحاكم هو نظام قديم جدا رغم أنه من أرقى أنظمة التنظيم السياسي في الدول الحديثة الموجودة حاليا في الزمن الراهن .

١٢- كان الملك الأكبر يحترم مكانه أعضاء مجلس النبلاء [البانكو] وبالحصانة التي كانوا يتمتعون بها – كما كان يحترم مكانه الكاهن الأعظم باعتــباره أكبر شخصية دينية في المجتمع – وبعد أن اتسعت حدود الدولة الحيــثيه كــان المــلك يحترم أيضا الأمراء الإقطاعيون الغير أعضاء في المجــلس ، ويعقد معهم اتفاقات خاصة يضمن لهم فيها ولذريتهم السيطرة عــلى الأراضي التي كانت تقع تحت أيديهم مقابل أن يقدموا لــه فروض الولاء والطاعة .

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p 271 .

١٣- أعضاء مجلس [البانكو] كانوا حريصين جدا على عدم ترك الملك الأكبر أو الابتعاد عنه – ولذلك كانوا دائما بالقرب منه ويشاركونه في أمور عديدة في إدارة شئون الدولة ، وعلى الأخص السلطة القضائية حيث اتسعت وظائفهم فيها لدرجة أنهم كانوا في بعض الأحيان يفصلون في جميع الدعاوى حتى لو كان أطرافها من أقرباء الملك نفسه (١) .

---

(1) A. AYMARD et j . Auboyer – Histoire général des civilisations – op . cit – pp 204 – 206 .

المبحث الثاني

أهم الأحكام الخاصة بتكوين المجتمع الحيثي

****

أكدت الوثائق التاريخية التي عثر عليها علماء الآثار ضمن مخلفات الحضـــارة الحيثية في [بوغاز كوي] وفي بعض المناطق التي تقع حاليا في تركيا وفي أقصى شمال سوريا - بأن المجتمع الحيثي كان في عصوره القديمـــة وعلى الأخص بعد أن أصبح له دولة كبرى ذات سلطان وسيادة ، قائما على نظام تعدد الطبقات ، وأن أحكام القوانين الحيثية قد ارتبطت بهذا النظام إلى أن زالت الحضارة الحيثية من الوجود - حيث كان أفراد الطبقة الأعــلى لهم حقوق وامتيازات أكثر من أفراد الطبقة على تليها مما أحدث فجــوات عميقـــة بيـــن أفراد الشعب [١] - ومن استقراء الوقائع والأحداث التاريخية يتضح أن المجتمع الحيثي كان مقسم طبقيا على النحو الآتي :

* الطبقة الأولى [طبقة النبلاء] :

وكـــانت تضـــم كبار رجال الدولة الأرستقراطيين الذين كانوا يلو الملك الأكبر في المرتبة ، وهم كانوا عبارة عن أعضاء مجلس النبـــــلاء [البانكو] ، والأمراء أعضاء أسرة الملك الأكبر - وكانت لهم مكانة عليا في المجتمع ، ويساعدون الملك في إدارة شئون الدولة الداخلية والخارجية، وبعضهم كان يحكم بتفويض من الملك بعد الأقاليم والمناطق التابعة للدولة

---

(1) R. J. BRAIDWOOD – the Near East .... Op . cit – p . 191 .

دون أن تكون للملك عليه سلطة الإدارة المباشرة – ولذلك كان لأفراد هذه الطبقة نفوذ كبير جدا داخل الدولة ، وتمتعوا بكافة الحقوق والامتيازات التي قد يصعب حصرها إلى جانب تمتعهم بالحصانة الكاملة في كل أفعالهم وتصرفاتهم [١] .

– وبعد أن تم تثبيت النظام الأرستقراطي داخل المجتمع الحيثي إلى جانب النظام الإقطاعي – قد أصبح أفراد هذه الطبقة يمثلون أكبر النبلاء الأرستقراطيين في كافة أرجاء الدولة الحيثية ، وأخذوا صفات في حياتهم كانت غير موجودة من قبل في أثرياء كل القرى والمدن الحيثية – لأن كل فرد في هذه الطبقة قد أصبحت مشاغله محدودة جدا ، فلم يكن في مقدوره أن يعمل في الأرض بنفسه حتي لا يحط من قدره ، أو يعمل في أي عمل صناعي أو تجاري حتى لا يهين من كيانه – وإنما اقتصر أداءه فقط على تربية الخيول والصيد في الهواء الطلق ، والنظر في بعض الأمور الهامة التي تتعلق بشئون الدولة في الداخل أو في علاقاتها الخارجية مع الدول الأخرى – وكل نبيل أرستقراطي كان لا يتزوج إلا من طبقته فقط ليضمن المركز الشرعي الصحيح لنسله ، وكان يحق له أن يتزوج بأكثر من زوجة واحدة كما كان من حقه أيضا أن يكون له عدد من المحظيات .

– وفي عهد الإمبراطورية الحديثة ازداد نفوذ أفراد هذه الطبقة داخل المجتمع الحيثي أكثر ما كان عليه من قبل ، وذلك نتيجة قيام الملك

---

(1) A. T. olmstead – History of assyria – op . cit – p 192 .

الأكـــبر بمـــنحهم ثقـــة ضخمة تفوق بقدر كبير جدا الثقة التي كان يعطيها لورثـــته الشـــرعيين ، وعلى هذا الأساس قد أطلق على أفراد هذه الطبقة الملوك الصغار – وأنه بسبب ازدياد هذا النفوذ قد تولدت أوضاع سيئة نتج عـــنها انتشار الفوضى والانحلال والاضطرابات وعدم الاستقرار مما أدى إلى سرعة انهيار الدولة الحيثية واختفاء وجودها في أسيا الصغرى [١] .

الطبقة الثانية [طبقة الكهنة] :

وهي التي كانت تضم كبار رجال الدين – الذين كانوا يشرفون على أعمـــال العبادات والطقوس وكافة المراسم الدينية إلى جانب قيامهم بأعمال السحر والشعوذة والجدل .

وكل أفراد هذه الطبقة كانوا يتمتعون بكافة الحقوق العامة والخاصة كمـــا كانت تمنح لهم امتيازات ضخمة من الملك الأكبر لينال رضائهم عند الآلهة إلى جانب احتكار أبنائهم لشغل الوظائف الهامة في الدولة التي كانت تلي وظائف أفراد الطبقة الأولى .

*** الطبقة الثالث [طبقة الإقطاعيون الاتباع] :**

وكـــانت تضـــم الأثـــرياء الذين كانوا يملكون مساحات شاسعة من الأراضـــي الـــزراعية ، ويســـيطرون بـــنفوذهم وقوة إتباعهم على بعض المناطق التابعة للدولة .

---

(1) H. FRANK PORT – the birth of civilization in the near east – op . cit – p . 148 .

– وهؤلاء الأفراد كان معظمهم من الإقطاعيين الجدد الذين ظهروا وتضـــخمت ثـــرواتهم مع اتساع نفوذ الدولة الحيثية ، لأنهم كانوا من قبل أفـــراد عـــاديين مـــن أصحاب الأملاك البسيطة أو المحدودة ، ثم انتهزوا الفرصة وتوغلوا في الاستيلاء على الأراضي وفي استغلال جهود الآخرين حـــتى أصبحوا أثرياء ويدخلون ضمن طائفة الإقطاعيين ، وأن كانوا من حيـــث المكانـــة والـــثراء والـــنفوذ أقل بكثير جدا من أفراد الطبقة الأولى الإقطاعيون الأرستقراطيون .

– وقد تمتع أفراد هذه الطبقة الذين كانوا أسياد في إقطاعياتهم بكافة الحقوق العامة والخاصة إلى جانب تمتعهم ببعض الامتيازات الخاصة التي كـــانت تمـــنح لهم من الملك شخصيا لكي يحصل على ولاءهم وطاعتهم، ويلتزموا بعدم عصيان أوامره أو التمرد عليه في أي فترة من فترات حكمه وسيطرته على كافة أرجاء البلاد [١] .

* الطبقة الرابعة [طبقة قادة الجيوش] :

وهي كانت تضم رؤساء فرق الجيوش الحيثيه، حيث كانوا يتمتعون بكافة الحقوق العامة والخاصة إلى جانب بعض الامتيازات التي كانت تمنح لهم من الملك شخصيا أو من أفراد الطبقة الأولى أعضاء مجلس النبـــلاء [الـــبانكو] تقديـــرا لما قاموا به من بطولات في الحروب والفتوحات –

---

(1) V. G . CHILDE – New right on the most ancient east – op . cit – p . 361 .

ورغم أن هذه الامتيازات كانت أقل من الامتيازات التي كانت تمنح لأفراد الطبقة الثالثة إلا أن كثيرا من قادة الجيوش كانوا يعاملون على أنهم أمراء بعد أن يكونوا قد حققوا انتصارات عديدة في المعارك الحربية [١] .

الطبقة الخامسة [طبقة المحاربين] :

وهي كانت تضم المحاربين المحترفين فقط الذين كانوا يمثلون القوة الأساسية في فرق الجيوش الحيثيه – وذلك لأن المجتمع الحيثي كان مجتمع حــربي – والمجتمع الحربي لابد أن يبرز فيه دور هؤلاء – ولذا فقد كون المحاربين المحترفين في المجتمع الحيثي الطبقة الوسطى – وأن كانوا في ذات الوقــت يؤلفــون قــوام الجيش الحيثي ، ويأخذون مقابل ذلك بعض الأراضـــي الـــتي كـــانت تستقطع من أراضي القصر الملكي لكي يقوموا بزراعتها ويحصلوا على عائدها فقط دون أن يتملكوها ، أي كان لهم حق اســتغلالها فقط لأن ملكية الرقبة كانت للملك – وقد جرى العمل على أن يــلحق بكــل محـــارب [تابع] لكي يقوم بعناية الأرض وزراعتها وجنى محصولها حال غياب سيده المحارب أثناء الحروب والفتوحات [٢] – وكان باستطاعة أي محارب محترف أن يرقى ويحصل على درجة قائد إذا أحرز بطولات في المعارك الحربية كما كان في إمكانه أيضا أن يصبح من كبار

---

(1) H . G. wells – A short History of the world – op . cit – p 81 .

(٢) د . محمــود الســقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابــق – ص ٣٥٥ .

قـــادة الجيوش إذا كان من أصحاب الكفاءة والمهارة في العمليات الحربية ويدخل ضمن أفراد الطبقة الرابعة ويحصل على الحقوق والامتيازات التي كانت مقرره لها من الملك شخصيا أو من أعضاء مجلس النبلاء [البانكو] بدون أي تفرقه على الإطلاق .

الطبقة السادسة [طبقة العامة] :

وكـــانت تـــتكون من العمال والفلاحين والصناع وأصحاب المهن المختـــلفة – وهؤلاء كان لا يوجد بينهم من يملك أي مساحة من الأراضي الـــزراعية – وكانوا جميعا لا يتمتعون إلا بالحقوق المدنية فقط – كما كان يطـــبق عـــليهم بدون أي استثناء نظام السخرة بناء على أوامر من الملك الأكبر فقط .

الطبقة السابعة [طبقة العبيد] :

وهـــي كانت تضم أسرى الحروب، والذين استرقوا بسبب الدين ، وممن ولدوا أرقاء إلى جانب الذين حكم عليهم بعقوبات جنائية بأن يصبحوا أرقـــاء ، وممـــن دخلوا هذه الطبقة عن طريق الزواج – والنظام القانوني لـــلدولة الحيثية لم يوضح تفصيليا وضع الأرقاء في المجتمع الحيثي ، بل تناولته بعض النصوص في مواضع متفرقة – ولذا كان الوصول إلى حقيقة وضـــعهم القانوني ، وبيان ما إذا كانت لهم حقوق من عدمه – قد جاء من خلال تجميع هذه النصوص إلى جانب ما تم الاهتداء إليه في محتويـــــات

المصادر التاريخية المختلفة عن الحضارة الحيثية [١] - وفي ضوء فحص هـذه النصوص والنظر بدقة إلى ما جاء بالمصادر التاريخية يتضـح بكـل تـأكيد أن أفراد طبقة العبيد كانت لهم بعض الحقوق على الأسـاس الآتي :

١ - نظم القوانين الحيثية كانت تتشابه مع نظم قوانين بلاد ما بين الـنهرين الـتي كانت تعطي بعض الحقوق للعبيد ، مثل حق التملك وحق البيع والشراء في حالات معينيه وحق تكوين أسرة .

٢ - أحكام القوانين الحيثية كانت أخف وطأة وأكثر لينا من أحكام قوانيـن بـلاد مـا بين النهرين التي تمثلت معظمها في قانون حمورابي وبالـتالي ليـس من المعقود القول بأن القانون الأشد يمنح بعض الحقوق للعـبيد ، والقـانون الأخف منه في الشدة لا يمنح أي حقوق للعبيد ، وإنما العكس هو الصحيح [٢] .

٣ - مضـمون نـص المادة ٣٥ في المجموعة القانونية الأولى ، ونـص المـادة ١٧٥ فـي المجموعة القانونية الثانية ، يستبان منهما بأن الزواج بين الأحرار والعبيد كان جائزا ويرتب آثارا قانونية معينيه ، رغم أن معظـم المجـتمعات الحضارية التي كانت تعاصر فترة تألق المجتمع

---

(1) O. R. GURNEY – the Hittites harmandsworth – op . cit – pp 143 ets .
(2) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p 245 .

الحيثي كانت لا تجيز هذا الزواج مطلقا ٠

٤ – نص المواد ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ بالمجموعة القانونية الأولى والتي تتعلق بزواج العبد زواجا شرعيا من عبده مثله أو من حرة ، وقيامه قبل إتمام هذا الزواج بدفع مبلغ من المال يمثل صداق الزواج الذي أطلق عليه [**الكوزاتا** – Kusata] يفيد تماما وبكل تأكيد بأن العبد الحيثي كانت له ذمة مالية مستقلة عن ذمة سيده ، لأنه كان مثل الحر تماما يدفع من ماله الخاص [الكوزاتا] – وأيضا في الحالات التي كانت يحكم فيها على العبد بعقوبة مالية مثل [ما جاء في نصوص المواد ٧ ، ٨ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٩ بالمجموعة القانونية الأولى ، ونصوص المواد ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ بالمجموعة القانونية الثانية] – فقد كان ملزما بأن يدفع هذه الغرامة من ماله الخاص ، الأمر الذي يشير أيضا بأن العبد كان يتمتع بذمه مالية مستقلة ٠

٥ – العبيد لم يقفوا في مجموعتهم على قدم المساواة ، بل كانت صفة السيد ومركزه الاجتماعي تضيفان امتيازا خاصا على الأرقاء التابعين له ٠ ولذا كان عبيد الملك الأكبر لهم حقوق تفوق كل الحقوق التي كانت مقررة لكل عبيد المجتمع الحيثي – وعبيد أفراد الطبقة الأولى وهي طبقة النبلاء أو طبقة الملوك الصغار ، كانت لهم حقوق أكثر من حقوق عبيد كبار رجال الدين – وعبيد رجال الدين كانت لهم حقوق أكثر من عبيد الإقطاعيون الإتباع ٠٠٠ وهكذا ٠٠٠٠ وبالتالي كان يوجد تدرج في حقوق العبيد مرتبط بالتدرج الخاص بالنظام الطبقي ٠

٦ - أحكـــام النظام القانوني الحيثي قد نظرت إلى العبد واعتبرته إنســـانا عكـــس الكـــثير مـــن الشـــرائع القديمة وعلى الأخص الإغريقية والرومانية التي اعتبرت العبيد عموما عبارة عن أداة ناطقة وليس لهم أي حقوق على الإطلاق - وهذه النظرة الإنسانية تظهر بوضوح في نصوص عديـــدة ، فقد حمى المشرع وجود العبد وحياته في المجتمع الحيثي - وإذا أصيب بأذى أو اعتدى عليه أحد كان يترتب جزاء على هذا الأذى أو على هـــذا الاعتداء ، وكأنه اعتداء على إنسان حر ، ولا يختلف عنه سوى أن الجزاء في حالة الاعتداء على العبد كان أقل من الجزاء في حالة الاعتداء على الحر [١] .

- وترتيـــبا على ذلك ، فإنه بالرغم أن النظام الطبقي في المجتمع الحيثي كان لا يوجد فيه نفس التزمت الموجود في النظام الطبقي الذي كان سائدا في كل من بلاد ما بين النهرين والهند والصين .

إلا أنـــه بسبب وجود تفاوت كبير في الحقوق والواجبات بين أفراد كـــل طبقة وأخرى ، وهذا التفاوت قد أولد فجوات عميقة بين هذه الطبقات لم يتم تحجيمها بضوابط محددة قد أنهار المجتمع الحيثي وزال من الوجود ولذلـــك يشـــير بعض المؤرخين بأن النظام الطبقي كان من أهم الأسباب الرئيســـية التي عجلت بانهيار وفناء الدولة الحيثية حيث أحدث إمام ضعف

---

(١) د . محمـــود الســـقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابـــق - ص ٢٥٦ - ٢٥٩ .

واستهتار بعض الملوك تصدعا واضطرابا مستمرا في كيان المجتمع ، وخاصة من جانب أفراد الطبقة الأولى الذين كانوا دائما في تنافس شديد للاستئثار بأكبر قدر من الامتيازات والحصول على كل المراكز الهامة بالدولة وبما أن هذه الأمور لم تحسم بجدية أو من خلال نظم قانونية محددة ، فقد دب الانحلال والاضمحلال في كيان الدولة حتى انهارت تماما وزالت عظمتها الحضارية قصيرة العمر من الوجود منذ أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد (١) .

---

(1) L. Delaporte – les Hittite – op . cit – pp 185 ets .
- G. contenau – la civilisation des Hittites .... Op . cit – pp 170 ets .
- A. AUMARD et j Auboyer – Histoire Général des civilisations – op . cit – pp 204 – 205 .

- د . محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٣٥٥ – ص ٣٥٩ .

- د . نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – مرجع سابق ص ٢٦٧ .

المبحث الثالث
أهم الأحكام الخاصة بالعلاقات الخارجية للدولـــة الحيثيـــة

****

أقامت الدولة الحيثية بعد أن أصبحت ذات قوة ونفوذ في منطقة أسيا الصغرى علاقات عديدة ومتنوعة مع معظم الدول والإمبراطوريات الكبرى والمدن المستقلة التي كانت تعاصر وجودها في العالم القديم وعلى الأخص الـــتي كانت متألفه حضاريا في منطقة جنوب غرب أسيا والشرق الأوسط مثل بلاد ما بين النهرين والمدن الفينيقية المستقلة ومصر الفرعونية ، وهذه العلاقـــات قـــد ســـاعدتها على أن تتطور بشكل هائل في الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى جانب الشئون الدينية والثقافية بداية من القرن الســـابع عشـــر قبل الميلاد ، حيث أبرمت من خلالها معاهدات وتحالفات عديدة بلورة أساس كيانها السياسي والحضاري في تلك المنطقة ، وجعلتها تدخـــل فـــي فلك الإمبراطوريات الكبرى ، وتتنافس أكبر قوتين في الشرق وهمـــا مصـــر الفـــرعونية وبـــلاد مـــا بين النهرين ، لأن هذه المعاهدات والـــتحالفات كـــانت خير سند لإظهار سيادتها ، ولامتداد قوتها ونفوذها في الشرق القديم .

وقـــد عثر ضمن الوثائق التاريخية للدولة الحيثية على صور عديدة للمعاهدات والتحالف التي أبرمتها مع بعض الدول والإمبراطوريات القديمة وحـــتى نوضح أبعادها ومدى ما ترتب عليها من آثار سنعرض موجز عن أهم أنواعها على النحو التالي :

أولا : معاهدات صلح وسلام وتآخي :

حيـث أن الدولـة الحيثية قد دخلت في حروب عديدة وشرسه مع جيـوش بعض الدول والإمبراطوريات القديمة ، فقد كان يحدث في مرات عديـدة انبـثاق أشعة السلام ، أما بعد انتهاء هذه الحروب أو أثناء اندلاع لهيـبها وهـذا الانبثاق قد تمثل في عقد معاهدات صلح وسلام وتآخي بين الـدول الحيثية والدول الأخرى التي دخلت معها في هذه الحروب ، وذلك مـثل المعـاهدة التي أبرمتها مع مصر الفرعونية في عام ١٢٨٠ ق٠ م ، وعثر على نصوصها بطريق الصدفة العالم الأثري [وينكلر] عام ١٩١٦ ضـمن الوثائق التاريخية التي اكتشفت في [بوغار كوي] كما عثر أيضا على أصلها المدون بالخط المسماري ضمن رسائل [تل العمارنة] ، وهذا الأصـل قد ترجم إلى اللغة المصرية القديمة وثم تدوينه على جدران معبد الكرنك ومعبد الرمسيوم بطيبة (١) .

وأحداث إبرام هذه المعاهدة [كما سبق أن أشرنا في الباب الأول] ترجع إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، حيث دارت حروب طاحنة بين جيـوش مملكتي مصر والحيثين في شمال سوريا استمرت حوالي عشرين عامـا ، ومـن أهـم ملاحمهـا الفاصلة والأخيرة معركة قادش على نهر الأورنـت وبالقرب من مدينة حمص بسوريا ، حيث انتهت بانتصار ساحق لـلجيش المصري بقيادة الملك رمسيس الثاني على جيش الحيثيين وقائدهم

---

(1) Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p 246 .

الملك [**حاتشويل الثالث**] ويطلق عليه أيضا في بعض المراجع[**خيا تيسير الثالث - Khatisir**] الذي قام بعد أن دمرت قواته بإرسال وفـــــــدا من أخلص رجاله إلى الملك المنتصر رمسيس الثاني ، ليطلب منـــه الصلح ، وعقـــد معـــاهدة سلام وتآخ بين شعبي المملكتين من أجل حقن الدماء ، وإنهـــاء كـــل المنازعات والمشاكل القائمة بينهما [١] - وبعد أن وافق ملك مصر على ذلك ، تم عقد الصلح ، وأبرمت في عام ١٢٨٠ ق ٠ م معاهدة **هـــوزيـــليت [Housilitt]** الـــتي أحتوت على تسع عشر مادة ، ومقدمة تضـــمنت ما يفيد بأنها قد عقدت بين[**حاتشويل الشجاع بن ميراسار**] **ملك** الحيثيين (طرف أول) **ورمسيس الثاني** ملك مصر الأعظم (طرق ثان) وقـــد دونت هذه النصوص والمقدمة باللغة المسماوية البابلية على لوح من الفضة وترجم الأصل إلى اللغة المصرية [الهيروغليفيه] وتم نقشهما على جـــدران معـــبد أمـــون بالكرنك ، ومعبد الرمسيوم بطيبة - وباركت هذه المعـــاهدة إلهة المملكتين بعد أن أخذت صفة الشاهدة والضامنة على تنفيذ نصوصـــها وصـــب اللعـــنة والخـــراب والدمـــار على من يقوم بمخالفه إحكامهـــــا [٢] .

---

(١) د ٠ عـــلى عـــلى منصور : الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام - طبعة ١٩٦٢ - القاهرة ص ٢٢ ٠

(٢) د ٠ محمـــود السقا : تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابـــــق - ص ٣٤٨ ٠

ومن أهم ما جاء في نصوص هذه المعاهدة يتلخص في الآتي :

١ – أن يــتم الصــلح الكــامل ، ويسود السلام الشامل ، والأخوة الصــافية بيــن شعب مصر وشعب الحيثيين إلى الأبد – والقضاء على كل العوامــل الــتي تــؤدي إلى حــدوث مشاكل أو منازعات بينهما من البدء للنهايــة .

٢ – الــتزام كل من ملك مصر وملك الحيثيين بعدم قيام أحدا منهما بغــزو أو احتلال أرض الأخر أو الاعتداء على شعبه تحت أي ظرف من الظروف أو أي سبب من الأسباب .

٣ – تعهــد كل ملك للآخر بأن يمد لــه يد العون وكل المساعدات اللازمــة من جيوش وأسلحة في حالة إذا ما تعرض لهجوم من جيش دولة معادية أو من قبائل بربرية وذلك لكي يناصره في القتال حتى يقضي على أعداءه .

٤ – الــتزام كــل مــلك أمــام الأخر بأن يتعاونا سويا في كافــة المجــالات ويقومــا بحل ما يحدث بينهما من مشاكل أو منازعات بالطرق السليمة .

٥ – تعهــد كــل ملك بأن يعامل شعب الآخر معاملة حسنة ومليئة بالود والسلام والرحمة .

٦ – التزام كل ملك بأن يقوم بضبط كل الأشقياء والخطرين التابعين

للملك الآخر إذا فروا من بلاده ، ودخلوا أرضه ، وذلك لكي يقوم بعد ذلك بقيدهم وتسليمهم إليه لينالوا عقابهم الرادع بين أفراد شعبهم ٠

٧ – تعهد كل ملك أن يقوم بطرد السياسيين المعاديين للملك الآخر، ويرفض مطلقا أن يأويهم داخل بلاده مهما كانت مكانتهم ٠

٨ – التزام كل ملك باسم الإلهة ذكورا وإناثا ، بأن من يقوم برده من الأشخاص إلى أرض الأخر ، لا يقوم أحدهما بمعاقبته على عمله بهربه أو فراره أو خروجه بدون إذن – بأن يهلك ويدمر بينه أو تقتل زوجته أو أولاده أو يذبح أو ينكل به مثل قلع عينه أو صم إذنيه أو قطع لسانه أو بتر قدميه أو حرق جزء من جسده ، أو إلحاق ضرر به في معاشه أو أمواله – وإنما يجب إلا يعاقب ولا يلحق به أي ضرر أو عمل غير إنساني – ومن يخالف ذلك سيلحق به لعنه الإلهة ذكورا وإناثا ٠

٩ – اعتراف الشعبان المصري والحيثي بسلطان ونفوذ وعظمة الملكين رمسيس الثاني وحاتوشيل الثالث ٠

١٠ – تعهد الشعبان المصري والحيثي على ضرورة الأحياء المستمر لعلاقات الود والمحبة التي كانت قائمة من قبل بين الدولتين وأن يعملا سويا بروح مليئة بالعدالة والأخوة الجامعة للقضاء على كل ما يعكر صفو السلام والود والمحبة في المستقبل ٠

وعــلى هــذا الأساس فقد اشتملت هذه المعاهدة على صور عديدة للعلاقات الدولية ذات الطابع الإنساني التي ستتبع بين المملكتين بعد نفاذها ، وأهمها يتلخص في الآتي :

١ – تعتــبر بمثابة صلح دائم وعهد دولي لنبذ المشاكل والمنازعات والحروب ، ونشر السلام بين المملكتين إلى الأبد ٠

٢ – تمــثل تحالف دفاعي وهجومي دائم بين المملكتين وغير محدد المدة ٠

٣ – تضــمنت نصوصــا تشير إلى تجديد معاهدات الصداقة التي كــانت قائمــة بيــن الدوليــتين قبل أن يحدث بينهما المشاكل والمنازعات والحروب ، وكانت هذه المعاهدات تقضي بالامتناع عن الحرب ٠

٤ – رســمت طــريق التعاون بين الشعبيين المصري والحيثي في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٠

٥ – تضمنت قواعد أخلاقية وإنسانية عبرت بكل وضوح عن روح الحب والمودة التي يجب أن تسود بين الشعب المصري والشعب الحيثي في المستقبل وبصفة دائمة ٠

٦ – اشــتملت عــلى نصوص وأحكام تنظم طرق تسليم اللاجئين السياسيين ، والمجرمين الخارجين عن القانون من رعايا الدولتين، دون أن

يمس أحدهم بسوء – واعتبر ذلك من ضمن البوادر الأولية للعرف الدولي الخاص بقواعد تسليم المجرمين لدولهم ٠

٧ – احتوت نصوصا تشير إلى الوسائل التي يجب أن تتبع في فض الخلافات أو المنازعات التي يمكن أن تقع بين المملكتين في المستقبل بالطرق السليمة عن طريق المفاوضة أو الوساطة أو التحكيم ٠

وفي ضوء ذلك فإن هذه المعاهدة قد تضمنت مجموعة من التعاهدات الخاصة بالصلح والسلام والتحالف الدفاعي والهجومي وطرق تسليم المجرمين السياسيين والجنائيين ، وكيفية حل المنازعات بالطرق السليمة وهي لا تختلف مطلقا في أساسها الفني والقانوني عن صور المعاهدات الدولية التي عقدت في العصور الحديثة – بل أن بعض نصوصها قد تضمنت ما هو أرقى أخلاقيا وإنسانيا من كل نصوص معاهدات السلام التي أبرمت بعد الحرب العالمية الأولى والثانية ٠٠٠ ولذلك فقد حققت هذه المعاهدة أهداف عديدة للملكتين ، حيث انتشر السلام الدائم بينهما فترة طويلة من الزمان ، مما ساعد على ازدياد روابط الود والمحبة والتآخي بين الشعب المصري والشعب الحيثي – وكان بداية صور السلام والتعاون والصفاء الذي أرسته ودعم كل السبل التي فتحت الطريق لاستقرار العلاقات الطيبة بينهما – هو قيام ملك مصر بعد نفاذ هذه المعاهدة مباشرة بإرسال سفينة محملة بكميات ضخمة من الغلال إلى ملك الحيثيين لتساعده على مواجهة الحاجة في بلاده ، ثم قيام الملك رمسيس الثاني بالزواج من

ابنة الملك حاتشويل بعد أن قدمها له لتكون في خدمته وطاعته وزوجته أن أراد ، وبعد أن عاشت في ربوع مصر كزوجة للملك **رمسيس الثاني قد** أطلق عليها أسما مصريا [**ما تنفريرل** Matnefrurl] ترجمة برستيد [**بالناظرة محاسن رع**] وترجمة علماء أخرون [**بنور القمر**] كدلالة على مدى ارتباطها بحب مصر .

وبالتالي فإن هذه المعاهدة توضح مدى ما وصل إليه الحيثيين من تطور في علاقاتهم الخارجية رغم حروبهم العديدة – وتثبت أيضا بأنهم قد عرفوا فن إبرام المعاهدات في نظامهم القانوني منذ بداية عهد إمبراطوريتهم القديمة ، وإن كل معاهدة سلام قد أبرموها كانوا يقفوا على قدم المساواة في القوة والنفوذ والحضارة مع الدولة أو المملكة التي كانوا يتعاهدوا معها من أجل إتمام الصلح وصيانة الأمن والسلام الدائم بينهما على طول الزمان (١) .

---

(١) مشار إلى هذه المعاهدة ونصوصها بالتفصيل في مؤلفنا – البعد الأخلاقي لقانون العلاقات الدولية [رسالة الدكتوراه] – مرجع سابق ص ٤٨٦ ص ٤٩٢ ... وأيضا مؤلفنا العلاقات الدولية في العصور القديمة – طبعة ١٩٨٩ – دار النهضة المصرية – ص ٢٤ – ص ٣٢ ... ومن أهم المراجع التي أشارت إليها وكانت من ضمن مصادرنا التي استندنا عليها في دراساتنا ما يلي :

– د . محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٣٤٦ – ص ٣٤٩ .... ومؤلفة أيضا معالم تاريخ القانون – طبعة ==

ثانيا : معاهدات حمايـــة :

أبرمت الدولة الحيثية في عهد إمبراطوريتها القديمة والحديثة العديد من معاهدات الحماية مع الدول والممالك والمدن المستقلة التي وجدت نفسها مضـــطرة أمام الأحداث السياسية الجارية في المناطق التي تجاورها ، أن تـــنطوي تحت حماية الجيوش الحيثية من أجل أن تدافع عنها ضد أي غزو أجنـــبي ، وتحمـــي كيانهـــا من الأخطار التي كانت تحيط بها من القبائل

= ١٩٦٨ – كلية الحقوق جامعة القاهرة – ص ٣٣٠ وما بعدها ... وأيضا مؤلفة أبحاث في تاريخ الشرائع القديمة – طبعة ١٩٩١ – دار النهضة العربية – ص ٧١ – ص ٧٥ .

- د . فتحية النبراوي ، د . محمد نصر مهنا ، د . درية شفيق بسيوني – تطور العلاقات السياسية – طبعة ١٩٨٤ – مطبعة الكراس بالإسكندرية – ص ١٩ وما بعدها .
- د . أحمـــد ســـويلم العمـــري – أصول العلاقات الدولية – الطبعة الثالثة ١٩٥٩ – مكتبة الأنجلو المصرية – ص ٤٥ وما بعدها .
- د . محمد كامل ياقوت – الشخصية الدولية – طبعة ١٩٧٠ – عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ص ٢٢٧ .
- د . ســـليم حســـن – مصـــر القديمة – جـــ ٦ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٤٧ – ص ٣١٩ .

- J.H. Breasted – a History of Egypt – op . cit – p . 292 .
- L. Delaporte – les Hittite – op . cit – pp 142 ets .
- G. contenau – la civilisation des hittites – op . cit – pp 271 ets .

الـبربرية التي كانت تتجول للسلب والنهب – وهذه المعاهدات لا تعني أن هـناك شـروط إلزامية قد فرضتها الدولة الحيثية على الدولة المحمية التي تعاهدت معها – بل كانت المساواة بينهما في الحقوق والواجبات هي العامل الأساسي في إبرام كل هذه المعاهدات ، ولذا كان لا يحق ولا يجوز للملوك الحيثين أن ينتهزوا فرصة وجود هذه المعاهدات وسريانها ليفرضوا نفوذهم أو سيطرتهم على أقاليم الدول التي التزموا بحمايتها من الأخطار التي كانت تحيـط بهـا – وإنمـا كل ما كان يتمثل في هذه المعاهدات هو قيام الملك المـتعاقد مع الملك الحيثي بتقديم فروض الولاء وآيات الاحترام إلى جانب التزامه ببعض الأمور التي كانت تتعلق بتطبيق مبدأ الحماية في ذلك الزمان ومن أهمها ما يلي :

١ – الـتزام الدولة المحمية بتقديم كل الإمدادات العسكرية اللازمة للدولة الحيثية في حالة دخولها حرب مع جيوش أي دولة أجنبية .

٢ – الـتزام الدولة المحمية بأن تفتح إقليمها لجيوش الدول الحيثية لتمر منه أو تتمركز فيه بعض الوقت أثناء معاركها الحربية مع جيوش أي دولة أجنبية .

٣ – التزام الدولة المحمية بعدم إبرام أي علاقات دبلوماسية مع أي دولة أجنبية دون موافقة الدولة الحيثية التي تقوم بحمايتها .

وإذا كانت هذه المعاهدات تمس في مضمونها سيادة الدولة المحمية من خلال هذه الالتزامات المشار إليها ، إلا أن الدول والممالك الضعيفـة

كـــانت تلجأ لإبرامها مع الدوله الحيثيه خوفا من عدم صمودها بمفردها في مواجهـــة أي غزو لإقليمها من جيوش أجنبية أو لغارة كأسلحة من القبائل البربرية (١) – ومن أمثلة هذه المعاهدات التي حفل بها تاريخ الإمبراطورية الحيـثية القديمة والحديثة – المعاهدة التي أبرمها ملك [ليديا] الواقعة في غرب أسيا الصغرى مع الملك الحيثي [خاتي] في عام ١٦٧٥ ق ٠ م من أجل أن تقوم الجيوش الحيثية بحماية المملكة الليديا من أي غزو أجنبي أو غارة مدمرة من برابرة السلب والنهب ، وأيضا المعاهدة التي أبرمها إرزادا مـــلك [ميتاني] مع الملك الحيثي شوبيليو ليوما [Sappiluliuma] في عام ١٣٦٠ ق ٠ م تقريبا ، وذلك من أجل أن تحمي الجيوش الحيثيه مملكة ميـــتاني من أي غزو تتعرض لـــه من جيوش الكاشيين الذين ازداد نفوذهم وقوتهـــم العســـكرية فـــي بـــلاد ما بين النهرين وكانوا يناصبونهم العداء الشديـــــد (٢) .

وليس معنى هذا أن الدولة الحيثية كانت في كل هذه المعاهدات هي الدولة الحاميه فقط – بل كانت أيضا في بعضها وإن كانت قليلة للغاية دولة محميـــة – أي هي التي كانت تطلب الحماية من الأخطار التي كانت تهدد وجودهـــا فـــي فترات زمنية معينة عندما كانت تحس بضعف قوتها وعدم

---

(١) د ٠ محمـــود الســـقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابـــق – ص ٣٤٦ ٠

(2) G. Contenau – la civilisation des Hittite ….. op . cit – pp 133 ets .

قدرتها على مواجهة أي غزو قوي من جيوش أعدائها – ومن أهم أمثلة هذه المعـــاهدات الـــتي كانت لها دور رئيسي في حماية الإمبراطورية الحيثيه القديمـــة من الدمار والفناء بعد أن أصابها الضعف والانحلال هي المعاهدة التي أبرمها الملك الحيثي في عام ١٤٨٠ ق ٠ م تقريبا مع ملك [الاخيين] من أجل أن تحمي جيوش مملكة الأخيين الدولة الحيثية بعد أن تقوقعت في حدودهـــا الأولى بأســيا الصـــغرى، من أي غزو مدمر من جيوش مملكة ميـــتاني [وذلـــك كمـــا ســـبق أن أشرنا في الباب الأول] ويقول معظم المؤرخيـــن بأن هذه المعاهدة هي التي كتبت البقاء للحيثيين بعد أن جعلتهم يفلـــتون مـــن الدمـــار والفناء الكامل على يد الجيوش الميتانية التي كانت تناصبهم عداء شديد بعد أن انتصرت عليهم في معارك عديدة ، حطمت فيها معظم قواتهم وهم في آخر عهود إمبراطوريتهم القديمة [١] ٠

ثالثا : **معاهدات تبعيـــة** :

وهي التي كانت تبرمها الدول والممالك أو المدن المستقلة مع الدولة الحيـــثيه لتكون تابعة لها بدلا ما تصبح جزء من أقاليمها وذلك بعد ما يرى حكامهـــا اعـــتزام المـــلوك الحيـــثيين على احتلال أقاليمهم وضمها لحدود الإمـــبراطورية الحيثيه ، وعدم قدرة قواتهم على صد أي هجوم يقع عليهم من الجيوش الحيثيه ٠

---

(1) G. Contenau – la civilisation phenicienne – op . cit – pp 384 ets .

- B. Dhorme – les Achéens dans les textes de boghaz ….. paris- 1932 – pp 565 ets .

ولذلك فإن هذه المعاهدات لم يسرى فيها مبدأ المساواة بين أطرافها بـــل كـــان يوجد فيها طرف قوي تمثله الدولة الحيثيه وطرف آخر ضعيف وخاضع تمثله الدولة أو المملكة المتعاقدة معها حيث كانت تتعهد بالقسم نحو الـــولاء والإخلاص للملك الحيثي الذي تعاقد معها ولكل خلفائه من بعده – وعلى أثر ذلك فإن هذه المعاهدات كانت تتضمن شروط ملزمة عديدة تجبر الطرف التابع على القيام بها ، من أهمها ما يلي :

١ – أن يلتزم التابع بمشاركة المتبوع في كل الحروب التي يشنها ضد أي دولة أجنبية ٠

٢ – أن يلتزم التابع بإبلاغ المتبوع على الفور بكل ما يترامى إلى سمعه من أبناء مؤمرات أو تمرد يدبر ضده ٠

٣ – أن يتعهد التابع بأن يقف بجانب المتبوع في حل كل المشاكل والأزمات التي يتعرض لها في الداخل والخارج ٠

٤ – أن يلتزم التابع بعدم إفشاء أي أسرار هامة للمتبوع لأي جهة أجنبية ٠

٥ – أن يتعهد التابع بتسليم كل الهاربين من الدولة التي يتبعها ٠

٦ – أن يتعهد التابع بعدم إبرام أي علاقات خارجية مع أي دولة أو مملكة أجنبية إلا من خلال المتبوع – أي يلتزم بالا تكون له سياسة خارجية مستقلة ٠

٧ – أن يلتزم التابع بتحديد فروض الولاء والقسم للمتبوع سنويا – وذلك في احتفال رسمي يقام للملك الحيثي في قلب عاصمتـــــــــه

[خطوش] ، حيث يقدم له ملك الدولة أو المملكة أو المدينة التابعة آيات الاحترام والإجلال وهو يحمل معه ما تكون المعاهدة قد حددته من إتاوة تدفع سنويا في هذه المناسبة .

وفي مقابل هذه الالتزامات والتعهدات التي كانت تقع على عاتق الدولة أو المملكة أو المدينة التابعة - فإن الدولة الحيثية المتبوعة كانت تلتزم هي الأخرى نحوها بالدفاع عنها إذا ما اعتدى عليها من جيوش أجنبية أو إذا تعرضت لغارة شرسة من القبائل البربرية حيث كان يقوم الملك الحيثي على الفور بإمدادها بفيالق من الجيش وكل المعدات العسكرية اللازمة التي تمكنها من صد هذا الاعتداء أو الغارة وتحقيق النصر .

- وقد أبرمت الدولة الحيثيه في عهود إمبراطوريتها القديمة والحديثة العديد من معاهدات التبعية مع الدول والممالك الصغيرة في أسيا الصغرى إلى جانب المدن المستقلة التي كانت منتشرة في شمال جنوب غرب أسيا، أما بعد أن انتصرت عليها أو قبل أن تدخل معها في حرب - ومعاهدات التبعية قد حققت أهداف عديدة للدولة الحيثية أثناء توسعها في أسيا الصغرى وفي الأقاليم السورية وفي المناطق القريبة من حدود بلاد ما

---

(١) د . محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابق - ص ٣٥٠ ، ص ٣٥١ .

- L. DELAPORTE - les Hittite - op . cit - pp 86 - 88 .

بين النهرين حيث حصلت على دعم مستمر في الجيوش والعتاد من جانب الأطـراف الـتابعة التي تعاهدت معها وكان لهذا الدعم أثر هائل في إبراز نفوذ الدولة الحيثية وجعلها تمثل قوة كبرى في شرق العالم القديم (١) .

هذه هي أهم أنواع المعاهدات التي أبرمتها الدولة الحيثية في عهود إمبراطوريتها القديمة والحديثة – وإنه لكي تأخذ الصبغة الإلزامية والوضع الشـرعي ، كانت لابد أن تصب نصوصها في قالب مكتوب باللغة الاكادية التي كانت تمثل لغة العصر الدبلوماسية إبان تلك العهود – كما كانت تعقد باسم الإلهة الذكور والإناث حتى تأخذ صفة القداسة ، ويقع اللعنة والخراب والدمار على أي طرف يخل بإحكامها في المستقبل (٢) .

---

(1) B. Hrozny – sur un cachet Hittite …. Op . cit – pp 232 ets .
- E. cavaignac – Ras shamra et l'empire hittite…. Op . cit – pp 291 ets .

(٢) د . محمـود السـقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابـق – ص ٣٥١ .

الفصل الثاني

أهم الأحكام الخاصة بنظام الجرائم والعقوبات ، وأعمال السلطة القضائيـــة في المجتمع الحيثي

ســنعرض في هذا الفصل أهم الأحكام التي احتواها النظام القانوني الحيــثي عن نظام الجرائم والعقوبات إلى جانب ما تضمنه أيضا من أحكام خاصــة عن تنظيم أعمال السلطة القضائية – وحيث أن هذه الأحكام كانت عديدة ومتنوعة وتحتاج لإظهار مضمونها في معالجة المسائل التي تصدت لها ، إلى دراسة موضوعية في ضوء ما توافر لدينا من معلومات ، وذلك لكي نوضح تفصيليا أهم الأسس التي استندت عليها في تنظيم الموضوعات التي تناولتها ، في مجال الجريمة والعقاب والسلطة القضائية – سنقسم في أسهاب هذا الفصل إلى مبحثين على النحو التالي :

المبحث الأول : سنتناول فيه أهم الأحكام الخاصة بنظام الجرائم والعقوبات في الدولة الحيثية .

المبحث الثاني : سنطرح فيه أهم الأحكام التي نظمت أعمـــــال السلطة القضائية في المجتمع الحيثي .

المبحث الأول

أهم الأحكام الخاصة بنظام الجرائم والعقوبات

****

اهـــتم النظام القانوني الحيثي ، بتحديد الجرائم وكل العقوبات التي كـــانت تطبق عليها ، حيث تناولها في نصوص عديدة ، وجعلها تأخذ مكانا مرموقا بين مواد القوانين الأخرى – وذلك بعد أن تناول أنواعها ، وطرح في معالجتها شروح وتفسيرات تفيد مدى أهميتها في ضبط سلوك الإفراد ، وحمايـــة الأمـــن الاجتماعي من الأفعال الضارة ، من أجل المحافظة على كيان المجتمع الحيثي وسلامته من الفوضى والفساد والانحلال .

ومـــن استقراء الأحكام الخاصة بنظام الجرائم والعقوبات – يتضح أنهـــا كانت تتسم بالرحمة وعدم القسوة في توقيع الجزاءات المختلفة ، وفي ذلك يقول معظم المؤرخين بأنه إذا كان **نظام الجرائم والعقوبات** في القانون الحيثي يتشابه في مضمون بعض نصوصه مع القانون الجزائي في بلاد ما بين النهرين ، وعلى الأخص ما نص عليه في **قانون حمورابي** ،– إلا أنه كان أخف وطأة منه في كثير من الحالات ، وعلى هذا الأساس تميز عنه ، وعلى الأخص بعد أن اتصف بأنه يعتمد أكثر على الغرامة أو التعويض في توقيـــع العقوبات إلى جانب ذلك أيضا اتسمت هذه الأحكام بالنزعة الفردية في توقيع العقوبة ، أي كان كل فرد مسئول وحده عما يرتكبه من جرائم ، ولـــم تحيـــد عـــن ذلك إلا بالنسبة لحالتين مميزتين فقط مثلت استثناءا لهذه القاعدة العامة في العقاب – **الحالة الأولى** : منها نصت عليها المـــادة ١٧٣

الـــتي قررت وقوع **المسئولية الجماعية** على عائق الأسرة في حالة تمرد أحد أفرادها ضد الملك – **والحالة الثانية** : نصت عليها المادة السادسة التي أشارت بوقوع **المسئولية الجماعية للقرية** حال ارتكاب أحد ابنائها جريمة قــتل داخــل حدود أراضيها بشرط أن يكون الفاعل مجهولا ، أي لابد أن يكــون مــرتكب جــريمة القتل في نطاق حدود القرية مجهولا حتى تنعقد المســئولية الجماعية أما إذا كان معروفا فلا تنعقد وتطبق فقط العقوبة على الفــاعل ذاته – وفي ذلك يقول أستاذنا الدكتور **محمود السقا** • بأن [هذه الصــورة تمــثل إلى حد ما ما كانت عليه المجتمعات البشرية القديمة من الأخذ بالثأر في صورة الانتقام الفردي ، مع أعمال العقوبة الجماعية بصفة استثنائية • • • •) [١] .

ولا يضــاح ذلــك سنعرض أهم أحكام الجرائم المختلفة والعقوبات المقررة لها في النظام القانوني الحيثي ، حيث قسم هذه الجرائم إلى جرائم عامة وجرائم خاصة ، وذلك على النحو التالي :

أولا : الجرائم العامــة :

وهــي الــتي تتعــلق بأمن وسلام البلاد ، ونظام الحكم فيها ، مثل **جريمة الخيانة العظمى** كإفشاء أسرار الدولة أو التجسس لصلح أعدائها أو

---

(١) د • محمــود الســقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابــق – ص ٣٦٧ .

الإضرار بمصالحها العليا – وجريمة التمرد على الملك وعصيان أوامره – وجـريمة الهـروب من صفوف الجيش إثناء المعركة – وجريمة الاعتداء علـى حـرمة الإلهـة أو تخريب المعابد أو سرقتها ٠٠٠٠ الخ ٠ وكانت العقوبـة المقـررة في معظم هذه الجرائم هي الإعدام ٠ بقطع رقبه الجاني فقط دون تمزيق جسده أو التمثيل بجثته ٠

ثانيا : الجرائم الخاصـة :

وهـي تمـثل جـرائم الاعتداء على الجسم مثل القتل والضرب ، وجرائم الاعتداء على حقوق الغير مثل السرقة والحريق العمد – وحيث أن هذه الجرائم كانت عديدة ومتنوعة فإن أهمها يتلخص في الآتي :

١ – جريمـة السرقـة :

كانت عقوبتها في قانون بلاد ما بين النهرين تصل إلى حد الإعدام إذا ضبط الجاني متلبسا – في حين كانت العقوبة طبقا للأحكام الخاصة بها فـي القـانون الحيثي هي التعويض مما يوازي أربعة وعشرين مرة قيمة الشيء المسروق – وهذا التعويض ، وإن كان ضخم جدا على الجاني الذي يلتزم بدفعه إلا أنه لا يتناسب مطلقا من حيث خفة الوطأة واللين مع عقوبة إزهـاق الروح المتمثلة في الإعدام – كما أن المادة ٩٥ من هذا القانون قد نصـت بأنه إذا ضبط العبد متلبسا بجريمة سرقة فإن لسيدة الخيار بين أن يدفع التعويض المقرر في جريمة السرقة للمجني عليه أو يتخلى له عن هذا العبد ٠

٢- جريمة القتل خطأ أو القتل غير العمدي :

فقد كانت معظمها يطبق عليها عقوبة الإعدام في قانون بلاد ما بين النهرين ، وذلك مثل ما نص عليه في **قانون حمورابي** بقتل البناء إذا قام بناء منزل وسقط هذا المنزل على صاحبه وقتله ، أو قتل ابن البناء إذا سقط هذا المنزل على ابن صاحبه وقتله – في حين أن جميع هذه الجرائم كان يطبق عليها **نظام التعويض** فقط في القانون الحيثي – أي كان التعويض الذي يدفعه الجاني هو العقاب الذي يطبق عليه إذا ارتكب إحدى هذه الجرائم – وكان هذا التعويض يتمثل في عدد من الحيوانات أو مبلغ من المال أو كمية من الشعير أو الصوف – طبقا لما جاء بالمادتان الأولى والثانية من القانون الحيثي كان في الغالب يدفع الجاني كتعويض أو كدية عدد أربعة رؤوس من الماشية إذا قتل شخصا حرا بطريق الخطأ ، ويدفع رأسين من الماشية إذا كان القتيل عبدا – وذلك لأن الدية التي كانت تدفع عند قتل العبد ، وكانت أقل من تلك التي تدفع إذا كان المجني عليه حرا .

٣ – جريمة القتل العمد والاغتصاب :

كانت عقوبتها الإعدام في قانون بلاد ما بين النهرين – إما في النظام القانوني الحيثي فكان لا يشترط أن توقع عقوبة الإعدام في كل الحالات التي يرتكب فيها هذه الجرائم ، وإنما كان من الممكن توقيع عقوبات أخرى في بعض جرائم القتل العمد ، مثل السجن مدى الحياة أو لمدة معينة أو النفي لخارج البلاد أو دفع تعويض كبير جدا لأسرة المجني

عــليه ، إذا قبــلت ذلك – أما جريمة الاغتصاب فكانت هي وكل الجرائم الجنسية يطبق عليها عقوبة الإعدام ··· والقانون الحيثي لم يتعســــــف فـــي طريقة تنفيذ هذه العقوبة كما كانت تذهب إلى ذلك بعض التشريعـــات التي عاصرته مثل **قانون مانو** في الهند ، وقانون الملك **[شانغ تشو]** في الصـــين القديمـــة ، والقانون الجزائي في بلاد ما بين النهرين خلال العهد الاشوري ·

٤ – <u>جريمة الحريق العمد</u> :

كانت العقوبة المقررة لها في معظم التشريعات القديمة هي الإعدام– أما في القانون الحيثي فكانت عقوبة الإعدام لا تطبق إلا إذا ترتب على هذه الجـــريمة إضـــرار جسيمة داخل المجتمع ، فإذا لم تحدث إضرار جسيمة كانت العقوبة أما بدفع الجاني تعويض كبير للمجني عليه عن الأشياء التي أتلفت له من أثر هذا الحريق ، أو توقع عقوبة الحبس لمدة معينة ، وذلك إذا كـــان الجاني من الأحرار إما إذا كان الجاني من الارقاء فكانت توقع عليه عقوبـــة جدع الأنف أو قطع الأذن في حالة ارتكابه لهذه الجريمة وذلك لأن القانون الحيثي كان يفرق أيضا بين الأحرار والعبيد في حالة ارتكاب أحدا منهما جريمة الحريق العمد ·

٥ – <u>جريمة السحر والشعوذة</u> :

كـــان يطبق عليها عقوبة الإعدام في قانون حمورابي ببلاد ما بين النهرين – في حين كان القانون الحيثي لا يعاقب عليها إلا إذا اعتقد الملـــك

الأكـــبر أو أعضاء المجلس الأعلى [**البانكو**] بأنها قد احدثت ضررا بالغا بالمجـــتمع أو بكيان الدولة في الداخل أو في الخارج ، وكانت العقوبة التي توقع على الجاني [الساحر] في هذه الحالة هي أما الإعدام أو قطع رجليه أو يده أو فقع عينيه ، أو صم أذنيه ونفيه لخارج البلاد .

٦ – جريمة الضرب وإحداث أصابه :

كـــان يطـــبق عليها مبدأ القصاص في قانون بلاد ما بين النهرين ، وفي معظم التشريعات القديمة التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم – أمـــا في القانون الحيثي كان العقاب عليها أخف وطأة وأكثر لينا لأن أغلبه كـــان قائمـــا على **مبدأ الدية** – وهذه الدية كان يختلف مقدارها حسب نوع لإصـــابات الـــتي كـــانت تحدث من جراء هذه الجريمة ، كما كان يختلف مقدارهـــا أيضـــا تبعا لما إذا كان المجني عليه حرا أو عبدا ، ويظهر هذا بوضـــوح تام في المواد الخاصة بكسر سنة شخص أو إصابة انفه أو أحد أعضائه الأخرى وهي المواد ٧ ، ٨ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٩٣ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ مـــن القانون الحيثي – حيث أن **الدية** المقررة في هذه المواد كجـــزاء على هذه الجريمة تكون أقل في حالة الاعتداء على العبد من حالة الاعـــتداء عـــلى الحـــر ، وأيضا **الدية** التي كان يدفعها الجاني الحر كانت تـــوازي تقريـــبا ضعف الدية التي يدفعها العبد في حالة ارتكابه لمثل هذه الجريمة ، وذلك طبقا لنص المادتان ٩٥ ، ٩٩ من القانون الحيثي .

وعلى هذا الأساس يتضح جليلا صفة الرحمة وعدم المغالات في العقوبة وتخفيف حدتها في أحكام القانون الحيثي الخاصة بالجرائم والعقوبات • حيث كانت تراعي ظروف المتهم والمجني عليه وتضعهما في الاعتبار حال تقدير العقوبة – كما أنها لم تغلظ الجزاء أو تشدد العقوبة على المتهم إلا إذا كان قد ارتكب جريمته بناء على تصميم سابق ونية مبيتة ونتج عنها ضررا جسيما يمثل خطورة بالغة على الأمن الاجتماعي داخل المجتمع ومن استقراء أحكام الجرائم والعقوبات يتبين أن التشريع الحيثي قد خلا من الحديث عن عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة ، وعقوبة القصاص على أساس أن التعويض كان السمة البارزة لهذا التشريع ، وهذه السمة قد جعلته يتمتع بطابع عقابي متقدم إذا ما قيس أو تم مقارنة نصوصه بالتشريعات التي عاصرته وعلى الأخص البابلي أو الأشورى في بلاد ما بين النهرين •

ولكن على الرغم من ذلك يقول بعض العلماء والمؤرخين أنه بسبب خفه وطأة هذا القانون ولين أحكامه قد جعل الدولة الحيثية في ظل وجود الإقطاع والنظام الطبقي الفاسد تستند على أسس أقل متانة وتنظيما مما كانت عليه مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين [١] •

---

(١) انظر في ذلك :

د • محمود السقا – تاريخ النظم القانون والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٣٦٧ وما بعدها •

....

- د . نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – مرجع سابق – ص ٢٦٧ وما بعدها .

د – مؤلفنا عن مدى التقارب والتباين في الطابع الحضاري لأهم نظم وشرائع مجـتمعات العصور القديمة – طبعة ٢٠٠١ – مكتبة النهضة المصرية – ص ١٩٤ ، ص ١٩٥ .

- L. Delaporte – les Hittite .... Op . cit – pp 221 – 223 .
- G. Contenau – la civilisation des Hittites ... op . cit – pp 237 ets .
- A. AYMARD et j auboyer – Histoire générale Des civilisations – op . cit – p 205 .
- O. R . GURNEY – the Hittite harmon sworthe – op . cit – pp 227 ets .
- R. Dussaud – les Religions des hittite – op . cit – pp 210 ets .
- Ralph linton – TREE of culture – op . cit – P. 245 .

المبحث الثاني
أهم الأحكام الخاصة بنظام القضاء

****

نظمت أحكام عديدة في القانون الحيثي أعمال السلطة القضائية من حيث مدى تدرجها ، ومن حيث نوعية اختصاصاتها وحجية أحكامها في مختلف أرجاء المجتمع الحيثي ، وطبقا لما وجد في هذه الأحكام ، وما دلت عليه الآثار التي خلفتها الحضارة الحيثية في منطقة أسيا الصغرى – كان نظام القضاء في الدولة الحيثية منقسم من حيث التدرج إلى **قضاء أعلى وقضاء أدنى** ، ومن حيث التنوع إلى قضاء مدني وقضاء ديني ومن حيث الحجية إلى أحكام نهائية لا يمكن الطعن عليها وأحكام أخرى يجوز الطعن عليها – وعلى أثر ذلك قد أعتبر نظام هذا القضاء من الأنظمة القضائية المتطورة التي ظهرت في المجتمعات الإنسانية التي تألفت حضاريا في شرق وغرب العالم القديم – ولا يضاح ذلك نعرض في ضوء ما توافر لدينا من معلومات أهم الهيئات الرسمية التي اختصت بأعمال السلطة القضائية في المجتمع الحيثي على النحو التالي :

أولا : الملك الأكبر :

وكان ينظر القضايا الكبرى التي كانت تمس أمن وسلام البلاد سواء كانت جنائية أو مدنية أو سياسية أو دينية – وذلك باعتباره القاضي الأعلى في الدولة ، والمختص طبقا لسلطاته بالنظر وحده في هذه القضايا الهامة

وإصدار حكم نهائية فيها ، وحيث أن هذه القضايا كانت خطيرة فإنها كانت تندرج تحت ما يسمى **بالجرائم العظمى** ، وأغلب العقوبات التي كانت توقع عليها كانت ما بين إعدام الجاني أو بتر أحد أعضاء جسده أو نفيه في مكان مجهـول – وتشير المصادر التاريخية بأن الملك الأكبر كان يعطي للمتهم فرصة كاملة للدفاع عن نفسه ، كما كان يستمع إلى شهادة الشهود ويفحص بكل دقة كافة الأدلة المتعلقة بالجريمة قبل أن يصدر حكمه فيها – أي كان يوفر كل الضمانات الكفيلة بتحقيق العدالة .

٢ – مجلس النبلاء [البانكو] :

كان من ضمن وظائف هذا المجلس القيام بأعمال السلطة القضائيـة فـي الدرجـة التي تلي سلطة الملك الأكبر – حيث اختص بنظر القضايا الجـنائية والمدنيـة والسياسـية والدينية التي كانت تمثل أهمية كبرى في المجـتمع الحيـثي ، ولكن بدرجة أقل من القضايا التي كان ينظرها الملك الأكبر ، وفي أمور لا تتعلق مطلقا **بالجرائم الخاصة بنظام الحكم** . ويقول معظم العلماء والمؤرخين – بأن مجلس النبلاء [البانكو] كان يعتبر وظيفة القضاء من أهم وظائفه الأساسية ، وأنه كان يفصل في جميع الدعاوى التي تعـرض عليه حتى لو كان أطرافها من أقرباء الملك نفسه – وكان يعطي أيضـا للمتهم فرصة للدفاع عن نفسه ، كما كان يستمع إلى شهادة الشهود ويفحص الأدلة الخاصة بكل جريمة بإمعان ودقة حتى يوفر كل سبل العدالة

قــبل أن يصدر حكمه النهائي الذي كان لا يجوز مطلقا الطعن عليه من أي جهة في الدولة ٠

٣ – المحاكم الإقليميــة :

وهي التي كانت منتشرة في كل أقاليم الدولة الحيثية حيث كان يوجد بكــل إقــليم محكمة مدنية ، ومحكمة أخرى دينية ، وكان القضاة في هذه المحــاكم يعيــنون مباشرة من الملك الأكبر لينوبوا عنه في أعمال السلطة القضــائية في الأقاليم والمقاطعات التابعة للدولة الحيثية – وكانت المحاكم المدنيــة تنظر كافة القضايا المدنية والجنائية ، أما المحاكم الدينية فكانت لا تنــتظر إلى القضايا التي تتعلق بأمور الدين والعبادات ، وكان من مظاهر هذا التخصص النوعي وجود ميل واضح في إعلاء شأن المحاكم الدينية عن المحــاكم المديــنة باعتبار أن الدين كانت له مكانه عليا في الدولة وكل ما كــانيمس هذا الدين أو أمور العبادات يعتبر من الجرائم الخطيرة التي يجب التصدي لها بإحكام قضائية رادعة ٠

ولكــن كــل الأحكام التي كانت تصدر من هذه الأحكام الإقليمية ، ســواء كــانت مدنية أو دينية – لم تكن من قبيل الأحكام النهائية حيث كان يجــوز الطعــن عــليها إمام مجلس النبلاء [البانكو] ، كما كانت لا تأخذ الصــفة الــنهائية كأحكام باته إلا بعد التصديق عليها من الملك الأكبر بعد استنفاذ إجراءات الطعن عليها ٠

وإجراءات التقاضي إمام هذه المحاكم في ضوء ما تشير إليه الوثائق التاريخية التي عثر عليها ضمن الآثار التي اكتشفت في **[بوغاز كوي]** كانت تطابق تماما نفس الإجراءات التي كانت متبعة من قبل في بلاد ما بين النهرين لأنها اقتبست بالكامل منها – وهي تتلخص في أن المدعي أو المجني عليه كان يتقدم أو لا بشكوى إلى موظف رسمي من طائفة المحكمين التي كانت لا تتبع هيئة المحكمة ٠ وإن هذا الموظف كان يطلق عليه [**المحكم الحكومي**] الذي يحاول أن يسوى النزاع خارج أبواب المحكمة – لأنه كان يقوم بعد أن يطلع على الشكوى المقدمة له من المدعي ويستمع أيضا إلى ما يدعيه من إضافات أخرى ، باستدعاء المدعي عليه ويحاول أن ينهي النزاع بينهما فإذا نجح أنتهي الأمر ، وإذا فشل كان يحيل القضية إلى المحكمة التي كان يرأسها قضاة محترفون يتراوح عددهم بين قاضيين وأربعة قضاة ، وكان **المحكم الحكومي** الذي الم بحقائق القضية الماما كاملا في بداية الأمر يجلس مع القضاة فوق المنصة ٠٠٠ وكان طرفا الخصومة والشهود يدلون بشهادتهم بعد أن يؤدوا اليمين ثم بعد ذلك يتقدمون بالمستندات التي تفحصها المحكمة فحصا جيدا وبعد أن تدرس هيئة المحكمة القضية كانت تصدر حكمها ٠

وفي القضايا الهامة كان من الممكن أن يمثل المتهم أحد علماء القانون لينوب عنه في الدفاع أمام هيئة المحكمة ٠

أي حكم يصدر من هذه المحاكم الإقليمية كان يمكن استئنافه [أي الطعن عليه] أمام مجلس النبلاء [البانكو] باعتباره يمثل المحكمة العليا

لكل المحاكم الإقليمية كما سبق وأن أشرنا – وذلك في حالة ما إذا كان غير مرضيا لأحد أطراف الخصومة ، أو إذا ظهرت أدلة أخرى جديدة ممكن أن تغير من حيثيات هذا الحكم ومنطوقة .

كـــان يـــتم توقيـــع عقوبـــات مشددة على كل من يحاول أن يجرح المحكمـــة أو يحقـــرها أو يـــتعدى بالســـب أو القول غير اللائق على أحد قضاتهـــــا .

القاضـــي الـــذي كـــان ينحرف عن مسار الحق ويصدر حكما غير عـــادل – كان يعزل من وظيفته ويغرم وتوقع عليه أيضا عقوبة شديدة قد تصـــــــل إلى بتر أحد أعضاء جسده لأنه كان في هذه الحالة يطبق عليه عقوبـــة حكم المرتشي وعديم الضير الذي يهدد الحقوق ويخل بكل سمات العدالة بين الناس .

كـــان يوجـــد **وزيرا لأعمال القضاء** يعينه الملك الأكبر من أجل أن يعاونـــه في تنظيم أعمال السلطة القضائية في الأقاليم والمقاطعات المختلفة الـــتي كانت تتبع الدولة الحيثية ، ولذا كان هذا الوزير من ضمن الوزراء المهمين عند الملك الأكبر ، ويقوم بالأشراف على أداء المحكمين الحكوميين كمـــا كـــان يختص بتنظيم أعمال المحاكم الإقليمية وإعداد تقارير فنية عن أحوالهـــا وأوضـــوعها وعن النتائج التي تحققت فيها ، ليقدمه كل فترة إلى الملك الأكبر لكي يضع إمامة صورة كاملة عن مدى صواب قراراتـــه في

اختباره لقضاة هذه المحاكم ، كما ليجعله على علم تام بمدى سير العدالة في كافة أرجاء الدولة الحيثية .

وبالـــتالي كـــان نظام القضاء في الدولة الحيثية من أرقى الأنظمة القضـــائية في العالم القديم ، لأن الملك الأكبر لم يستأثر بالسلطة القضائية بمفرده كما كان سائدا في معظم الدول والممالك القديمة بل كان يشاركه في ذلـــك مجلس النبلاء [**البانكو**] ، كما أن نظام عمل **المحكم الحكومي** يعتبر من الأنظمة المتقدمة جدا ، لأن يشبه حاليا نظام عمل لجان فض المنازعات الذي تقرر حديثا في مصر وفي بعض الدول المعاصرة بالرغم من البعـــد الزمني بين نظام عمل المحكم الحكومي في المجتمع الحيني والنظام الحالي لعمـــل لجان فض المنازعات يزيد عن ٣٠٠٠ سنة - هذا بالإضافة إلى أن نظـــام إجـــراءات التقاضي وعمل المحاكم الإقليمية في الأقاليم والمقاطعات الحيـــثيه بشـــأنه أيضـــا إلى حد ما هو متبع حاليا في محاكم معظم الدول المعاصرة [١] .

---

(١) انظر في ذلك :

- د . محمـــود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابق - ص ٢٤٥ .
- د . نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة- مرجع سابق - ص ٢٦٢ .

==

....

= مؤلفـنا عن مدى التقارب والتباين في الطابع الحضاري لأهم نظم وشرائع مجتمعات العصور القديمة – مرجع سابق – ص ١٨٨ .

- Ralph linton – TREE of culture – op . cit – pp 237 – 239 .
- O. R. GURNET – the Hittite harmandsworth ... op . cit – pp 273 ets .
- R. J . BRAID wood – the Near east and foundations of civilization – op . cit – p 310 .
- L. Delaporte – les Hittite – op . cit – pp 176 ets .
- E. Covaignac – Ras shamra et l'empire hittite – op . cit – p 209 .

الفصل الثالث

****

أهم الأحكام الخاصة بنظام التعامـلات والأسرة في المجتمع الحيثي

ســنعرض في هذا الفصل أهم الأحكام الموجوده في النظام القانوني الحيــثي التي تنظم العلاقات الخاصة بالتعامل والتعاقد والملكية إلى جانب الأمــور المتعلقة بنظام تكوين الأسرة وعمليات الزواج والطلاق والإرث – وحيث أن هذه الأحكام كانت عديدة ومتنوعة ، وتحتاج لا يضاح مضمونها في معالجة الموضوعات المختلفة التي تصدت لها ، إلى شرح تفصيلي في ضــوء ما عثر عليه أيضا من نصوص مدونه وقواعد عرفية ضمن الآثار الــتي خلفتها الحضارة الحيثية في منطقة آسيا الصغرى ، فإنه سيتم تقسيم دراستنا في هذا الفصل إلى مبحثين على النحو الآتي :

المبحث الأول : سنتناول فيه أهم الأحكام الخاصة بنظام التعامــل والتعاقد والملكية والتجارة ٠

المبحث الثاني : سنطرح فيه أهم الأحكام الخاصة بنظام الأســرة والزواج والطلاق والإرث ٠

المبحث الأول
أهـم الأحكـام الخاصة بنظـام التعامل والتعاقد والملكية

****

أعـطى النظام القانوني الحيثي الحرية الكاملة في التعامل والتعاقد والملكية ، وفي ممارسة الأعمال التجارية في داخل البلاد أو خارجها لجميع أفراد الشعب [عدا **طبقة العبيد** حيث، فرض عليهم بعض القيود كما سنرى فيمـا بعد] - كما وضع قواعد عديدة لتنظيم مجالات هذه الأمور في أطر محـدده حـتى تسـير العلاقات المختلفة بين كل فئات الشعب في مسارات منضـبطة وبعيدة تماماً عن الارتجال وعدم الالتزام داخل المجتمع - وإذا كانت معظم هذه القواعد والأحكام التي تنظم أمور التعامل والتعاقد والملكية والـتجارة قـد اقتسبت من النظم القانونية التي كانت سائدة في المجتمعات الحضـارية الأخرى ، التي تطور على أكتافها الشعب الحيثي عقب نزوحه في الغارة الكبرى إلى شمال سوريا كما سبق أن وضحنا من قبل- وأن هذا الاقتـباس قد أدى إلى وجود تشابه كبير في الأحكام التي تنظم هذه الأمور بيـن المجتمع الحيثي والمجتمعات الحضارية الأخرى التي استند عليها في تطوره وعلى الأخص بلاد ما بين النهرين في مجال النظم الخاصة بالتعامل والـتعاقد والمـلكية [1] ، والمدن الفينيقية في مجال النظم الخاصة بأعمال

---

(1) L. DELAPORTE - Mesopotamia - the babylonian and Assyrian civilization . New york - 1925 - pp 121 ets .

التجارة الداخلية والخارجية [١] - إلا أن هذا لم يطمس الطابع الحيثي المميز لمفهوم هذه الأحكام عقب وضع نصوصها وسريانها في كافة إرجاء الأقاليم الحيثيه ، لأن كل هذه الأوضاع والمظاهرة التشابهية ليست من قبيل التبعية [لآن الدولـــة الحيـــثيه بعـــد أن تكونت كانت مستقلة وأسست من منطلق سيادتها نظام قانوني خاص بها ، أي كانت غير خاضعة لسيادة دولة أخرى ولـــم تطبق نظام قانوني تم وضعه في مجتمع حضاري آخر] - وإنما هي تعـــبير صادق فقط عن مدى استفادة الحيثيين من النظم القانونية السائدة في المجـــتمعات الإنسانية التي كانت متألقة حضاريا قبل ظهورهم على مسرح الـــتاريخ بما يزيد عن ألف سنة وعلى هذا الأساس فإن أهم الإحكام الحيثية الخاصة بهذه المجالات تتلخص في الآتي :

أولا : في مجال التعامل :

لـــم يفرض القانون الحيثي أي قيود على عمليات التبادل ، بل أباح لجميـــع أفـــراد الشعب كما سبق أن أشرنا أي يقوموا بالبيع والشراء للسلع والمنـــتجات المختلفة بحرية كاملة ولكن وفقا لضوابط محددة من أجل منع عمـــليات الغش والغبن والاستغلال وكل المحاولات الخاصة بالتلاعب في الأسعار ... وذلك مثل :

---

(1) G. Contenau – la civilisation phenicienne – op . cit pp 384 ets .
- A. T. olmstead – History of assyris – op . cit – pp 142 - 144.

١- حدد الأثمان الخاصة ببيع الحاصلات والمنتجات الزراعية التي تمثل أهمية في معيشة أفراد الشعب وعلى الأخص طبقة المزارعين ٠

٢- حـــدد أيضا أثمان بعض الحيوانات كالمواشي والأغنام لكي لا يحدث تلاعب في أسعار الثروة الحيوانية داخل المجتمع الحيثي ٠

٣- حـــدد أيضا أسعار بعض السلع الضرورية التي يحتاجها أفراد الشعب بصفة دائمة كالوازم أساسية في حياتهم اليومية ٠

٤- فـــي بدايـــة تأسيس الدولة الحيثية وخلال عهود الإمبراطورية القديمة كانت الأسعار تحدد على أساس عمليات تبادل سلعة بسلعة أو منتج معيـــن بمنتج آخر - أما في عهد الإمبراطورية الحديثة فقد ظهرت العملة المعدنيـــة وأخذت تحل تدريجيا محل عمليات التبادل ، وكانت هذه العملات يتم ختمها بخاتم حكومي خاص حتى لا يتم تزيفها ، وأطلق على كل عملة تمـــثل وزن خـــاص مـــن المعدن اسم [**شكل**] ، وعلى العملات المعدنية الرســـمية اســـم [**الشكلات المختومة**] ، وهذه الشكلات هي الأصل الذي انحـــدرت مـــنه نقودنـــا الحاليـــة [1] والدليل على انتشار استخدام العملات المعدنيـــة في المجتمع الحيثي هو أن الدية التي كان يدفعها الجاني للمجني عـــليه إذا تعدى عليه وأحدث به أصابه مثل كسر سنة أو خرج بالأنف أو

---

(1) O. R. GURNEY – the Hittites harmondsworth – op . cit – pp 290 ets .

بأي جزء بالجسم كانت عبارة عن عملات معدنية مثل ما نصت عليه المادة ١٤ مـن القانون الحيثي بأنه [إذا كان الجاني حرا والمجني عليه المصاب عـبدا يدفـع المتهم ثلاثة شواكل كدية جزاء ما فعله ٠٠٠] [١] ، وظهور العمـلات المعدنيـة وانتشار استخدامها في كافة إرجاء المجتمع الحيثي قد سهل على السلطة المركزية عمليات تحديد الأسعار بصورة أفضل جدا من تحديدها على أساس أساليب التبادل أو المقايضة ٠

٥- وضـع القـانون الحيـثي عقوبات شديدة جدا على من يحاول الـتلاعب بالوحدات المعدنية المعترف بها أي [بالشكلات المختومة] مثل إنقاص وزنها أو تزيفها بمعدن آخر لا يماثل نقاء معدنها الأصلي ٠

٦- جعـل مـبدأ حسن النية العامل الأساسي في كل عمليات البيع والشراء - وفرض عقوبات رادعة قد تصل إلى تشويه الوجه أو قطع الإذن على من يتعمد الإخلال بهذا المبدأ ويضر بمصلحة الآخرين ٠

٧- فـرض عقوبات رادعة على من يمتنع عن بيع سلعة ضرورية مـتوافرة في مخزنة قاصدا إخفائها لرفع ثمنها أو لاحتكار بيعها بمفرده في السوق ليحصل على أرباح هائلة تزيد بقدر كبير جدا على ما كان سيحصل

---

(١) د ٠ محمـود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابـق - ص ٣٥٩ ٠

عـليه لـو سلك الوضع العادي لبيع هذه السلعة - أي منع كل التصرفات السيئة في النشاط التجاري [١] .

٨- حدد قيمة المبالغ التي يجب أن تدفع مقابل الخدمات التي يؤديها فـرد لآخـر مثل النجار الذي يقوم بإصلاح الأثاثات الخشبية الموجودة في منزل شخص آخر ، والسقا الذي يقوم بتوصيل قربة المياه النقية إلى بعض سكان القرية أو المدينة ، والبناء الذي يقوم بترميم جدار منزل شخص آخر ... الـخ . وقد اكتشف ضمن الآثار التي خلفتها الحضارة الحيثية وثيقة تتضـمن موضـوع نزاع بين شخص حمال [شيال] وشخص آخر يملك بعـض الأثاثات حول قيمة الأجرة وذلك في عام : ١٣٨٠ ق . م تقريبا ، وترجع وقـائع هذا النزاع إلى أن الشيال قد اتفق مع هذا الشخص الآخر على أن ينقل له أثاث منزلة من بيت لبيت آخر مقابل أجر معين [طبقا لما هو محدد في نقل هذه الأشياء] - وبعد أن انتهى الشيال من عملية النقل لم يدفـع له صاحب الأثاث أجرة بالكامل ، الأمر الذي أدنى إلى حدوث نزاع بيـنهما حـول الأجرة ، وتشير الوثيقة بأن هذا النزاع قد وصل إلى ساحة القضاء وحكم فيه لصالح الشيال [٢] .

---

(1) V. G. childe – New light on the Most Ancient East – op . cit – pp 210 ets .

(2) B. Hrozny – sur un cachet Hittite – op . cit – pp 180 – 182 .

ثانيا – في مجال التعاقد :

نظم القانون الحيثي جميع أنواع العقود التي عرفت بين أفراد الشعب وتم استخدامها في كافة **الأقاليم** والمقاطعات الحيثيه مثل عقود البيع ، وعقود الإيجار ، وعقود الهبة ، والوصية ، والكفالة إلى جانب عقود الرهن ، والقرض ، والعمل ، والنقل ، والبناء والقواعد التي نظمت العقود في النظام القانوني الحيثي كانت عبارة عن قواعد عرفية وقواعد أخرى مدونه ، ولكن ليست من ضمن النصوص الموجودة في اللوحتان – أي أن نصوص المجموعة الأولى والثانية التي تم تدوينها على اللوحتان قد أغلقت المعالجة الكاملة لنظام العقود أي لم تتعرض تفصيليا لموضوع العقود مثل معظم المدونات الأخرى التي ظهرت في المجتمعات الحضارية القديمة مثل مدونة بوكخورس في مصر الفرعونية، ومدونة **جمورابي** في بلاد ما بين النهرين **وقانون مانو** في الهند القديمة ، **ومدونة الإمبراطور [هان قاوتسو]** في الصين القديمة، **وقانون صولون** في أثينا ، **وقانون الألواح الاثنى عشر** في روما – وبالتالي نظمت المسائل الخاصة بنظام العقود بقواعد غير موجود في نصوص اللوحتان– وأغلبها قد تم اقتباس أساسها من المجتمعات الحضارية التي اختلط بها الشعب الحيثي منذ بداية ظهوره على مسرح التاريخ، وعلى الأخص بلاد ما بين النهرين والمدن الفينيقية ومن استقراء بعض الوثائق التاريخية التي خلفتها الحضارية الحيثيه وتم اكتشافها في **بوغار كوي** وفي بعض مناطق الأناضول التي كانت تنتشر فيها الأقاليم الحيثية. يتضح أن أهم الأحكام الخاصة بالقواعد التي نظمت العقود وحددت

الضـــوابط التي يجب أن تتبع عند إبرامها ، وما يلزم من إجراءات في نفاذ كـل نـــوع منها ، والآثار التي تترتب عند عدم صحة انعقادها ، يتلخص مضمونها في الآتـــي :

١- جعـلت مـبدأ الرضـائية هو الأساس الوحيد الذي يستند عليه المتعاقدين في إبرام كافة العقود المختلفة ٠

٢- أقـرت بوضوح مبدأ حرية الإرادة أي [سلطان الإرادة] لكل أفراد الشعب [عدا طبقة العبيد] في إبرام ما يشاؤون من العقود ، دون أي قيـود تحد من هذه الحرية سوى الأطر الخاصة بضوابط بعض العقود وما يتعلق منها بالصالح العام ٠

٣- جعلت نفاذ كافة العقود يكون بناء على اتفاق الأطراف المتعاقدة ، وليس لأي إرادة أخرى دخل في ذلك ٠

٤- أقرت صراحة بطلان جميع العقود التي ينعدم فيها ركن الرضا لأحد أطرافها – أو كان بها عيب من عيوب الإدارة مثل الغلط أو الغش أو الـتدليس ٠٠٠٠ الخ ، وهذا البطلان كان بطلان مطلق أي كان يزيل كل الآثــار الــتي ترتب على العقود التي تم بطلانها – وذلك لأنه لم يثبت أن الـنظام القــانوني الحيثي قد عرف فكرة البطلان النسبي والفرق بينه وبين البطلان المطلق ٠

٥- حـــددت الشروط التي يجب توافرها في عقود الإيجار من حيث قيمة الأجرة والتزامات التي تقع على كل من المؤجر والمستأجر أثناء نفاذ العقــد ، وما يجوز لكل طرف أن يطالب به في حال إخلال الطرف الآخر بالتزاماته ٠

٦- نظمـــت بشـــكل متسع عقود الرهن والكفالة – كما أباحت لكل طـــرف في أي عقد من العقود الأخرى وعلى الأخص عقود البيع والإيجار أن يكـــون لـــه الحق في الرهن على أموال الطرف الآخر لضمان تنفيذ ما عـــليه مـــن التزامات – كما منحت للطرف الدائن ضمان عيني يكفل لـــه الحصول على دينه عند تخلف الطرف المدين عن الوفاء به سواء أثناء نفاذ العقد أو بعد انتهاء مدة سريانه ٠

٧- جعلت مبدأ حسن النية من الأساسيات اللازمة لنفاذ وسريان كل العقـــود – وفرضت عقوبات شديدة على كل طرف يخل بهذا المبدأ ، مثل إلزامه بدفع تعويض يعادل ثلاث أضعاف قيمة ما التزم به للطرف الآخر ، وعدم أحقيته في استرداد ما يكون قد دفعه للطرف الآخر عند إبرام العقد ، وعدم صحة اكتسابه لأي حق من حقوق الملكية أو الإيجار أو الحيازة مادام قد ثبت سوء نيته مع الطرف الآخر ٠

٨- حـــددت الفوائـــد الخاصة بعقد القرض ، وذلك من أجل حماية المقترضين الضعفاء من أن يتعرضوا أمام شدة احتياجهم للمال إلى عمليات

استغلال أو ابتزاز من جانب الممولين الكبار – ولذلك جعلت الحد الأخص للفوائد لا يزيد عن نصف قيمة القرض ولا يقل عن ٢٥ % في السنة إذا كانت توجد ضمانات كافية عند المستدين – أما إذا كان المستدين لا يملك ضمانات كافية فيجوز للمقرض هنا أن يرفع الفوائد إلى ضعف قيمة القرض في السنة – وفي حالة ما إذا كان لا يوجد عنده أي ضمانات على الإطلاق كان يحق للمقرض أن يرفع الفوائد إلى مائتين أو ثلاثمائة في المائة على المستدين على أساس أنه يخاطر في إقراض أمواله لشخص لا يحمل بين يديه أي ضمانات لسداده ٠

٩- أباحت نظام الرق بسبب الديون حيث اعتبرت أن هذا يمثل النتيجة المتوقعة لأي تصرف أحمق من جانب بعض الأفراد الذين يستدينون بدون وعي مبالغ أكبر مما تتحمله مقدرتهم ولهذا السبب كان المدين يضع نفسه ضمانا لسداد الدين – فإذا لم يستطع أن يسدد ما اقترضه في خلال المدة المتفق عليه ، فإنه يصبح عبدا لدائنه – ويجوز لهذا الدائن أن يسخره في أشق الأعمال أو أن يقوم ببيعه لكي يعوض ما تكبده من خسارة [١] ٠

---

(١) انظر في ذلك :

د ٠ محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٣٥٣ ٠

د ٠ نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – مرجع سابق ص ٢٦٤ وما بعدها ٠ ==

ثالثا : في مجال الملكية :

نظمــت أحكــام عديــدة في النظام القانوني الحيثي عمليات الملكية الخاصــة لأفــراد الشعب سواء كانت للمنقولات أو للعقارات – وأهم هذه الأحكام تتلخص في الآتي :

١- جعلت الحيازة في المنقول دليل على ملكية الحائز للشيء الذي يحــوزه – مادام لم يدعي أحد من الأشخاص ملكيته لــه بأدلة مؤكدة تثبت أحقيــته فــي ذلك ، وتثبت أيضا عدم إهماله في المحافظة على حيازة هذا الشــيء ، أو تــركة بدون عناية في الطريق العام ليكون في متناول المارة لكــي يســتحوذوا عــليه اعتقادا منهم بأنه قد أصبح من المتروكات الغير مملوكة لأحد .

- Ralph linton – TREE of culture – op . cit – p 245 .
- L. Delaporte – les Hittite – cp . cit – pp 88 et .
- G. Contenau . la civilisation des Hittites et des Hurrites du Mitanni – op . cit p . 291 ets .
- G. Maspero – Histoire ancienne des peuples de l'orient – op . cit – pp 187 ets .
- A. Moret – Des clans aux empire – op . cit – pp 210 – 213
- R. Dussaud – les Religions des Hittite – op . ict – pp 227 – 229 .
- E. Covaignac – Ras shamra et l'empir Hittite – op . cit – pp 219 – 222 .
- A. Aymard et j Auboyer – Histioire Generale des civilisation – op . cit – p . 205 .

٢- ألـزمت جميـع المشترين للأراضي الزراعية أن يقوموا خلال سـنة من إبرام عقد البيع بتدوين المساحة التي قاموا بشرائها في السجلات الخاصـة بالمساحة الزراعية الموجودة في كل الأقاليم الحيثية ، وذلك لكي يعـترف لهم رسميا بملكيتهم للمساحة الزراعية التي قاموا بشرائها بموجب عقد بيع صحيح في كافة أركانه .

٣- ألزمت جميع ملاك العقارات في كل إقليم بضرورة دفع ضريبة تعـادل ١٠ % من قيمة العقار سنويا لأله هذا الإقليم ، وذلك بأن تسلم إلى خزيـنة المعـبد الرئيسـي الذي كان يوجد في الإقليم من أجل أن يستمر الاعـتراف رسـميا بأحقيـة هؤلاء الملاك في ملكيتهم للعقارات التي في حوزتهم شرعا وقانونا .

٤- أبـاح لكـل فرد أن يتملك أي قطعة أرض بور وغير مملوكة لأحد إذا قام باستصلاحها وزراعتها ببعض المحاصيل الزراعية .

٥- وحيث أن النظام الاجتماعي للدولة الحيثية كان قائما على النظام الطبقي – وكان الإقطاعيون يحتلون الطبقة الثالثة ويسيطرون بنفوذهم وقوة اتـباعهم عـلى بعض المناطق التابعة للدولة الحيثية إلى جانب أنهم كانوا يملكون نفوذ وسلطات داخل كيان المجتمع الحيثي، فقد أدى ذلك إلى وجود بعـض القيـود على المزارعين الذي ينتمون لعامة الشعب ويمثلون الطبقة السادسة في تملك مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية في بعض الأقاليم

والمقاطعــات على أساس أن الأراضي الزراعية كانت تعتبر أهم العقارات الــتي يرتكــز عــليها الإقطاعيين في ثرائهــم وفي إبراز كيانهم وفرض نفوذهــم [١] .

هــذا بالنســبة للأحرار في أمور المعاملات وإبرام العقود المختلفة وفــي مــلكية العقارات والمنقولات – أما بالنسبة للعبيد فكانت لديهم بعض الحقوق التي تسمح لهم فقط ببعض عمليات البيع والشراء والتجارة البسيطة جدا داخل البلاد – أما بالنسبة لعمليات تملك الأراضي الزراعية وإبرام أي عقــود خاصة بالقروض والرهن والكفالة فكانوا محرومين منها تماما بحكم وضــعهم الاجتماعي – وبالتالي فإذا كان القانون الحيثي قد نظر إلى العبد نظــرة إنســانية مــثل ما كان سائدا في مصر الفرعونية وفي بلاد ما بين النهرين إلا أن العبد بحكم وضعه الاجتماعي كان لا يقف على قدم المساواة مع الحر – كما كان عبارة عن شيئا مملوكا لسيده ، ورغم الاعتراف لــه بالــزواج وفــي أن يكــون لــه ذمة مالية مستقلة إلا أنه كان يرتبط دوما

---

(1) B. Hrozny – sur un cachat Hittite ….. op . cit – pp 241 ets .
- R. j . BRAID wood – the Near east …. Op . cit – pp 277 – 279 .
- E. covaignac – Ras shamra et l'empire Hittite – op . cit – pp 227 – 229 .
- مؤلفــنا (مــدى التقارب والتباين في الطابع الحضاري لأهم نظم وشرائع مجتمعات العصور القديمة) مرجع سابق – ص ١٩٦ ، ص ١٩٧ .

بشخصية سيده الذي كان يتمتع بالسيطرة الكاملة عليه باعتباره مملوكا لـــه وأي تمرد من جانبه قبل سيده كان يعرضه للحكم عليه بالموت [١] .

---

(١) د ٠ محمــود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابـــق – ص٣٥٦ – ٣٥٩ ،
د – نــور الديــن حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – مرجع سابق – ص ٢٦٧ .

المبحث الثاني
أهم الأحكام المتعلقة بنظام الأسرة والزواج والطلاق والإرث

****

لـم يعـالج النظام القانوني الحيثي نظام الأسرة والزواج والطلاق والإرث بنصوص كاملة مدونة في أبواب أو فصول خاصة بها وجعلها ذات اعتـبار في مواد المجموعتان التي دونت على اللوحتان ، مثل ما اتبع من قـبل في **قانون حمورابي** الذي تأثر به التشريع الحيثي • وإنما عالج هذه الموضوعات بقواعد متفرقة [١] ، بعضها نصوص مدونة بين ثنايا التشريع والـبعض الآخر كان عبارة عن قواعد عرفية ، وعدد محدود من القواعد الديـنية [كما سبق أن أشرنا] – ولذا لم يوجد نظام شامل وواضح في كل جزئياته عن هذه الموضوعات بالكامل ، يمكن من خلاله أن نطرح بسهولة كل أصوله في ضوء تأصيل تاريخي ثابت لا يقبل مطلقا الطعن عليه بالظن أو الـتخمين ، بل كل ما هو موجود إمامنا ليس سوى قواعد متفرقة تحتاج إلى جهـد في حصدها حتى يتم الوقوف على بعض الأصول التي استندت علـيها فـي معالجة هذه الموضوعات – وبالتالي فإن الأحكام التي سوف نعرضها في هذه الدراسة كمنظمة لهذه المسائل قد أمكن تجميعها من بعض الوثائق التاريخية الخاصة بالنظم القانونية التي عثر عليها ضمن الآثار التي

---

(١) د • محمـود السـقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابـق ص ٣٦٠ •

خلفتها الحضارة الحيثية في **بوغار كوي** وفي بعض مناطق الأناضول بآسيا الصــغرى ، وهي إن كانت لا تمثل المحتوى الكامل لكل موضوع من هذه الموضــوعات وإنما أجزاء منه فقط ، إلا أنها يمكن أن تعطي رؤية مفسرة عــن بعض الأساسيات المحددة التي كانت تتبع في تنظيم الهيكل العام لهذه الموضــوعات دون أن تــنزل فــي مضمونها إلى مستوى التخمينات [١] ، وعــلى هــذا الأساس فإن أهم هذه الأحكام اليقينية التي ترتكز على أصول ثابــتة ومصــادر موثــوق بهــا بخصــوص معالجة بعض جزئيات هذه الموضوعات – تتلخص في الآتي :

أولا – بالنسبة لنظام الأســرة :

سبق أن أشرنا أن الأسر الحيثيه قد أصبحت في عهد الإمبراطورية الحيثيه القديمة ثم الحديثة تشبه في تكوينها نظام الأسر الموجودة في أرقى المجــتمعات الحضــارية الــتي كانت تعيش حياة المدن، وذلك لأن الشعب الحيــثي قــد ترك حياة العشائر والقبائل أو المجموعات الكبيرة التي كانوا يرتــبطون فيهــا **بوشائج القرابة** ، وذهب منذ بداية تأسيس الدولة الحيثيه الموحــدة إلى حياة الأسر الصغيرة التي لا تزيد الرابطة فيها عن الوالدين والأطفــال والخــدم ، ومع تطور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية أصبح هذه الهيكل هو النظام الأساس لتكوين الأسرة في المجتمع الحيثي [٢] .

(1) J. Gaudement – institutions de l'Antiquite – op . cit – p 89.
(2) V.G. CHILDE – New light on the most Ancient east- op . cit – p . 133 .

١- القـــانون الحيثي لم يوضح بصورة كاملة طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين أفراد الأسرة ، رغم أنه كان يجعل الأسرة تمثل أقوى وحدة اجـتماعية ، وذلــك مثل العلاقة بين الأب والأم أو بين الأباء والأبناء أو ســلطة رب الأسرة في تنظيم أوضاعها وضبط سلوك أفرادها – ولكن من خــلال نصوص متفرقة يمكن أن نحدد بعض هذه العلاقات التي قد تعطي رؤيــة عــن بعض ملامح نظام الأسرة خلال عهود الإمبراطورية القديمة والحديــثة ، وذلــك مــثل نص المادة ١٧١ من القانون الحيثي التي تعطي للأرمــلة أو المطلقة حق طرد ابنها العاق من بيت العائلة في حالة ارتكابه الفاحشــة أو التمادي في ارتكاب الخطأ ، حيث يستفاد من نص هذه المادة بأنه إذا كانت سلطة الأم هكذا فإنه من باب أولى أن تكون على الأقل سلطة الأب كذلــك ، إي يمكــن أن يكون للأب نفس السلطة في أدنى الحدود من واقع القياس على سلطته داخل الأسرة ٠ وأيضا نص **المادة** ٤٨ من القانون الحيثي تعطي للأب حق بيع ابن من أبنائه ، ورغم أن النص لم يحدد سبب أو عــلة هــذا البيع إلا أنه يعبر بدون أدنى شك على أن سلطة الأب كانت قويــة داخل الأسرة – وكذلك نص الفقرة الأولى من المادة ٤٤ من القانون الحيثي أيضا التي تقرر بأن للأب أن يعطي أبنه مبلغا من المال أو عددا من رؤوس الماشية أو كمية من المحاصيل الزراعية أو أي شيء ذات قيمة لكي يدفعها كدية في حالة ارتكابه بدون عمد جريمة إلقاء غلام في نار مشتعلة ، فــان هــذا النص يدل أيضا بأن الأب كانت لــه سلطات كبيرة في تنظيم أوضاع أفراد أسرته وحل مشاكلهم في الداخل والخارج ٠

٢- ومن استقراء كل النصوص التي أمكن تجمعها بالنسبـــــــة لـــنظام العلاقات داخل الأسرة اتضح أن القانون الحيثي لم يعطي لــــلأب حق الحياة والموت على أبنائه مثل ما كان مقرر في معظم التشريعات التي عاصرته [١] .

٣- **المادة ١٩٧** من القانون الحيثي قد أعطت للزوج الحق في قتل زوجــته ومن يزنى بها إذا ضبطهما في حالة تلبس [٢] - حيث فرقت بين المرأة المتزوجة إذا اغتصبها رجل بعد أن يأخذها بالقوة إلى مكان مهجور أو إلى الجــبل ، وبيــن المرأة التي تصطحب آخر إلى بيت الزوجية لكي يواقعهــا برضــاها - ففي الحالة الأولى جعل مظنة الاغتصاب قائمة تجاه الــرجل ومــن هنا كان يحكم عليه وحدة بعقوبة الإعدام على أساس أنه لا جــناح عــلى المرأة إذا كانت الظروف التي ألمت بها لا تسمح لها بطلب النجدة أو الاستغاثة أو المقاومة بمفردها ٠٠٠٠ في حين الحالة الثانية ، فإن الوقـــائع تشير بدون أدنى شك إلى موافقة الزوجة على أساس أن كل الأدلة المؤكدة تثبت بأنها هي التي اصطحبت عشيقها إلى منزل الزوجية وأن هذا العشـــيق قـــد واقعهـــا برضاها ، ومن هنا يعتبر ما اقترفته جرما في حق

---

(١) د . محمــود السقا - . تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابــق - ص ٣٦٦ .

(٢) د . نــور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - مرجع سابق - ص ١٦٨ ، ص ١٦٩ .

- J. Gaudement – institution de l' Antiquite – op . cit – P . 90 .

زوجها – فتتعرض هي وعشيقها لعقوبة الإعدام [١] ·

ثانيا : **بالنسبة لنظام الزواج** :

١- كـان الـزواج عن الحيثيين يتم طبقا لما أشارت إليه نصوص القانون بأحد طريقين – الخطف أو الشراء – **فالصورة الأولى** : طبقا لنص المـادة ٢٨ مـن القـانون الحيثي كان الخطف هو الطريق الممهد للزواج الحيـثي ، وبعـض الباحثين قد أشار بأنه كان الشكل الأول الذي ساد عند الحيثيين في عقد زواجهم – ونص **المـادة ٢٨** يشير بأنه إذا خطب شخصا إحـدى الفـتيات ثم جاء شخص آخر وخطف هذه الفتاة ليتزوج منها ، فإن عـليه أن يعوض الخطيب المضرور عن الأضرار التي لحقت به ، ورغم أن الخطـف قد أدى إلى حدوث مشاكل خطيرة في المجتمع الحيثي وأرقت بسـببه الدمـاء بين الأسر والقبائل المختلفة · إلا أنه من مضمون نـص **المادة ٢٨** يتضح أن هذا الخطف كان حق طبيعي ومشروع للحصول على زوجـه ، عـلى الـرغم أنه كان يؤدي في حالات كثيرة إلى إنشاء روابط زوجية غير منتظمة وتنتهي في أغلب الأحيان بالفشل أي بانفصال الزوجين عن طريق الطلاق ·

أمـا الصـورة الثانية للزواج الحيثي وهي عن طريق الشراء فقد نصت عليها المادتان ٢٩ ، ٣٠ – بأن الخاطب كان يقوم بدفع ثمن خطبته

---

(١) د · محمـود السـقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابـق – ص ٣٦٥ ·

وهو ما يطلق عليه [**الكوزاتا**] التي تتماثل مع [**التوراهاتو**] عند البابليين وإن هـذا الخـاطب كـان يقدم هذه [الكوزاتا] عند الخطبة أو عند الوعد بإبـرام الزواج مستقبلا [١] – **فإذا حدث إن تزوجت الفتاه من شخص آخر** غير خطيبها الذي أخذت منه [**الكوزاتا**] بدون دخل من أبوها أو أمها كان يجـب على هذا الشخص الآخر أن يرد من ماله الخاص قيمة [الكوزاتا] **إلى الخاطب الأول – أما إذا كان أبوها أو أمها هما اللذان قدماها كزوجة له** فإنهما يلتزمان برد [**الكوزاتا**] للخاطب الأول ، **وفي حالة عدم رضاء هذا** الخاطب بذلك **ووصل الأمر إلى حد المنازعة في أمر خطبته فإن المادة ٢٩** قـد أشـارت أيضا بأن والد الزوجة وأمها يلتزمان برد ضعف [**الكوزاتا**] كجزاء على ما ارتكبوه نحوه ولحل هذا النزاع ٠

وقـد اختـلفت أراء الباحثين حول تحديد طبيعة [**الكوزاتا**] ومدى أهميـتها ، وإلى مـن تدفـع ، فبعضهم قرر بأنها عبارة عن هدية يدفعها الخطيـب لخطيبـته وليس ثمنا لشرائها للزواج منه ٠ والبعض الأخر قرر عكـس ذلـك ، وأشار بأنها تمثل ثمنا لشراء المرأة يدفعها الخطيب لأهلها بمناسـبة إقدامه على الزواج منها ، وأنها بعد أن تدفع تعتبر بمثابة ارتباط في صورة تعاقد يلزم بمقتضاه تسليم المرأة لزوجها ، وهذا الرأي هو الرأي الراجح ٠

---

(1) L. DELPORTE – les Hittite – op . cit – p 217 .

بجانب [**الكوزاتـــا**] كان والد الزوجة يدفع لها [**الاوارا**] كنوع من الدوطه يماثل ما كان يطلق عليه في بابل [**بالثيريكتو**] وهــذا [**الاوارا**] يكون مملوكا للزوجة وليس للزوج أي حق في تملكه وإنما له حق الانتفاع به فقط أثناء الحياة الزوجية – فإذا توفيت الزوجة انتقل هذا [**الاوارا**] إلى أبنائها ٠

وأيضـــا كـــان الزوج يدفع أيضا طبقا **للمادة ٢٧** من القانـــــــون الحيثي مقدم صداق لزوجته كان يطلق عليه [الاشو] بمناسبة إقدامه على الـــزواج وهـــو يماثل مقدم الصداق عند البابليين والذي كان يطلـــــــق عليه [**النودونو**] [١] ٠

٢- كـــان والد الفتاة لـــه دور هام في أمر زواجها حيث كان ينظم بنفسه عملية زواجها بكل دقة – ويوجد إجماع من جانب الباحثين يشير بأن الأم قـــد لعبت أيضا نفس الدور في زواج ابنتها ، وكانت تشارك الأب في كل الإجراءات الخاصة بالزواج حتى يتم تسليم الابنة إلى زوجها ٠

٣- لـــم يتـــناول القـــانون الحيثي الشروط الخاصة التي كان يجب توافـــرها لإبرام الزواج الشرعي– سوى الإشارة فقط في ثنايا هذا القانون

---

(١) د ٠ محمـــود الســـقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابـــق – ص ٣٦١ ، ص ٣٦٢ ٠

- j . Gaudement – institutions de l'Antiquite – op . cit – p. 9 1.

بأن عقد الزواج كان من قبيل العقود المدنية التي دعمت بعد ذلك في عهود الإمبراطورية القديمة والحديثة ببعض الأصول الدينية لكي يضفي عليه طابع الأهمية عن العقود المدنية الأخرى .

٤- نظام تعدد الزوجات كان لا يطبق بالنسبة لعامة الشعب ، حيث كان غير مسموح مطلقا لأي فرد من إفراد عامة الشعب أن يتزوج بأكثر من واحدة إلا إذا كانت زوجته عقيمة أو بها مرض شديد يجعلها غير قادرة على تحمل مهام الحياة الزوجية – في حين كان يطبق بين أفراد الطبقات العليا ، بداية من الملك حتى قادة الجيوش ، أي كان مسموح به فقط لأصحاب المكانة العليا أو المراكز المرموقة في المجتمع الحيثي – وتشير الوثائق التاريخية بأن الملك عندما كان يتخذ زوجة ثانية له – كانت هذه الزوجة لا ترقى إلى مصاف الزوجة الأولى التي كانت تأخذ صفة الملكة ، وإن كان يحق لأبناء هذه الزوجة الثانية أن يجلسوا على العرش إذا قام الملك بتقديم أحدهم للمجلس وأخذ وعدا من أعضاءه بأن يخلفه هذا الابن في الحكم بعد وفاته ، وذلك بشرط إلا تكون له أبناء ذكور من زوجته الأولى [الملكة] – وأيضا كان يحق لهذا الملك أن يكون له نساء أخريات ومحظيات عديدات ولكن لا يكون لأولادهن الذكور أي حق في يخلفوا أبوهم الملك في الحكم بعد وفاته مثل أولاد الزوجة الثانية [١] .

---

(١) د . محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق ص ٣٦٠ .

٥- فـــي بدايـــة ظهـــور الحيثيين على مسرح التاريخ كان ممنوع الـــزواج بيـــن أفراد القبيلة الواحدة - ثم بعد أن دخلوا في العهود الأخيرة للنصـــف الثاني لعصرهم الحجري الحديث وبداية دخلوهم الأعتاب الأولى لعصـــورهم القديمة اقتصر المنع على أفراد الأسرة الواحدة (١) [وذلك كما ســـبق أن أشـــرنا مـــن قـــبل] - أمـــا بعد تبلورت حضارتهم في عهود الإمـــبراطورية القديمـــة والحديثة فقد أصبح هذا المنع في ضوء النصوص التي وضعت في هذا الخصوص على الأقارب الذي يرتبطون بحبل النسل المباشر مثل ما بين الأب وأبنته ، وبين الأم وابنها ، وبين الأخ وأخته كما حـــرم أيضا الزواج بين الابن وزوجته أبيه فقي حالة ما إذا كان هذا الأب عـــلى قيـــد الحيـــاة - وقد فرضت المادة ١٨٩ من القانون الحيثي عقوبة الإعدام على أي علاقة جنسية تتم سواء كانت بزواج أو من غير زواج بين من يرتبطون بحبل النسل المباشر ، كما فرضت الفقرة الأولى والثانية من المـــادة ١٩٥ عقوبة الإعدام أيضا على العلاقات الجنسية التي تتم بين أي شخص وزوجة أخيه حال حياته ، أو بينه وبين أخت زوجته ٠

٦- لم يتناول القانون الحيثي أي إشارة عن السن المطلوب للزواج سواء بالنسبة للزوج أو بالنسبة للزوجة ، سوى ما هو كان مستقر عرفيا في المجتمع الحيثي وهو اكتمال بلوغ الزوجين لكي يمكن أن تقام بينهما العلاقة الزوجية بعد إتمام الزواج الشرعي بينهما ٠

---

(1) V. G. childe – New light on the mast Ancient East – op . cit – pp 143 ets.

٧- اعترف القانون الحيثي في المواد ٣١، ٣٢، ٣٤ ، ٣٥ بشرعية الزواج بين الارقاء ، وكذلك بين الارقاء والاحرار - حيث نص في المادة ٣٢ بأنه للعبد أن يتزوج زواجا شرعيا من عبده مثله ، أو من حرة - ومثل زواج الأحـــرار كـــان زواج الأرقاء يسبقه دفع مبلغ من المال يمثل صداق الزواج وهو [**الكوزاتا**] الذي يقابل[كما سبق أن أشرنا] دفع [**التوراهاتو**] في الزواج البابلي وذلك طبقا لنص المادتين ٣٤ ، ٣٥ .

- والقانون الحيثي كان يسود فيه مبدأ تأثر المرأة بحالة زوجها في حالـــة العـــبودية أو الحـــرية مشترطا أن تتم مدة معينة حتى تتغير الحالة الاجتماعية للمرأة وتأخذ حالة زوجها بعد الزواج وهذه المدة كانت تتراوح بين السنتين والأربع سنوات [١] .

٨- تطـــابق القانون الحيثي مع النظام القانوني في بابل بخصوص شخصية الزوجة ومدى ذمتها المالية - حيث منحها شخصية قانونية تسمح لها بأن تكون لديها ذمة مالية مستقلة عن ذمة زوجها ، وأعطاها الحق في أن تتمـــلك الأمـــوال وتتصرف فيها بحرية كاملة ، وإن تتعاقد وتدافع عن حقوقهـــا دون إذن مـــن زوجهـــا أو الرجوع إليه حين تنفيذ العقد أو إجازة سريانه قانونا [٢] .

---

(١) د . محمـــود السـقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابـق - ص ٣٦٢ ، ص ٣٦٣ .

(2) O.R.GURNEY- the Hittite Harmond sworth- op. cit- p 226.

٩- حـــدد القانون الحيثي الأشخاص الذين يمكن للأرملة أن تتزوج مـــنهم زواجـــا شرعيا ، وهم أخ زوجها المتوفى ، وفي حالة عدم وجوده يكـــون لـــلأب ثم للعم ثم للخال ٠ كما أجاز القانون الحيثي أيضا للابن أن يـــتزوج مـــن زوجـــة أبيه بعد وفاة الأب طبقا لنص المادة ١٩٠ - أما إذا تـــزوجها والأب مازال على قيد الحياة فإنه كان يعاقب بالإعدام [كما سبق أن أشرنا] ٠

١٠- كانت العادة السائدة في المجتمع الحيثي هو أن الزوجة تسكن مـــنزل زوجها الذي يعده لها بمناسبة الزواج - وفي حالة استثنائية واحدة كانت الزوجة تسكن في منزل عائلتها الأصلي والزوج هو الذي ينتقل إليها إذا لـــم يكـــن لوالـــدي الزوجة أبناء آخرين يساعدوهما في مواجهة أعباء الحيـــاة [١] ٠

ثالثا - بالنسبة لنظام الطلاق :

من واقع نصوص المواد ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ من القانون الحيثي يتبين أن أحكام الطلاق تتلخص في الآتي :

١- أنه يجوز للزوج أن يطلق زوجته إذا كانت لا تنجب أو أصبح لا يطـــيق عشـــرتها في منزل الزوجية شرط أن يعطيها حقوقها التي اتفق

---

(١) د ٠ محمـــود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابـــق - ص ٣٦٣ ، ص ٣٦٤ ٠

عـليها عـند إبـرام عقـد الزواج بخصوص حالة الانفصال – وعلى هذا الأسـاس كـان الطلاق من حق الزوج كقاعدة عامة بشرط إلا يحدث منه ضررا جسيما للزوجة ٠

٢- كـان يجـوز للزوجة أيضا أن تطلب الطلاق إذا كان زوجها يسـيء معاملـتها في منزل الزوجية ، ويقوم بالاعتداء عليها بكل قسوة أو وحشية وأحدث من جراء ذلك إصابات جسيمة في جسدها ٠

٣- في حالة الطلاق بين زوج حر وزوجة عبده بعد أن أنجبت منه أولاد – كان الزوج الحر يأخذ كل الأولاد ما عدا ولد واحد كان يعطي للأم العـبدة – وذلـك لأنه على فرض أن الزوجة قد استمرت فترة طويلة مع زوجها تزيد عن أربع سنوات وتغيرت حالتها الاجتماعية وأصبحت حرة – فإنـه بعـد الطلاق تعود إلى حالتها الأولى ويخلع منها ثوب الحرية الذي ارتدته أثناء الحياة الزوجية مع زوجها الحر وتصبح بالتالي عبده ٠

وعلى العكس إذا كان الزوج هو العبد والزوجة كانت حـرة فإنها بعـد الزواج تتأثر بحالة زوجها وتصبح بعد مضي المدة المقررة وهـي مـن سـنتين إلى أربع سنوات عبده [كما رأينا من قبل] فإذا انجبت من زوجهـا أولاد ثم حدث طلاق فإنها تعود إلى حالتها الأولى وتصبح حرة ، وتـأخذ كـل الأولاد ما عدا ولد واحد يلحق بالزوج الذي لازال ينتمي إلى حالة العبودية ٠

٤- كان من حق الزوجة سواء كانت حرة أو عبده أن تشترط على زوجها عند إبرام عقد الزواج بأن يدفع لها تعويض مناسب من الأموال إذا طلقها لأسباب ترجع إليه هو وليس لها دخل فيها أثناء الحياة الزوجية - كما كـــان يحـــق لها أن تشترط عليه أيضا بأن يقوم بتطليقها مع دفع تعويض مناســب لها في حالة إذا ما تزوج من غيرها - وهذه الأوضاع قد اقتبسها الحيثيون من النظام الذي كان متبع في بلاد ما بين النهرين •

٥- بعـــد أن يـــتم الطـــلاق كـــان يتم تقسيم الأموال المشتركة بين الـــزوجين ســـواء كان الزوج قبل الزواج حز أو عبد أو كانت الزوجة قبل الزواج حرة أو عبده - لأنه كان لا يوجد أي فرق بين الزواج بين الأرقاء والـــزواج بيـــن الأرقـــاء والأحـــرار من حيث الذمة المالية ومآل الأموال والحقوق بعد إنهاء الحياة الزوجية بالطلاق [١] .

رابعا - بالنسبة لنظام الإرث :

لـــم يوجـــد في النظام القانوني الحيثي مجموعة نصوص كاملة عن

---

(١) د • محمـــود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابق - ص ٣٦٥ ، ص ٣٦٦ - مؤلفـــنا - [مدى التقارب والتباين في الطابع الحضاري لأهم نظم وشرائع مجتمعات العصور القديمة] مرجع سابق - ص ١٩٧ •

- R.Dussaud – les Religions des Hittite- op. cit – p 235 ets.
- O.R. GURNEY- the Hittite Harmand sworthe- op. cit – pp 229 ets.

نظـــام الإرث وإنما كانت توجد فقط قواعد متفرقة بعضها نصوص مدونة مـــثل المواد ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ١٩٢ ، ٠٠٠ والبعض الآخر قواعد عـــرفية أو ديـــنية - وعلى هذا الأساس فإنه من استقراء هذه القواعد بعد تجميعهـــا يمكن أن نعطي إلى حد ما صورة عن نظام الإرث في المجتمع الحيثي يتلخص مضمونها على النحو الآتي :

١- إذا توفيت الزوجة قبل الزوج تعود **[الدوطة]** للزوج في حالة مـــا إذا كان متخذ لـــه مسكن خاص للزوجية - أما إذا كان متخذ من بيت صـــهره مسكنا له حال قيام الحياة الزوجية ، فإن حقه يسقط في **[الدوطة]** بعـــد أن تـــتوفى زوجته - أما بالنسبة **[للاشو]** فإنه يظل طبقا لنـــص **المـــادة ٢٧** مـــن القـــانون الحيثي ملكا للزوج ومن ثم يعود إليه بعد وفاة زوجته سواء كان متخذا لها مسكن خاص أو كان يقيم معها في بيت صهره طوال قيام الحياة الزوجية •

٢- إذا ما توفى الزوج قبل زوجته - فإن الزوجة يكون لها نصيب معـــلوم فـــي أمـــوال زوجها المتوفى طبقا لنص **المادة ١٩٢** من القانون الحيثـــي •

٢- أعـــطى القـــانون الحيثي لجميع الأولاد الشرعيين ذكورا وإناثا الحق في أن يرثوا ثروة أبيهم بعد الوفاة- كما أعطاهم نفس الحق في حالة وفـــاة أمهـــم - وأنه كمثل قانون بلاد ما بين النهرين قد ساوى بين هؤلاء الأولاد في الميراث سواء كانوا ذكورا أو إناثا- أي لم يكن للذكور نصيـــب

أكـبر مـن الإناث كما لم يكن للابن الأكبر نصيب أكبر عن باقي أخواته الشرعييـن .

٤- كـان لا يجوز للأب أن يحرم أحد أبنائه من الميراث بعد وفاته إلا لأسباب قهرية أو خطيرة مثل أن يكون فاسدا أو من محترفي الإجرام أو يكون من ضمن الذين يأخذون وصف الابن العاق لوالديه – وهذه القاعدة قد أخذهـا أيضـا القـانون الحيثي من النظام الذي كان سائدا في بلاد ما بين النهرين في مثل هذه الحالات .

٥- أجـاز القانون الحيثي للأب حق تفصيل أحد أولاده على أخوته في التركة بعد وفاته عن طريق الهبة .

٦- إذا كـان القانون الحيثي قد حصر حق الإرث في تركه الأب بعد وفاته لأولاده الشرعيين – ولم يعطي أي إشارة عن مصير أولاده غير الشرعيين ، فإن معنى هذا [وهو الاحتمال الأكبر] أنه كانوا محرومين من الميـراث في تركة أبيهم بعد وفاته ، وذلك قياسا على ما جاء من نصوص بالنسـبة لأولاد المـلك من المحظيات حيث لم تكن لهم حقوق شرعية في الإرث عند وفاة الملك الأب .

٧- إذا كـان النظام القانوني في بلاد ما بين النهرين لم يساوي بين الأولاد مـن الأم الحـرة والأولاد من الأم العبدة – حيث أعطى الحق في الميراث للأولاد من الأمم الحرة فقط ولم يعطيه للمولدين من الأم العبـدة–

فـــإن النظام القانوني الحيثي قد تميز عنه تماما في هذه الحالة حيث ساوى بينهم تماما في الميراث سواء كانت الأمم حرة أو عبده أو كان الأب حر أو عـــبد ، وعله ذلك أن القانون الحيثي قد أجاز الزواج بين الأرقاء والعبيد ، واعـــترف به كزواجا شرعيا مماثل تماما في الحقوق والآثار المترتبة عليه نظام الزواج بين الأحرار في حين أن قانون بلاد ما بين النهرين لم يعترف مطـــلقا بشـــرعية الـــزواج بين الأحرار والأرقاء ، ولذلك فإذا كان القانون الحيـــثي قد اقتبس نصوص عديدة من قانون بلاد ما بين النهرين في مجال تنظيم الأسرة وعمليات الزواج والطلاق والإرث إلا أنه كانت توجد قواعد خاصة في القانون الحيثي جعلته يتميز في بعض الأوجه عن قانون بلاد ما بيـــن النهرين في هذا المجال ، وهذا التميز وإن كان في حدود غير متسعة إلا أنه قد أضفى عليه طابع حضاري خاص بالمجتمع الحيثي ٠

٨- أخـــذ القانون الحيثي بالقاعدة التي كانت سائدة في معظم قوانين المجتمعات المستقلة التي تألقت حضاريا في شرق وغرب العالم القديم وهي لا تركة إلا بعد سداد الديون - وذلك في حالة ما إذا توفى المورث قبل أن يسدد ما عليه من ديون حيث كان الورثة يلتزمون بسداد هذه الديون للدائن أو للدائـــنين قـــبل أن توزيع التركة عليهم إذا كانت تكفي وتفيض - إما إذا كـــانت لا تكفـــي لسداد كل الدين فكانوا لا يلتزمون بسداد الباقي للدائن أو للدائـــنين حـــتى لـــو كانت لديهم أموال خاصة ، عملا بمبدأ الذمة المالية المســـتقلة لكـــل شخص طبقا لأحكام النصوص العديدة التي أوردها القانون الحيثي بخصوص هذا الشأن مثل المواد ٣٤، ٣٦ ، ٩٥ ، ٩٩ ٠ وغير ذلك ،

مــن المواد الأخرى الموجودة ضمن نصوص المجموعتان التي تم وضعها في اللوحتان إلى جانب ما كان سائدا من قواعد عرفية ودينية عن استقلال الذمــة المالية لكل فرد من أفراد المجتمع الحيثي سواء كان ينتمي إلى أي طبقة من طبقات الأحرار أو كان من ضمن طبقة العبيد [١] .

---

(١) انظر في تفصيلات هذا الموضوع :

- د . محمــود الســقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – مرجع سابق – ص ٦٦ .
- د . نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – مرجع سابق – ص ٢٦٧ .
- د . مؤلفــنا – [مــدى الــتقارب والتباين في الطابع الحضاري لأهم نظم وشرائع مجتمعات العصور القديمة – مرجع سابق – ص ١٩٧ ، ص ١٩٨
- L.DELAPORTE- Les Hittite- op. cit- pp 221 ets.
- G. Contenau- La civilisation des Hittites – op. cit – pp 233 ets .
- R. Duss aud – les Religion des Hittite… op . cit – pp 241 ets .
- J. Gaudement . institutions de l'Antiquite -paris – 1967- p 92 .
- B. Horzny – sur un cachet Hittite… op. cit – p 273 ets .
- E. Cavaignac – Ras shamra et l Empir Hittite – op. cit – pp 241 ets .

الخاتمـــــــة

أن الحـتمية المـنطقية لكـل الوقائع التي حدثت على مر العصور المختـلفة تثـبت بلا أدنى شك أن تاريخ الإنسان يحوم دائما حول علاقته بالمجتمع ومدى تفاعله معه ، ومع التطور الذي حدث فيه – لأن الإنسان لم يصبح إنسان ولم تتضح مواهبه الإنسانية وتتبلور معارفه وخبراته إلا عن طريق الإحساس بحقيقة وجوده واستقراره وهو بداخل المجتمع – وبالتالي لولا هذا الوجود الاجتماعي الذي وجد فيه الإنسان واستقر تمام بداخله ، ما كـان هـناك حضارة • أو نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وقانونية – وعـلى هـذا الأساس عندما كان الشعب الحيثي يتجول عشوائيا في عهود عصره الحجري القديم، وفي أزمان النصف الأول لعصره الحجري الحديث وينتقل من مكان لمكان في مناطق غير معلومة حتى الآن على وجه التحديد في أسيا الصغرى ، أو حول جبال فارس ، أو في جنوب غرب آسيا عموما ولـم يـذوق فيهـا طعـم الأمان والاستقرار ، كان لا يمكن أن يحقق أي إنجازات حضارية ، لأنه في هذه الظروف كانت لا تتوافر المقومات الكاملة لوجـود المجـتمع الذي يشعر فيه كل إنسان حيثي بالأمان والاستقرار لكي يـتفاعل معـه ويشارك بكفاحه في ببناء أصوله الحضارية – وإنما بعد أن نـزح هذا الشعب في الغارة الكبرى إلي شمال سوريا وذاق لأول مرة طعم الأمـان والاستقرار ، ثم استطاع أن يكون مجتمع في موطن معلوم الحدود وكـانت هـذه الحـدود تتسع بين الحين والآخر نتيجة عمليات استصلاح الأراضـي وزراعتها بالمحاصيل المختلفة إلى جانب تعمير بعضها بالقرى والمدن العديدة ، ظهرت مواهب الإنسان الحيثي وتبلورت معارفه وخبراته

وتمكن بمشاركة إقرانه أن يصنع حضارة هذا المجتمع التي تعد من ضمن الحضارات الهامة والمميزة في شرق العالم القديم .

وإذا كان المجتمع الحيثي في بداية وجوده في آسيا الصغرى يعيش في حياة شبة منعزلة لفترة تزيد عن مائة عام ، فإن هذا لا يعني أنه كان منطويا على نفسه في فترة من الزمن ، بل كان يبني عناصره الذاتية بكفاح إفراده فقط ، حتى يظهر فجاءه ويكون قادرا على مواجهة أي قوة تحاول أن تعتدي عليه أو تفرض عليه نفوذها وسيطرتها – وهذه هي الحقيقة التي تبلورت إمامنا من خلال هذه الدراسة – لأن المجتمع الحيثي بعد أن خرج من فترة العزلة وفاجئ العالم القديم بقوة وجوده على مسرح التاريخ ، قام وهو يملك مقومات السيادة والنفوذ بإبرام علاقات عديدة ومتنوعة مع المجتمعات الإنسانية التي كانت متألقة حضاريا قبل ظهوره بآلاف السنين وهذه العلاقات قد تواشجت مع مرور الزمن ، وأحدثت تمازج بين الشعب الحيثي وشعوب هذه المجتمعات ، وهذا التمازج قد ساهم بقدر كبير جدا على بلورة أصول الحضارة الحيثيه وجعلها تتألق بين كافة المجتمعات المعمورة بالمجد الحضاري في الشرق القديم .

هذا رغم أن العلاقات التي تواشجت بين المجتمع الحيثي والمجتمعات الحضارية الأخرى لم تكن جميعها على نمط واحد وإنما بعضها كان قائم على روابط الود والصداقة والتآلف مثل التبادل التجاري ومعاهدات السلام والاتفاقات المتعلقة بالتحالف الدفاعي والهجومي ومعاهدات

التبعية والحماية ، والبعض الآخر كان قائم على التنافس السياسي أو الحرب أو الغزو والاحتلال ، وذلك لأن المجتمع الحيثي كان من ضمن المجتمعات الحربية في تاريخ العالم القديم وأسس إمبراطورية كبرى من عمليات الغزو والاحـتلال لأقاليم ومدن عديدة في آسيا الصغرى وفي شمال منطقة جنوب غرب أسيا ·

- وتـأكيداً لهذه الوقائع أيضا - أنه بعد انهيار المجتمع الحيثي من أثـر سـحق قواته في معركة قادش ، ثم تم فجوة من على مسرح التاريخ بالغارات الشرسة التي شنتها عليه القبائل الارية التي كان يطلق عليها قبائل شعوب البحر البربرية - تضعضت حضارته · لأن الإنسان الحيثي بعد أن سـقط مجـتمعه قد أصبح بلا هاوية ولا أمل وعاجز تماما عن تحقيق أي إنجـاز حضاري حتى ضاع هو الأخر وذاب في طيات الأجناس الأخرى الـتي كانت تقيم وتستقر في أقاليم قريبة من حدود مجتمعة السابق - وعلى هـذا الأسـاس فـإن القـول الـذي يردده معظم المؤرخين وعلماء الآثار والانثربولوجيا بأن التاريخ لا يتناول إلا أحداث الإنسان ، وإن الحضارة لا تصـنع إلا في حالة وجوده واستقراره داخل مجتمع ثابت الأركان والحدود المعلومة ، هو قول صحيح وصادق على مر عصور التاريخ ويطابق تماما فـي الواقع كل ما حققه الشعب الحيثي من إنجازات حضارية منذ ظهوره عـلى مسرح التاريخ حتى اختفي منه بالانقراض السريع ، كما يزيل حدة الغرابة في ظهور هذا الشعب فجاءة أمام العالم القديم وهو يملك القـوة

والسيادة والنفوذ ، واختفائه فجاءة ودخوله في عالم النسيان بعد إن فقد كل قواه وضاع موطنه وتشتت بلا أمل في البقاع المختلفة التي ذاب فيها أصله في طيات الأجناس الأخرى .

- بالإضافة إلى ذلك أيضا فقد انطبق على الحضارة الحيثية حقيقة أخرى في مجال التطور الحضاري وظهور النظم المختلفة وهي أن الشعوب المغلوبة على أمرها كثيرا ما تنقل أنظمة الشعوب التي تفرض عليها قوتها ونفوذها لأنها تتأثر دائما بتفوقها - وفي أحيان أخرى يحدث العكس عندما تكون الشعوب المغلوبة على أمرها هي التي على مستوى عالي من المدينة والرقي الحضاري من الشعوب التي تفرض عليها قوتها ونفوذها ، وذلك لأن الشعب الحيثي عندما كان يتجول عشوائيا في مناطق غير معلومة حتى الآن على وجه التحديد قد نقل بعض أصول حضارية من المجتمعات التي أحتك بها صدفة أثناء انتقاله المستمر من مكان لمكان آخر حيث وانبهر بما كانت تملكه من قوة ونفوذ وتطور ، وإن هذا قد ساعده على أن يخرج من أزمان العصر الحجري القديم ومكنه من دخول الأعتاب الأولى لعصره الحجري الحديث ، وأيضا عندما نزح في الغارة الكبرى إلى شمال سوريا واستكن فيها وهو لا يملك سوى أصول حضارية ضئيلة من بقايا النصف الأول لعصره الحجري الحديث ، قد اقتبس الكثير من العناصر الحضارية التي كانت مملوكة للشعوب التي كانت مستقرة في الأقاليم السورية مثل الكنعانين والأموريين والفينيقيين حيث انبهر بقوتها ونفوذها

وبمـــدى تألقها الحضاري وهذا النقل أو هذا الاقتباس هو الذي ساعده على التطور وبناء مجتمع مستقلة له في منطقة الأناضول بآسيا الصغرى ، وبعد أن أســـس دولـــة متحدة ، واتبعت هذه الدولة أساليب الفتح والاستيلاء لكي تتسع حدودها وتصبح إمبراطورية كبرى ، قد أثر هذا الشعب على الشعوب الـــتي أحـــتل أقاليمها وكانت أقل منه في المدينة والحضارة حيث نقلت هذه الشـــعوب مـــنه نظـــم وأصول حضارية عديدة ، كما تأثر هو أيضا وقام باقتـــباس نظـــم وعناصـــر حضارية عديدة من الشعوب التي أحتل أقاليمها بالغزو المسلحة وكانت أكثر منه مدينة وفي التألق الحضاري ٠

– مـــن خـــلال ســـرد الإحداث والوقائع التاريخية تبين أن الموقع الجغرافي الذي أسس فيه الحيثيين دولتهم في آسيا الصغرى ، كان لـــه أثر بـــالغ الأهميـــة عـــلى مكانة الحضارة الحيثيه ، لأن هذا الموقع كان يعتبر المكـــان الوحيد في ذلك الزمان الذي يربط بين آسيا وأوربا ، أي لا يمكن الانـــتقال بيـــن آســـيا وأي موقع في أوربا إلا من خلال العبور في أرض المـــنطقة الـــتي ترعرعت فيها الحضارة الحيثيه واتسع مداها ٠ ولذا كان ملتقى هجرات الكثير من الشعوب التي كانت تبحث عن الرزق الوفير بين آســـيا وأوربا وأن هذا قد ترتب عليه نتائج هامة وخطيرة بالنسبة للحضارة الحيثيه أهمها يتلخص في الآتي :

١ – أن كـــثيرا من الشعوب المهاجرة من أوربا للبحث عن الرزق والاستقرار مثل الاريون والدنانيون والليكيون والميسيـــــون والدردانيـــون

البيداسـيون قـد هـبطوا على الأراضي التابعة للدولة الحيثية ، واستطاع الحيـثيون بمـا كـانوا يمـلكون من قوة عسكرية كبرى ومهارة فائقة في المـراوغة والحوار أن يرهبوهم ثم استقطبوهم وغيروا منهجهم من السلب والـنهب إلى حيـاة الأمان والاستقرار ، وجعلوهم يعيشون معهم في حياة اجـتماعية مشـتركة ، واسـتغلوا قوتهـم ومهـارتهم في أعمال الزراعة والصـناعة وفـي الانضـمام لصفوف الجيش ليكونوا من ضمن المقاتلين الأشـداء – وبهـذا السـبب كـان الشعب الحيثي به أجناس أخرى عديدة انصـهرت فـي بوتقـته ومثـلت معـه في الشكل العام كيان قومي واحد للإمبراطورية الحيثيه ٠

٢ – اكتسـب الحيـثيون من خلال موقعهم الجغرافي الفريـد معظم أصول ونظم المجتمعات الكبرى التي كانت متألقة حضاريـا في العـالم القديـم لأن هذه المجتمعات كانت تقوم بينها علاقـات تجاريـة عديـدة ، ولـذا كـانت القوافل التجارية المتبادلة بين المجتمعات الشرقية والغـربية تمر في آسيا الصغرى بالقرب من موطن الحيثيين الذين اتصلوا بهـم واكتسبوا منهم الكثير من أصول ونظم حضارات بلادهم – وعلى أثر هـذا الوضع قد أصبح الشعب الحيثي بعد فترة من الزمن من أرقى شعوب الحضـارات القديمة في الفكر والثقافة والنظم المختلفة على أساس أنه كان يطـلع دائمـا على معظم ما كان يستجد في أصول ونظم حضارات العالم القديم ٠

٣ – أن الشـعب الحيـثي قد استطاع بقدرة هائلة من خلال موقعة الفريد في آسيا الصغرى أن يشترك مع الفينيقيين في نقل أصول الحضارة الشـرقية إلى المجـتمعات الأوربيـة بدايـة بـالمدن الإغريقية – كما أن الأتروسـكيين الذيـن اسـهموا بالكثير في نمو الحضارة الرومانية هم في الأصل من ضمن الشعوب التي كانت تعيش في كنف الإمبراطورية الحيثية وتعـلموا مـنها نظـم وأصول حضارية عديدة ثم هاجروا بعد انهيار قوة الحيثيين من آسيا الصغرى إلى شمال غرب إيطاليا حوالي عام ٩٠٠ ق٠م وأسسوا فيها مدن متطورة على النظام الاستقراطي ، وبعد أن اندمجـوا مع الرومان في كيان سياسي واحد ودفعوهم نحو النمو والتطور كان كثيرا من العائلات الرومانية النبيلة تحب أن تدعي فخرا بأنها تنسب إلى الأصل الاتروسكـي٠

٤ – بما أن المواقع الجغرافية الفريدة تحتاج دائما من الشعوب التي تقيـم فيها أن تكون لديها قوة عسكرية كبرى ، وأن تكون نظمها منضبطة وأوضـاعها فـي الداخـل والخارج مستقرة ، حتى لا تقع فريسة لا غزو خـارجي – لأنـه من المعروف أن المواقع الجغرافية الفريدة تكون دائما مطمعـا لكل الشعوب التي تبحث عن التوسع في فرض النفوذ والسيطرة ، فـإن هـذا الوضع قد انطبق تماما على الحيثيين لأنهم عندما كانوا أقوياء عسـكريا وأوضـاعهم فـي الداخل والخارج منتظمه وليس بها فوضى أو انحلال قد استطاعوا أن يرهبوا كل الشعوب التي كانت تطمع في الاستيلاء

عـــلى موقعهـــم ، وذلك خلال عهود إمبراطوريتهم القديمة والحديثة – أما عندما ضعفت قوتهم بعد الهزيمة الساحقة التي ذاقوا مررتها في قادش على يد الجيوش المصرية بقيادة الملك رمسيس الثاني ، وتقوقعوا داخل حدودهم الأولى الضيقة ثم دب فيهم الانحلال والفوضى ، كانوا فريسة سهلة للغارات الشرسة التي شنتها عليهم القبائل الآرية التي كان يطلق عليها قبائل شعوب البحر البربرية وتم محوهم من هذا الموقع واختفوا بالتالي من على مسرح التاريخ ٠

– وبـــنـــــاء على ذلك ٠ فلقد كان للحضارة الحيثية دور بارز بين حضـــارات العالم القديم – وإذا كانت قد اندثرت واختفى شعبها بين طيات الأجـــناس الأخرى إلا أن النظم المختلفة التي وضعتها والإنجازات العديدة التي حققتها ستظل باقية إلى الأبد ، ومعبرة بصدق عن مدى ما كانت تتمتع به من تألق في ربوع الشرق القديم ٠

فهـــرس

[كشـــاف أبجـــدي]

****

(أ)

(ب)

(ت)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(ي)

قائمــة المراجــــع

أولا : المراجع العربيــة :

* – د . أحمد الخشاب :

دراسات في النظم الاجتماعية – طبعة ١٩٥٨ – مكتبة القاهرة الحديثة .

*– د . أحمد سويلم العمري :

أصول العلاقات الدولية – الطبعة الثالثة – ١٩٥٩ – مكتبة الانجلو المصرية .

* – الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير :

قصص الأنبياء – الطبعة الأولــــــى ١٩٨١ – دار التراث العربي بالقاهرة .

* – د . بطرس بطرس غالي ، د . خيري عيسى :

المدخل في علم السياسية – طبعة ١٩٥٩ – مكتبــة الانجلو المصرية .

* – د . ثروت انيس الأسيوطي :

نظام الأسرة [بين الاقتصاد والدين – الجماعــــات البدائية] طبعة ١٩٦٦ – القاهرة .

* – د . حسني محمد جابر :

القانون الدولي العام – القاهرة ١٩٧٧- دار النهضة العربية .

* – سعيد عبد الفتاح عاشور :

وللتاريخ تاريخ – كلمة الافتتاح في مجلة المــؤرخ العربي – العدد الثامن – المجلد الأول – مــــارس ٢٠٠٠ م .

* - د . سليم حسن :

مصر القديمة - جـ٦ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - طبعة ١٩٤٧ .

* - د . سمير عبد المنعم :

البعد الأخلاقي لقانون العلاقات الدولية - طبعة ١٩٨٨ - دار النهضة العربية .

- العلاقات الدولية في العصور القديمة - طبعة ١٩٨٩ - دار النهضة المصرية .

- مدى التقارب والتباين في الطابع الحضاري لأهم نظم وشرائع مجتمعات العصور القديمة - طبعة ١٩٩٩ - دار النهضة العربية .

* - د . صلاح الدين عامر :

مقدمة لدراسة القانون الدولي العام - طبعة ١٩٧٤ م دار النهضة العربية - بالقاهرة .

* - د . عادل بسيوني :

التاريخ العام للنظم والشرائع - طبعة ١٩٩١ - كلية الحقوق - جامعة القاهرة .

* - د . عبد المنعم البدراوي :

تاريخ القانون الروماني - طبعة ١٩٤٩ - كلية الحقوق - جامعة القاهرة .

* - د . عبد العزيز سرحان :

القانون الدولي العام - طبعة ١٩٧٣ - كلية الحقوق جامعة عين شمس .

* - د . عمر ممدوح مصطفى :

القانون الروماني- الطبعة الخامسة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ دار المعارف .

* - د . فاروق العادلي ، د . سعد جمعة :

الانثروبولوجيا مدخل اجتماعي وثقافي - طبعة ٢٠٠٠م - كلية الآداب - جامعة القاهرة .

* - د . فتحية النبراوي، د . محمد نصر مهنا ، د . درية شفيق بسيوني :

تطور العلاقات السياسية - طبعة ١٩٨٤ - مطبعة الكراس بالإسكندرية .

* - د . محمد أبو زهرة :

مقارنات الأديان - الديانات القديمة - طبعة ١٩٦٥، دار الفكر العربي بالقاهرة .

* - د . محمد بيصار :

العقيدة والأخلاق . وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع الطبعة الثانية ١٩٧٢ - مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

* - د . **محمد عبد الهادي الشقنقيري :**

محاضرات في تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - كلية الحقوق - جامعة عين شمس ١٩٩٤ .

* - د . **محمد كامل ياقوت :**

الشخصية الدولية - طبعة ١٩٧٠ - عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة .

* - د . **محمود سلام زناتي :**

تاريخ القانون المصري - طبعة ١٩٧٣ - كلية الحقوق - جامعة عين شمس .

* - د . **محمود عز العرب السقا :**

تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - طبعة ١٩٧٤ م مكتبة القاهرة الحديثة .

- أبحاث في تاريخ الشرائع القديمة - طبعة ١٩٩١ دار النهضة العربية .

- معالم تاريخ القانون - طبعة ١٩٦٨ -كلية الحقوق جامعة القاهرة .

- أبحاث في تاريخ الشرائع القديمة - الطبعة الأولى ١٩٩١ - دار النهضة العربية - القاهرة .

* - **د . مصطفى الخشـــاب :**
دعائم علم الاجتماع وحقائقه - مطبعة لجنة البيـــان العربي - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٨ .

* - **د . نجيب ميخائيل إبراهيم :**
مصر والشرق الأدنى القديم - الجزء الأول - مصر الكتاب الأول - الطبعة الثانية - ينايـــر ١٩٥٧ م مؤسسة المطبوعات الحديثة بالإسكندرية .

* - **د . نور الدين حاطوم، د . نبيه عاقل ، د . أحمد طربين ، د . صلاح مدني** : [أعضاء قسم التاريخ بكليـــة آداب جامعة دمشق بسوريا] :
موجز تاريخ الحضارة - طبعة ١٩٦٤ - دمشـــق ، سوريا .

ثانيا : المراجع المترجمـــة :

* - **الكسندر شارف :**
تاريخ مصر - من فجر التاريخ حتـــى إنشاء مدينة الإسكندرية - ترجمة د . عبد المنعم أبو بكـــــر ، مراجعة د . / مراد كامل - مطبعة أطلس بالقاهرة غير محدد سنة الطبع .

* **- جاك • س • ريسلر :**

الحضارة العربية - ترجمة الأستاذ / غنيم عبدون - مراجعة د • أحمد فؤاد الأهواني- (غير محدد سنه الطبع) • الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة

* **- جورج سارتــون :**

تاريخ العلم - ترجمة كل من د • إبراهيم مدكــور، د • محمد كامل حسنين ، د • قسطنطين رزيــق ، د • محمد مصطفى زيادة - الطبعة الثالثة ١٩٧٨ ، دار المعارف بالقاهرة •

* **- فوستيل دي كو لانج :**

المدينة العتيقة - ترجمة د • عباس بيومي - الطبعة الثالثة - ١٩٥٤ - الهيئة المصرية العربية للكتــاب القاهرة •

* **- ول ديوانـــت :**

قصة الحضارة - المجلد الأول - جـ١ - ترجمــة د • زكي نجيب محمود - القاهرة - ١٩٤٥ •

- قصة الحضارة - الجزء الأول - نشأة الحضارة ، الفصل الثالث - ترجمة د • زكي نجيب محمــود - طبعة ١٩٤٦ •

* - وليام لانجر :

موسوعة تاريخ العالم - الجزء الأول- طبعة ١٩٥٦ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر- نيويــــورك - ترجمة د • مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٦٢ - دار النهضة العربية •

ثالثا : المراجع الأجنبيـة :

* - **A. H . GARDINER** - the defeat of the hykgos by kamose the cormarvon tablet No. 1 New york - 1916.

*-**Andre AYMARD et jeannine auboyer**- Histoire Générale des civilisations - Tome 1 - L'orient et lagréce antique - pqr.

* - **A.T. olmstead** - History of Assyria - New york - 1926 .

* - **A. Moret** - Des chans aux Empire - paris - 1923 .

* - **B. Dhorme** - les Achééns dans les textes de boghaz - paris - 1932 .

* -**B. Hrozny** - sur un cachet Hittite Kieroghyphique de Ras shamra - paris - 1939 .

* - **D. kahn** - scientistist of cod Analysis civilised stutdy - New york - 1966 .

* - **E. Cavaignac** - Ras shamra l'Empire - Revue Hittite et Asianque - paris - 1930 .

*- **G. Contenau** - la civilisation des Hittites et des hurrites du Mitanni - paris - 1948 .

* - **G. Contenau** - la civilisation phenicienne paris - 1922 .

* - **G. Maspero** - Histoire ancienne des peuples de L'orient - 3 vol - paris - 1908 .

* – **Gaston May** – intraduction a la science du droit – paris – 1932 .
* – **H. R. Hall** – the Ancient History of the Near East – Landon – 1943 .
* – **H. ERANE FORT** – the Birthe of civilization in the Near East – london – 1951 .
* – **H. FRANKFORT** – the Birth of civilization in the Near East – london – 1951 .
* – **Henry thomas** – the great philosophers – New York – 1962 .
*- **H. Hogbin** – lew and order in polynesia- New york – 1934
* – **H. G. wells** – A short History of the world – 1932 – london .
* – **J. BAIKIE** – A History of Egypt – 2 ols – london – 1929 .
* – **J. H. BREASTED** – Ancient times – A History of the Early world – Boston – 1916.
* – **J. Gras** – An thropology and Economics – in the social sciences and their inter Relations – New york – 1927 .
* – **J. D. E. Morgan** – Recherches sur les origines de l'Egypte- paris – 1896 .
* – **J. Dalton** – Economic theory and primitive society – New york – 1961 .
*- **J. H. BREASTED** – A History of the Ancient Egyptians – london – 1915 .
* – **J . wilson** – the burden of Egypt – chicago – 1951 .
* – **J. CARCOPINO** – Daily life in Ancient Roma – New york – 1940 .
* – **J. D. Mrtgan** – ptehistorie Man – New york – 1927 .
* – **Lewis Morgan** – Ancient society – New york – 1978 .
* – **Lucy Mair** – An intraduction to social anthropology oxford – 1968 .

* – **L. W. Kiny** – chronicles concerning Early Bobylonian kings – london – 1907 .
* – **L. DELAPORTE** – Mesopotamia – the bobylonian and Assyrian civilization – New york – 1925 .
* – **L. Delaporte** – les Hittite – paris – 1936 .
* – **MACIVER RANDAIL** – the Etruscans – oxpord – clarendon press – 1927 .
* – **M. pillet – le temple de Bybleas** – syria – 1927 .
*- **O. R. GURNEY – the Hittites Harmand sworth**- london 1052 .
* – **P- Mammand** – cultural and social Anthropology – New york – 1064 .
* – **R.G. Gettell** – political science – New york – 1947 .
* – **R. Dussaud** – les Rebgions des Hittite dt des Hourrites, des pheniciens et des syriens – paris – 1945 .
* – **Ralph linton** – TREE culture – part 1 – 1955 – New york .
* – **R.j. BRAID WOOD** – the Near East and the foundations of civilization – london – 1952 .
* – **R. weill** – la phenicie et l'asie occidentaie – paris – 1911 .
* – **R. weill** – sur la situation historique et politique de Ras shamra – paris – 1937 .
* – **V.G- CHILDE** – New light on the Mas T Ancient East – london – 1052 .
*- **walter A. Fairservis** – the origins of oriental civilization – the New American library – New york – 1959 .
*- **w. Ehrich** – Relative chronoioyies in old world archaeolgy – chicago – 1954 .

الفهـــــرس

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

٧١٦